

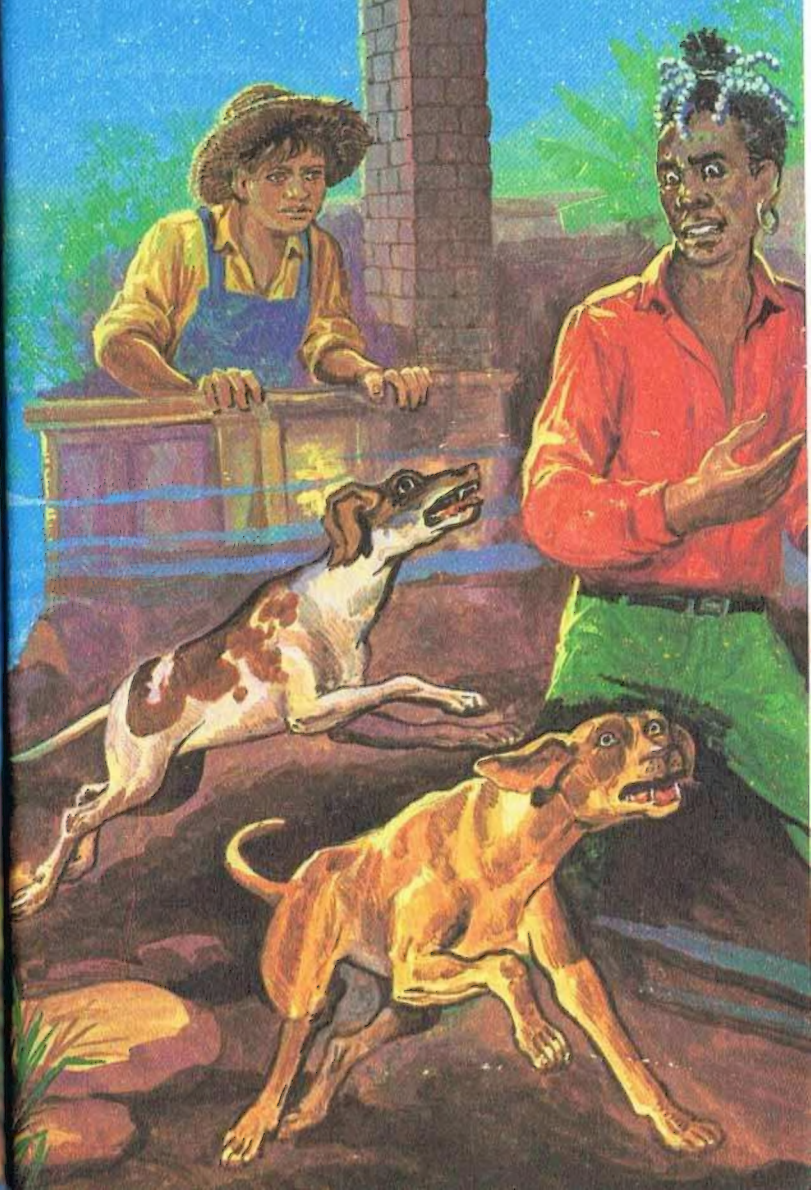
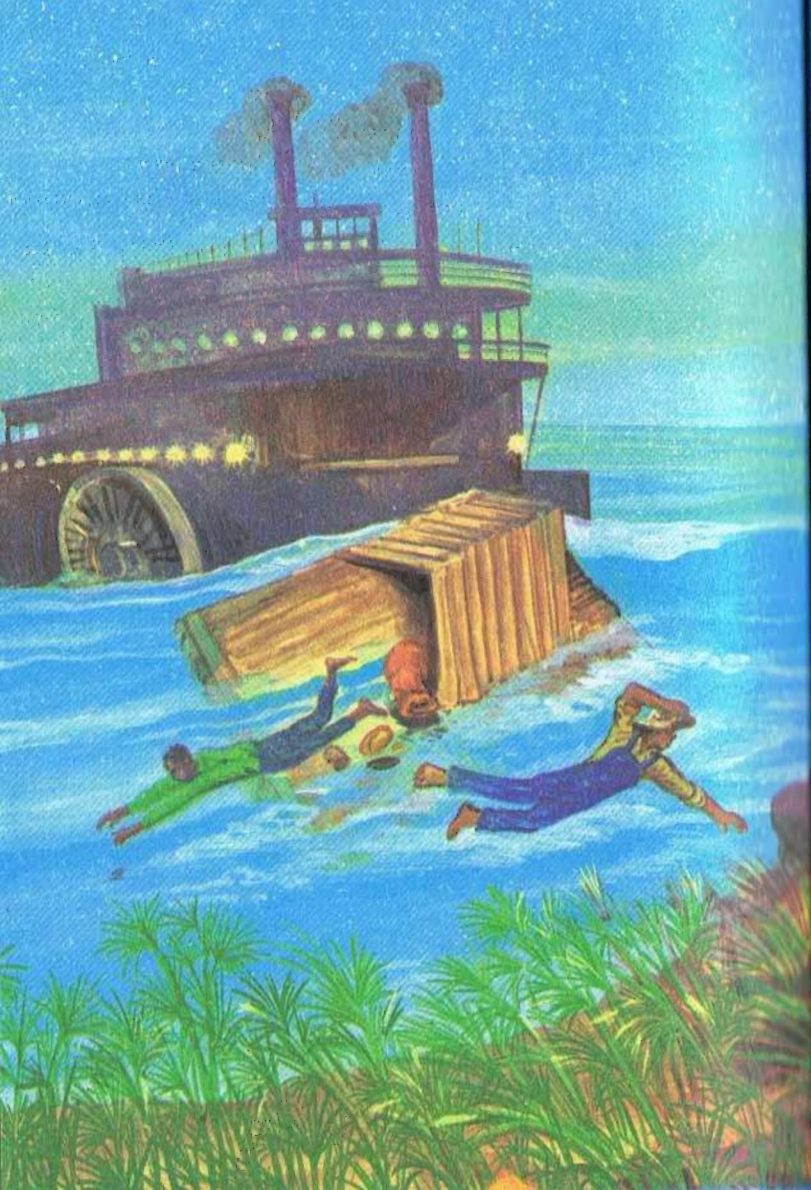
# مغامرات هكاري فن



المغامرات الفريدة









# مِغْمَازَاتُ هِكَايَاتِي قَرْنِي



المغامرات الفثيرة



تأليف : مارك توين

أعدتها بالعربية : شوقي الأمير

رسوم : محمد قطب

مكتبة لبنان

رئيس التحرير : وجدي زرق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٦٠٦ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ٤ - ٠١٠٢ - ١٦ - ٩٧٧ - ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة



أَنَّهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَى تَكْوِينِ عِصَابَةٍ مِنَ اللَّصُوصِ . وَعَرَضَ عَلَيَّ  
الْأَنْضِيمَامَ لَهَا ، وَاشْتَرَطَ لِذَلِكَ عَوْدَتِي إِلَى بَيْتِ الْأَرْمَلَةِ ؛ فَرَجَعْتُ  
إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى .

وَعِنْدَمَا رَأَيْتُنِي الْأَرْمَلَةُ انْخَرَطَتْ فِي الْبُكَاءِ ، وَرَاحَتْ تَدْعُونِي  
بِالْحَمَلِ الْمُسْكِينِ الضَّائِعِ ، وَالْبِسْتَنِي مَرَّةً أُخْرَى تِلْكَ الْمَلَأْسِ  
الْجَدِيدَةِ الَّتِي كَانَ عَرَفِي يَتَصَبَّبُ مِنْهَا ، وَأَشْعُرُ بِالضِّيقِ وَأَنَا بِدَاخِلِهَا .  
وَبَدَأَتْ الْعَادَاتُ الْقَدِيمَةَ مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَكَانَتْ الْأَرْمَلَةُ تَدُقُّ جَرَسًا  
تَدْعُونَا بِهِ إِلَى الْعِشَاءِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْمَائِدَةِ فِي الْوَقْتِ  
الْمَحْدَدِ ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَا يَعْْنِي أَنْ تَبْدَأَ عَلَى الْفُورِ فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ،  
بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَظِرَ حَتَّى تُخَيَّي الْأَرْمَلَةَ رَأْسَهَا وَتُبْدِيَ تَذَمُّرَهَا مِنَ  
الطَّعَامِ ، رَغْمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِهِ مَا يَدْعُو إِلَى هَذَا التَّدْمُرِ .

كَانَتْ الْآنِسَةُ « وَاطْسُن » أُخْتُ الْأَرْمَلَةِ ، قَدْ وَصَلَتْ لِتَعِيشَ  
مَعَهَا . وَالْآنِسَةُ وَاطْسُنُ هَذِهِ عَجُوزٌ لَمْ يَسْقُ لَهَا الزَّوْاجُ . وَكَانَتْ  
تَضَعُ نَظَارَةً عَلَى عَيْنَيْهَا . وَقَدْ بَدَأَتْ فِي تَلْقِينِي الدُّرُوسَ ، وَحَمَلْتَنِي  
عَلَى أَنْ أَقْرَأَ فِي كِتَابٍ لِلْهَجَاءِ سَاعَةً بِأَكْمَلِهَا حَتَّى أَصَابَنِي  
الضُّجَرُ وَالْمَلَلُ . وَلَمْ أَعُدْ أَتَحَمَّلُ الْجُلُوسَ سَاكِئًا ، فَأَخَذْتُ هِيَ  
تَرْجَرْنِي وَتُوجِّهَنِي إِلَى عِبَارَاتِ الْيَوْمِ مِثْلَ : « لَا تَضَعْ قَدَمَيْكَ هُنَاكَ ،  
يَا هَكْلَبِرِي . لَا تَرْقُدْ هَكَذَا .. اجْلِسْ مُنْتَصِبًا .. لَا تَشَاوَبْ

## الفصل الأول

### عِصَابَةُ « توم سوير »

أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَنْ تَعْرِفَنِي إِلَّا إِذَا كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ مُغَامَرَاتِ « توم  
سوير » ، عَلَى أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِأَمْرِ ذِي بَالٍ .

لَقَدْ انْتَهَى كِتَابُ مُغَامَرَاتِ « توم سوير » بِأَنْ عَثَرْتُ أَنَا وَ « توم »  
عَلَى الْمَالِ الَّذِي كَانَتْ عِصَابَةُ اللَّصُوصِ قَدْ خَبَأَتْهُ فِي الْمَغَارَةِ ،  
وَحَصَلَ كِلَانَا مِنْهُ عَلَى سِتَّةِ آلَافِ دُولَارٍ ، كَانَتْ كُلُّهَا مِنَ الذَّهَبِ .  
وَقَدْ قَامَ الْقَاضِي « نَاتشر » بِإِقْرَاضِهَا لِلْآخَرِينَ نَظِيرَ فَائِدَةٍ ، جَلَبَتْ  
لِكُلِّ مِئَةِ دُولَارٍ وَاحِدًا فِي الْيَوْمِ عَلَى مِدَارِ السَّنَةِ . وَبَعْدَهَا تَبَنَّتَنِي  
أَرْمَلَةُ السَّيِّدِ « دَوغلاس » ، وَأَعْلَنْتْ أَنَّهَا سَتَقُومُ عَلَى تَهْذِيبِي وَتَنْقِيفِي ،  
وَلَكِنَّ الْحَيَاةَ فِي مَنْزِلِهَا كَانَتْ قَاسِيَةً بِالنِّسْبَةِ لِي ، خَاصَّةً وَأَنَّ  
عَادَاتِ الْأَرْمَلَةِ فِي مَعِيشَتِهَا كَانَتْ صَارِمَةً ، مِمَّا جَعَلَنِي لَا أَتَحَمَّلُ  
بَقَائِي فِي مَنْزِلِهَا ؛ فَهَرَبْتُ مِنْهُ . وَقَابَلْتُ توم سويرَ ، الَّذِي أَخْبَرَنِي



وَتَمَدَّدَ بِهَذَا الشَّكْلِ .. لِمَاذَا لَا تَسْلُكُ سُلُوكًا حَسَنًا؟

وأخيراً جَمَعُوا الخَدَمَ وأدَّوْا الصَّلَاةَ ، ثُمَّ ذَهَبَ كُلُّ فَرْدٍ إِلَى فَرَاشِهِ ، وَذَهَبْتُ أَنَا إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِي ، وَجَلَسْتُ بِجِوَارِ النَّافِذَةِ ، وَاسْتَوَلَيْتُ عَلَى شُعُورٍ بِالْوَحْدَةِ . وَفِي مَجْلِسِي هَذَا تَنَاهَى إِلَى سَمْعِي صَوْتُ طَائِرٍ لَيْلِي خَيْلٌ إِلَيَّ أَنَّهُ يَنْعَى شَخْصًا قَدْ مَاتَ مُنْذُ زَمَنٍ . كَمَا تَنَاهَى إِلَى سَمْعِي نُبَاحُ كَلْبٍ خَيْلٌ إِلَيَّ أَنَّهُ يَنْعَى شَخْصًا يَوْشِكُ أَنْ يَمُوتَ ؛ فَامْتَلَأَتْ نَفْسِي حُزْنًا وَانْقِبَاضًا ، وَتَمَنَيْتُ رَفِيقًا يُؤْنِسُ وَحْدَتِي .

كَانَ قَدْ مَضَى وَقْتُ طَوِيلٍ حِينَ سَمِعْتُ دَقَّاتِ السَّاعَةِ فِي الْمَدِينَةِ تَشْقُ سُكُونِ اللَّيْلِ ، وَتَوَاصَلَتِ الدَّقَّاتُ حَتَّى بَلَغَتْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دَقَّةً ، ثُمَّ عَادَ السُّكُونُ يَلْفُ الْمَكَانَ مَرَّةً أُخْرَى ، سُكُونٌ أَكْثَرُ إِبْطَاقًا مِنْ ذِي قَبْلُ . وَسَمِعْتُ غَضْنَآ يَتَكَسَّرُ بَيْنَ الشَّجَرِ ، وَأَحْسَسْتُ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ ؛ ثُمَّ سَمِعْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ مَوَاءَ خَافِتًا « مِياو.. مِياو » ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : « رَائِعٌ ! » وَرَدَدْتُ عَلَى الْمَوَاءِ بِمِثْلِهِ : « مِياو .. مِياو ! » كُنْتُ أَرَدُّدُ الْمَوَاءَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ قَدَرِ مَا أَسْتَطِيعُ ، ثُمَّ نَهَضْتُ مِنْ مَجْلِسِي ، وَأَطْفَأْتُ الْأَنْوَارَ ، وَتَسَلَّلْتُ خَارِجًا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَهَبَطْتُ عَلَى السَّقِيفَةِ وَمِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ حَيْثُ وَجَدْتُ « توم سوير » يَنْتَظِرُنِي . هَبَطْنَا التَّلَّ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْمَنْزِلِ ، فَوَجَدْنَا هُنَاكَ « جو



هاربر » و « بن روجرز » وأثنتين أو ثلاثة آخرين من الأولاد . وقمنا بفك أحد القوارب وأنطلقنا به في النهر مسافة ثلاثة كيلومترات ، حتى وصلنا إلى أحد معالم الطريق القائمة على جانب التل . وهناك هبطنا من القارب .

بعد هبوطنا اتجهنا نحو بعض الشجيرات ، وهناك قادنا « توم » إلى مغارة موجودة في التل ، فأوقدنا الشموع ، وأخذنا نرحف داخلين من فتحة المغارة ، حتى وصلنا في نهاية الأمر إلى مكان يشبه الحجرة . وكان المكان رطباً يرشح بالماء ، وفيه توقفتنا عن الرحف ، وجلسنا .

قال توم : « سنبدأ الآن تكوين العصابة ، وعلى كل شخص يريد الانضمام إليها أن يقسم بأنه سيطيع قوانينها » . ثم أخرج من جيبه ورقة مكتوباً عليها هذه القوانين ، وأخذ يقرأها علينا . وقد تضمنت هذه القوانين أنه على كل عضو أن يقسم على الإخلاص للعصابة ، وأن يقسم أنه لن يقوم أبداً بإفشاء أسرارها ، وأنه إذا ما أصاب شخص أحد أفراد العصابة بأذى ، يقتل هذا الشخص هو وعائلته ، وعلى عضو العصابة الذي يكلف بهذا العمل أن ينفذه فوراً وصاح الأعضاء جميعهم إعجاباً عند سماعهم هذه القوانين .

قال بن روجرز : « ولكن ، ما عمل هذه العصابة ؟ »

قال توم : « سنقوم بإعتراض العربات في الطريق ، وإيقافها . ونقتل رُكابها ونستولي على ساعاتهم وأموالهم ، بإستثناء أولئك الذين تأسروناهم وتسوقونهم إلى هنا ، فنحسبهم حتى نتلقى عنهم فدية . »

قال بن روجرز : « فدية ؟ ما هذه الفدية ؟ »

رد توم : « لا أعرف ، ولكن هذا هو ما تفعله العصابات . لقد قرأت ذلك في الكتب . وبالطبع يجب علينا أن نفعل مثلهم . »

قال بن : « ولكن كيف نفعله ما دُنا لا نعرفه . »

صاح توم : « اللعنة ! هذا ما يجب أن نفعله . هل تريد أن نفعل شيئاً مختلفاً عما في الكتب ، ونفسد علينا كل شيء ؟ »

أجاب بن : « ولكن خبرني ، يا توم سوير ، كيف نتلقى فدية عن هؤلاء الناس ما دُنا لا نعرف معنى هذا العمل ؟ كيف سيحدث هذا ؟ »

قال توم بصوت منخفض : « لا أعرف . ربما يكون معنى ( أن نحسبهم حتى نتلقى عنهم فدية ) أن نحسبهم حتى يموتوا . »

رد عليه بن روجرز قائلاً : « سيسبب لنا هذا العمل الكثير من المتاعب ، فإنهم سيأكلون كل ما لدينا من طعام ، وسيحاولون



الهرَبَ بِاسْتِمْرَارٍ .

قالَ تومَ ساخراً : « ما معنى هذا الكلام ، يا بن روجرز ؟ كيف يستطيعون الهرَب ، إذا كان سيَقومُ على حراستهم حارسٌ على استعدادٍ لأنَّ يَطلقَ عليهم الرِّصاصَ لو حركَ أحدهمُ أصبعه ؟ »

أجابَ بن روجرز على سُخريَّته بتهكمٍ قائلاً : « حارسٌ ! جميلٌ جدًّا ! معنى هذا أنَّ أحدنا سيَقومُ اللَّيْلَ على مُراقبتهم دونَ أنْ يذوقَ النَّومَ طعمًا ؟ اعتقد أنَّ هذا حُمقٌ مِنَّا . لماذا لا يأخذُ أحدنا عصاً ويُقتديهم بمُجردِ أنْ يصلوا إلى هنا ؟ »

قالَ توم : « لأنَّ هذا لا يَتفقُ معَ ما هوُ مدوَّنٌ في الكُتُبِ . هذا هو السَّببُ . »

قالَ بن روجرز : « حسنًا ؛ وهل نُقتلُ النساءَ أيضًا ؟ »

وهنا فاضَ الكَيْلُ بِتومَ فقالَ بنبْرةٍ ساخرةٍ : « بن روجرز ، لو كُنْتُ غيبًا مثلكَ لكانَ مِنِ الأفضلِ لي أنْ أغلقَ فمي ولا أتفوَّهَ بِكَلِمَةٍ . نُقتلُ النساءَ ؟ لم يَرِ أحدٌ مثْلَ هذا في الكُتُبِ . إنَّ عليكَ أنْ تُحضِرهنَّ إلى المغارةِ ، وتُحاولَ أنْ تكونَ مهذبًا معهنَّ بِصِفَةٍ دائِمَةٍ . وبعدَ مُضيِّ بعضِ الوقتِ سيَقعنَ في حُبِّكَ ويرفضنَ الذَّهابَ إلى بيوتهنَّ مُطلقًا . »

قالَ بن روجرز : « إذا لَمْ يَمُرَّ وقتٌ طَويلٌ حتَّى نرى المغارةَ مُكتظَّةً بالنِّساءِ وبالأشخاصِ الذينَ يَنتظرونَ أنْ يَفْتدوا ، وفي النِّهايةِ لَنْ نَجِدَ مكانًا لأفرادِ العِصابةِ . ولكنَّ استمِرَّ في حديثكَ فليسَ لديَّ ما أقولُه لكَ بعدَ ذلكَ . »

عقبَ ذلكَ الحديثِ قُمنا بِانتخابِ تومَ سَويرَ زعيمًا أوَّلَ لِلْعِصابةِ وجو هاربرَ زعيمًا ثانيًا لها ، ثُمَّ بدَّنا نَعوُدُ إلى منازلنا . وَرَجَعْتُ أنا إلى المنزلِ ، وَتَسَلَّقْتُ السَّقِيفَةَ ، وَتَسَلَّلْتُ إلى عُرْفَتِي مِن خِلالِ النَّافِذَةِ ، في الوقتِ الَّذي كانَ فيه النَّهارُ يَبزُغُ . وَنَظَرْتُ إلى ملابِسي الجَدِيدَةِ فَرَأَيْتُهَا مُغطَّاةً بِالطَّيْنِ وَشَحْمِ الشُّمُوعِ ، وَكانَ الإِرهاقُ قَدْ نالَ مِنِّي ، لِذلكَ لَمْ أُسْتَطِعْ فِعْلَ شَيْءٍ .

في الصِّباحِ أَعْرِفَتُنِي الْأَنَسَةُ وَاطْسُنَ بِسَيْلٍ مِنَ التَّفْرِيعِ وَاللَّوْمِ لِمَا أَصابَ ملابِسي ، بِعَكْسِ الْأَرْمَلَةِ الَّتِي قَامَتْ بِتَنْظِيفِ ملابِسي مِنَ الشُّحْمِ وَالطَّيْنِ دونَ أنْ تُوجِّهَ إِلَيَّ كَلِمَةً ، إِلَّا أنَّ وَجْهَهَا كانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْأَسَى ، لِدرَجَةِ انْتِنِي فَكَّرْتُ في أنَّ أَحْسَنَ مِنْ سُلُوكِي ، وَلَوْ لِفَتْرَةٍ مِنَ الوَقْتِ ، وَعَلَى قَدَرٍ ما أُسْتَطِيعُ .

اخْتَفَى أُنِي عَنِ الْأَنْظَارِ سَنَةً بِأَكْمَلِهَا ، وَكُنْتُ سَعِيدًا بِذلكَ ؛ لِأنَّهُ كانَ مُعتادًا ضَرْبِي . وَقَدْ تَنائَرْتُ أَقْوايِلَ أَثناءَ غِيَابِهِ بِأنَّهُ وَجَدَ غَريقًا على بُعْدِ عِشرينَ كيلومترًا مِنَ المَدِينَةِ ، وَقَدْ ظَنَّ النَّاسُ أنَّ



الغريق هو أبي ؛ لأنه كان يماثله حجماً ، ويرتدي ملابس رثة ، وله شعر طويل مثل شعر أبي .

مر علينا شهر ونحن نلعب لعبة اللصوص . وكنا نقوم بهذه اللعبة بين الحين والآخر ، ثم استقال جميع الأولاد من العصابة . غير أننا خلال هذا الشهر لم نسرق شيئاً ولم نقتل أحداً ، بل كنا نتظاهر بذلك . وقد اعتدنا أن نتب من الغابة ونهاجم رعاة الأغنام ، والنساء اللاتي يركبن العربات في صحبة بضائعهن من الخضراوات ، وهن متجهات إلى السوق ، ولكننا لم نسرق أحداً منهم أو منهن . وكان نوم سوير يسمى الأغنام قضبان الذهب ويسمى الخضر جواهر . وقد اعتدنا كذلك أن نذهب إلى المغارة ونحسب عدد من قتلنا من الناس . وذات مرة أرسل نوم سوير وكدا يطوف المدينة وهو يحمل مشعلاً متقدداً ، وكانت هذه هي العلامة المتفق عليها لدعوة العصابة إلى الاجتماع . وعندما اجتمعنا في المغارة قال لنا نوم سوير إنه بلغته أخبار مهمة وسريّة عن جماعة كبيرة من التجار الإسبان والأثرياء العرب ، سيقمون لهم معسكراً في اليوم التالي ، في « مغارة هولو » وقد صحبوا معهم مئتين من الأفيال ، وستمئة من الجياد ، وما يزيد على الألف من الحمير ، وكلها محملة بالأماس . ولا يحرس تلك الجماعة سوى حرس

يتألف من أربعمئة جندي ، ولذلك فإن باستطاعتنا أن نكمن في انتظارها ، وأن نقتل عدداً كبيراً من أفرادها ، ونستولي على الأماس . وقال لنا أيضاً إن علينا أن ننظف بنادقنا ، وأن نشحذ سيوفنا ؛ وما كانت تلك البنادق وتلك السيوف سوى قطع من الخشب ، ما كانت لتشحذ أو تنظف حتى ولو أخذت تدلكها حتى يصيبك الكلال .

لم يدّر بخلدي أن بإمكاننا أن نهزم هذا الحشد من الإسبان والعرب ، ولكنني كنت أريد أن أرى الجياد والأفيال ، ولذلك كنت حاضراً مع العصابة في اليوم التالي ، وهو يوم السبت . وعندما سمعنا الأمر اندفعنا من الغابة ، وهبطنا التل ، وهناك لم نجد شيئاً ، لا إسبان ولا عرب ، ولا جياد ولا أفيال ، وإنما كانت رحلة مدرسية من الرحلات التي تقوم بها المدارس في نهاية الأسبوع فقمنا بتبديد شملها ، وأخذنا نطارد الأطفال . إلا أننا لم نحصل منهم على شيء سوى بعض الكعك ؛ وحتى هذا الكعك قام المدرس المرافق للرحلة بإزغمانا على تركه بعد أن هاجمنا ، وأجبرنا على أن نلقي بكل شيء معنا ونفر بجلودنا .

لم أر ألاماس مع أحد ، فأخبرت نوم بذلك ، فقال لي : « لقد كانت هناك أحمال كثيرة منه ، وكان هناك عرب وأفيال أيضاً . »



فَسَأَلَتْهُ : « لِمَاذَا لَمْ نَسْتَطِعْ رُؤْيَتَهُمْ ؟ » فَأَجَابَ بِأَنِّي لَوْ قَرَأْتُ  
كِتَابَ دُونِ كِشَوْتٍ لَعَرَفْتُ السَّبَبَ دُونَ أَنْ أَوْجَهَ سَوْأَالًا . لَقَدْ كَانَ  
الْأَمْرُ كُلُّهُ سِحْرًا . إِنَّا نَحَارِبُ أَعْدَاءَ يُسَمَّوْنَ السَّحَرَةَ . وَهَؤُلَاءِ  
السَّحَرَةُ قَامُوا بِقَلْبِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى رِحْلَةٍ مَدْرَسِيَّةٍ لِيُغَيِّظُونَا .

قُلْتُ لَهُ : « إِذَا نُهَاجِمُ السَّحَرَةَ . » إِلَّا أَنْ تَوْمَ سَوِيرَ نَعْتَنِي  
بِالْأَحْمَقِ ، وَقَالَ : « نُهَاجِمُهُمْ ! إِنَّ السَّاحِرَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَدْعِيَ  
الكَثِيرَ مِنَ الْعَفَارِيتِ ، الَّذِينَ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَمَزَقُوا إِرْبًا قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ  
فَاكَ طَلَبًا لِلنَّجْدَةِ . إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَفَارِيتَ طَوَالَ كَالْأَشْجَارِ ، وَضِخَامَ  
كَالْمَنَازِلِ . »

قُلْتُ : « وَلَكِنْ لِنَفَرِضَ أَنَّ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَسْتَعِينَ بِبَعْضِ الْعَفَارِيتِ  
لِمُسَاعَدَتِنَا ، أَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَهْزِمَ عِنْدَيْهِ الْجَمَاعَةَ الْآخَرَى ؟ »

سَأَلَ تَوْمَ : « وَكَيْفَ نَحْصُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعَفَارِيتِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَا أَعْرِفُ . كَيْفَ يَسْتَدْعِيهِمُ السَّحَرَةُ ؟ »

أَجَابَ : « إِنَّهُمْ يَدْلُكُونَ مِصْبَاحًا قَدِيمًا أَوْ خَاتَمًا مِنَ الْحَدِيدِ ،  
فَتَظْهَرُ الْعَفَارِيتُ وَسَطَ رَعْدٍ وَبَرْقٍ وَسَحَابٍ مِنَ الدُّخَانِ . وَهَذِهِ  
الْعَفَارِيتُ تَقُومُ بِخِدْمَةِ مَنْ يَدْعُو المِصْبَاحَ أَوْ الخَاتَمَ ، فَإِذَا أَمَرَهُمْ  
أَنْ يَبْنُوا قَلْعَةً طَوَّلَهَا سِتُونَ كِيلُومِترًا وَيَمْلَأُوهَا لَهُ بِالْحَلْوَى ، أَوْ بِمَا

يَشْتَهِي مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ ، أَوْ يُحْضِرُوا لَهُ ابْنَةً مَلِكِ الصِّينِ كَيْ  
يَتَزَوَّجَهَا ، فَإِنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ قَبْلَ شُرُوقِ الْيَوْمِ التَّالِي . »

وَقَرَّرْتُ أَنْ أَخْتِيرَ صِبْغَةَ هَذَا الْكَلَامِ ، فَأَحْضَرْتُ مِصْبَاحًا قَدِيمًا  
مِنَ الصَّفِيحِ وَخَاتَمًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَأَخَذْتُ أَدْعُكُهُمَا وَأَدْعُكُهُمَا حَتَّى  
تَصِيبْتُ عَرَقًا مِثْلَ حُصَانٍ . وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّي سَأَمُرُ الْعَفَارِيتَ بِبِنَاءِ  
قَلْعَةٍ ثُمَّ أبيعُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ لِي عَفْرِيتٌ وَاحِدٌ ؛ عِنْدَيْهِ آمَنْتُ  
أَنْ هَذَا كُلُّهُ لَيْسَ إِلَّا خَيَالًا يَدُورُ فِي عَقْلِ تَوْمَ سَوِيرِ .



يا لك من ولدٍ أحمق !»

تَوَجَّهْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بَعْدَ الْإِفْطَارِ وَأَنَا أَحْسُ بِالْقَلْقِ . وَهَبَطْتُ الدَّرَجَ إِلَى الْحَدِيقَةِ الْأَمَامِيَّةِ ، وَتَسَلَّقْتُ سَوْرَهَا الْمُرْتَفِعَ ، فَرَأَيْتُ الثَّلْجَ يُعْطِي الْأَرْضَ بَارْتِفَاعَ ثَلَاثَةِ سَنْتِمِترَاتٍ ، كَمَا رَأَيْتُ آثَارَ أَقْدَامِ أَحَدِ الْأَشْخَاصِ ، فَاِنْخَنَيْتُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهَا فَرَأَيْتُ أَثَرًا لِشَكْلِ مَنْ تِلْكَ الْأَشْكَالِ ، الَّتِي يَصْنَعُهَا الْبَعْضُ فِي كُعُوبِ أَحَدِيَّتِهِمْ مِنَ الْمَسَامِيرِ ؛ بَغِيَّةَ إِبْعَادِ الشَّيْطَانِ عَنْهُمْ . وَكَانَ هَذَا الشَّكْلُ فِي كَعْبِ قَرْدَةٍ الْحِذَاءِ الْيُسْرَى . فَهَضَمْتُ مِنْ مَكَانِي سَرِيعًا ، وَهَبَطْتُ التَّلَّ قَفْزًا ، وَوَصَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي نَاشِرًا فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ .

سَأَلَنِي الْقَاضِي نَاشِرًا : « مَاذَا حَدَّثَ يَا بَنِي ؟ إِنْ جَسَدَكَ يَنْتَفِضُ . هَلْ جِئْتَ فِي طَلَبِ فَائِدَةٍ أَمْوَالِكَ ؟ »

قُلْتُ : « لَا ، يَا سَيِّدِي ، بَلْ أُرِيدُ أَنْ أَتَنَازَلَ لَكَ عَنْهَا ، هِيَ وَالسَّتَةُ آلَافِ دُولَارٍ . أَرْجُوكَ أَنْ تَقْبَلَهَا ، وَلَا تَسْأَلَنِي عَنِ الْأَسْبَابِ حَتَّى لَا أَضْطُرَّ لِلْكَذِبِ . »

فَكَّرَ الْقَاضِي نَاشِرًا فِي الْأَمْرِ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَامَ وَدَوَّنَ شَيْئًا فِي قِطْعَةٍ وَرَقٍ قَائِلًا : « حَسَنًا ، هَذَا يَعْنِي أَنَّي اشْتَرَيْتُهَا مِنْكَ وَدَفَعْتُ لَكَ قِيمَتَهَا . خُذْ ، هَذَا دُولَارٌ لَكَ وَوَقِّعْ لِي عَلَى هَذِهِ الْوَرَقَةِ . » فَوَقَّعْتُهَا ، وَغَادَرْتُهُ .

## الفصل الثاني هَكَ يَعْيشُ مَعَ أَبِيهِ

انْقَضَتْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ، أَوْ رُبَّمَا أَرْبَعَةٌ ، وَدَخَلَ فَصْلُ الشِّتَاءِ . وَكُنْتُ مُعْظَمَ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَتَرَدَّدُ عَلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَأَصْبَحَ بِاسْتِطَاعَتِي الْآنَ أَنْ أَتَهَجِّي الْحُرُوفَ ، وَأَكْتُبَ وَأَقْرَأَ قَلِيلًا .

فِي الْبِدَايَةِ كُنْتُ أَكْرَهُ الْمَدْرَسَةَ ، وَلَكِنِّي سَرْعَانَ مَا اعْتَدْتُهَا . كَمَا أَنَّ عَادَاتِ وَقَالِيدَ الْأَرْمَلَةِ لَمْ تَعُدْ تُسَبِّ لِي أَلْمًا أَوْ ضِيقًا . وَكَانَتْ تَقُولُ لِي إِنَّهَا رَاضِيَةٌ عَنِ تَقَدُّمِي ، وَلَمْ تَعُدْ تَخْجُلُ مِنْ تَصَرُّفَاتِي .

وَحَدَّثَ ذَاتَ صَبَاحٍ أَنَّ قَلْبْتُ الْمِلْحَ عَلَى طَعَامِ الْإِفْطَارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَنَّنِي حَاوَلْتُ أَنْ أُمِدَّ يَدِي بِسُرْعَةٍ لِأَخْذِ بَعْضًا مِنْهُ ؛ كَيْ أَلْقِيَهُ مِنْ عَلَى كَتْفِي الْيُسْرَى حَتَّى أَبْعِدَ عَنِّي سُوءَ الْحَظِّ ، إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَةَ وَاطْسُنْ صَاحَتْ عَلَيَّ قَائِلَةً : « أَبْعِدْ يَدَيْكَ ، يَا هَكْلِبْرِي !



عِنْدَمَا صَعِدْتُ إِلَى عُرْفَتِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ كَانَ أَبِي يَجْلِسُ فِيهَا ،  
فَقَدْ دَخَلْتُ الْغُرْفَةَ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ ، ثُمَّ اسْتَدْرْتُ فَقَوَّجْتُ بِهِ  
جَالِسًا . لَمْ أَكُنْ خَائِفًا مِنْهُ بِقَدْرٍ مَا كُنْتُ مُتَضَايِقًا .

كَانَ شَعْرُهُ طَوِيلًا أَشْعَثَ قَدِيرًا يَتَدَلَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَتَلَمَعَ عَيْنَاهُ  
مِنْ خِلَالِهِ . كَانَ شَعْرُهُ أَسْوَدَ ، وَشَارِبُهُ أَسْوَدَ ، وَلَا لَوْنٌ لِأَيِّ مِنَ  
التَّقَاطِيعِ الَّتِي تَبْرُزُ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ خِلَالِ شَعْرِهِ . أَمَّا مَلَابِسُهُ فَكَانَتْ  
عِبَارَةً عَنْ أَسْمَالٍ بِالْيَةِ . وَعِنْدَمَا وَقَعَ نَظْرِي عَلَى النَّافِذَةِ لَاحَظْتُ  
أَنَّهَا مَفْتُوحَةٌ ، فَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ تَسَلَّلَ إِلَى عُرْفَتِي عَنْ طَرِيقِ السَّقْفِيَةِ .

ظَلَّ أَبِي يَنْظُرُ إِلَيَّ طَوِيلًا دُونَ أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ بِكَلِمَةٍ ، وَأَخِيرًا قَالَ :  
« مَلَابِسُكَ جَمِيلَةٌ - جَمِيلَةٌ جَدًّا ! تَنْظُرُ نَفْسُكَ شَخْصًا ذَا قِيَمَةٍ ،  
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ كَمَا أَنَّكَ مُتَعَلِّمٌ أَيْضًا . هُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ .  
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْرَأَ وَأَنْ تَكْتُبَ ، وَتَنْظُرُ نَفْسُكَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِيكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا  
يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ . دَعْنِي أَسْمَعُكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ » . فَتَنَاوَلْتُ  
كِتَابًا ، وَأَخَذْتُ أَقْرَأُ شَيْئًا عَنْ جُورْجِ واشنطن وَعَنِ الْحُرُوبِ الَّتِي  
خَاضَهَا .

وَاصِلْتُ الْقِرَاءَةَ لِمُدَّةٍ دَقِيقَةٍ ، وَفَجْأَةً طَوَّحَ أَبِي الْكِتَابَ مِنْ يَدَيِ  
وَقَالَ : « إِنَّكَ تَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ حَقًّا . انْتَبِهْ إِلَيَّ .. لَوْ حَدَّثَ وَرَأَيْتَكَ

بِالْقُرْبِ مِنْ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ فَسَوْفَ أَسْلَخُ جِلْدَكَ . »

وَجَلَسَ يُمَتِّمُ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ . وَأَخِيرًا قَالَ : « أَنْتَ الْآنَ  
مَلْفَلٌ مُدْكَلٌ ، تَفُوحُ مِنْكَ رَائِحَةُ حُلْوَةٍ ، وَلَكَ فِرَاشٌ ، وَمَلَابِسُ  
لِلنُّومِ ، وَامْرَأَةٌ ، وَبَسَاطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ - وَأَبُوكَ يَنَامُ فِي الْعَرَاءِ !  
وَيَقُولُونَ أَيْضًا إِنَّكَ تُرِي . لَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَدِينَةِ مُنْذُ يَوْمَيْنِ وَسَمِعْتُهُمْ  
يَتَحَدَّثُونَ عَنْكَ وَعَنْ ثُرُوتِكَ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ أَيْضًا عِنْدَ النَّهْرِ ،  
وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَنِي آتِي إِلَى هُنَا . أَحْضِرْ لِي هَذَا  
الْمَالَ غَدًا ؟ أَسَمِعْنِي ؟ أَنَا أُرِيدُهُ . »

أَجَبْتُهُ قَائِلًا : « لَيْسَ لَدَيَّ مَالٌ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَسْأَلَ الْقَاضِيَّ  
ثَانِسِرَ ، وَسَيُخِيرُكَ بِذَلِكَ . »

قَالَ أَبِي : « حَسَنًا ، سَوْفَ أَسْأَلُهُ . وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي كَمْ مَعَكَ الْآنَ  
فِي جَيْبِكَ ؟ »

قُلْتُ : « دُولَارٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ، وَأَنَا أُرِيدُهُ لِكَيْ ... »

قَاطَعَنِي أَبِي صَائِحًا : « هَاتِهِ ! » وَأَخَذَ مِنِّي الدُّولَارَ قَائِلًا إِنَّهُ  
ذَاهِبٌ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَشْتَرِيَ شَرَابًا .

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ أَبِي إِلَى بَيْتِ الْقَاضِيِ ثَانِسِرَ ، وَحَاوَلَ أَنْ



يُرْغِمُهُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الْمَالِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُفْلَحْ فِي ذَلِكَ ،  
فَأَقْسَمَ أَنَّهُ سَيَجْبِرُهُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَحْكَمَةِ .

وَلَجَأَ الْقَاضِي نَاشِرَ الْأَرْمَلَةِ إِلَى الْمَحْكَمَةِ لِكَيْ تَقْضِيَ بِإِعَادِي  
عَنْ أَبِي ، وَإِقَامَةِ أَحَدِهِمَا وَصِيًّا عَلَيَّ ، إِلَّا أَنَّ قَاضِي الْمَحْكَمَةِ  
الْقَدِيمَ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ ، وَجَاءَ فِي مَكَانِهِ قَاضٍ جَدِيدٌ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا  
عَنْ أَبِي . وَرَفَضَ هَذَا الْقَاضِي إِعَادِي عَنْ أَبِي قَاتِلًا إِنَّهُ لَا يُفْضَلُ  
أَنْ يَنْزِعَ طِفْلًا مِنْ أَبِيهِ .

وَذَهَبَ أَبِي إِلَى الْمَحْكَمَةِ لِمُهَاجَمَةِ الْقَاضِي نَاشِرَ حَتَّى يُرْغِمَهُ  
عَلَى التَّخَلِّي عَنِ الْمَالِ ، ثُمَّ قَامَ بِضَرْبِي لِأَنِّي لَمْ أَقْلَعْ عَنِ الذَّهَابِ  
إِلَى الْمَدْرَسَةِ .

وَبَدَأَ كَذَلِكَ يُكْثِرُ مِنَ التَّرَدُّدِ عَلَى بَيْتِ الْأَرْمَلَةِ ، فَهَدَدْتُهُ أَنَّهُ مَا  
لَمْ يَتَّعِدْ عَنْهَا فَإِنَّهَا سَتُثِيرُ الْمُنَاعِبَ فِي وَجْهِهِ ؛ فَجَنُّ جُنُونَهُ ، وَتَوَعَّدَهَا  
بِأَنَّهُ سَيُرِيهَا مَنْ هُوَ وَالِدُ « هَكَ » .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَمْسَكَ بِي وَأَخَذَنِي مَعَهُ فِي قَارِبٍ سَارَ بِنَا فِي النَّهْرِ  
خَمْسَةَ كِيلُومِترَاتٍ تَقْرِيْبًا ، ثُمَّ نَزَلْنَا وَقَطَعْنَا مَسَافَةً طَوِيلَةً سِرًّا عَلَى  
الْأَقْدَامِ ، حَتَّى بَلَغْنَا كَبُورًا قَدِيمًا فِي الْغَابَةِ ، كَانَ مُقَامًا مِنْ  
جَذُوعِ الْأَشْجَارِ .

وَلَمْ تَسْنَحْ لِي فُرْصَةً لِلْهَرَبِ قَطُّ ؛ فَقَدْ كَانَ أَبِي يُغْلِقُ الْبَابَ  
بِالْمِفْتَاحِ بِصِفَةِ دَائِمَةٍ ، وَكَانَ يَضَعُ الْمِفْتَاحَ تَحْتَ رَأْسِهِ لَيْلًا . وَكَانَتْ  
لَدَيْهِ بُدْقِيَّةٌ ، فَكُنَّا نَقُومُ بِصَيْدِ السَّمَكِ وَقَنْصِ الطُّيُورِ ، وَعَلَى هَذَا  
الصَّيْدِ كُنَّا نَقْتَاتُ .

وَكَانَ يَقُومُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ بِحَبْسِي فِي الْكُوخِ ، وَيُغْلِقُ الْبَابَ  
بِالْمِفْتَاحِ ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى الْمُتَجَرِّ وَيَبِيعُ بَعْضَ مَا اصْطَادَ مِنْ سَمَكٍ  
وَطُيُورٍ ، وَيَشْتَرِي بِثَمَنِهَا زُجَاجَةً مِنَ الشَّرَابِ ، يُحْضِرُهَا إِلَى الْكُوخِ ،  
وَيُظَلُّ يَشْرَبُ طَوْلَ اللَّيْلِ حَتَّى يَفْقِدَ صَوَابَهُ ، فَيَقُومُ بِضَرْبِي . وَأَنْقَضَى  
شَهْرَانِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حَتَّى غَدَتْ مَلَاسِي عِبَارَةً عَنْ خِرْقٍ بِالْيَةِ  
رَثَةٍ .

وَفِي الْآوَةِ الْأَخِيرَةِ بَدَأَ أَبِي يُكْثِرُ مِنْ اسْتِخْدَامِ الْعَصَا فِي ضَرْبِي ،  
مِمَّا جَعَلَنِي لَا أَحْتَمِلُ الْعَيْشَ مَعَهُ ، فَحَاوَلْتُ مِرَارًا أَنْ أَهْرَبَ مِنْ  
الْكُوخِ ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَى ذَلِكَ .

كَانَتْ النَّافِذَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْكُوخِ جِدًّا صَغِيرَةً ، حَتَّى إِنَّهُ لَا  
يُمْكِنُ لِكَلْبٍ أَنْ يَنْقُدَ مِنْ خِلَالِهَا ؛ أَمَّا الْمِدْخَنَةُ فَكَانَتْ ضَيْقَةً ؛ وَأَمَّا  
الْبَابُ فَكَانَ مَصْنُوعًا مِنْ خَشَبٍ صُلْبٍ سُمُكُهُ خَمْسَةُ سَنْتِمِترَاتٍ .  
إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ فِي النِّهَايَةِ شَيْئًا - وَجَدْتُ مِشْرَارًا صَدِيدًا لِنَشْرِ  
الْخَشَبِ ، مُخَبَّأً بَيْنَ عَوَارِضِ السَّقْفِ وَالْوَاحِيَةِ . وَأَخَذْتُ الْمِشْرَارَ ،



وَقُمْتُ بِتَرْيِيَّتِهِ ، ثُمَّ بَدَأَتْ أَنْشُرُ أَحَدَ الْجُدُوعِ الْمَوْجُودَةِ أَسْفَلَ جِدَارِ  
الْكُوخِ أَثْنَاءَ غِيَابِ أَبِي لِلصَّيْدِ .

وَقَدْ اسْتَعْرِقَ هَذَا الْعَمَلُ مِنِّي وَقْتًا طَوِيلًا . وَحِينَمَا أَوْشَكْتُ عَلَى  
نَهَائِهِ سَمِعْتُ صَوْتَ بُنْدَقِيَّةِ أَبِي فِي الْغَايَةِ ، فَتَخَلَّصْتُ مِنْ كُلِّ  
عَلَامَةٍ تُنْبِئُ عَمَّا أَقُومُ بِهِ ، وَأَخْفَيْتُ الْمِنْشَارَ .

أَمَرَنِي أَبِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْقَارِبِ ، وَأَحْضِرَ مَا بِهِ مِنْ أَشْيَاءَ كَانَ  
قَدْ أَتَى بِهَا مَعَهُ ؛ فَوَجَدْتُ فِي الْقَارِبِ كَيْسًا مِنَ الدَّقِيقِ زِنَةَ عِشْرِينَ  
كِيلُوْغَرَامًا ، وَلَحْمًا ، وَبَارُودًا وَرَصَاصًا ، وَأَرْبَعَةَ جَالُونَاتٍ مِنَ  
الشَّرَابِ ، وَأَشْيَاءَ أُخْرَى . وَعِنْدَمَا قَرَعْتُ مِنْ إِحْضَارِهَا إِلَى  
الْكُوخِ ، كَانَ الظَّلَامُ يُوْشِكُ عَلَى الْهَبُوطِ .

وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ بَدَأَ أَبِي فِي احْتِسَاءِ الشَّرَابِ ، فَقَدَّرْتُ فِي  
نَفْسِي أَنَّهُ سَيَغِيبُ عَنِ الْوَعْدِيِّ بَعْدَ حَوَالِي سَاعَةٍ ، وَعِنْدَئِذٍ يُمَكِّنُنِي  
أَنْ أُسْرِقَ الْمِفْتَاحَ ، أَوْ أَكْمِلَ نَشْرَ الْجَذْعِ ، وَأَتَسَلَّلَ خَارِجًا مِنَ  
الْكُوخِ . وَقَدْ شَرِبَ أَبِي وَشَرِبَ حَتَّى وَقَعَ عَلَى فِرَاشِهِ نَائِمًا . إِلَّا أَنَّ  
نَوْمَهُ لَمْ يَكُنْ عَمِيقًا ، فَقَدْ ظَلَّ فِتْرَةً طَوِيلَةً يَزْمَجِرُ وَيَنْقُ وَيُلْقِي بِنَفْسِهِ  
هُنَا وَهُنَاكَ .

وَأَخِيرًا اسْتَوْلَى عَلَيَّ النُّعَاسُ حَتَّى إِنَّنِي لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى فَتْحِ  
عَيْنِي . وَقَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ مَاذَا يَحْدُثُ حَوْلِي رَحْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ،





وَتَرَكْتُ الشَّمْعَةَ تَحْتَرِقُ .

لَا أَعْرِفُ كَمَ مِنْ الْوَقْتِ نِمْتُ ، إِلَّا أَنِّي اسْتَقِظْتُ فَجَاءَ عَلَيَّ  
صَرَخَةٌ مُدَوِيَّةٌ ؛ فَرَأَيْتُ أَبِي يَقِفُ هَائِجًا وَسَطَ الْكُوخِ ، وَيَقْفِزُ هُنَا  
وَهُنَا ، وَيَصْرُخُ صَائِحًا : « الثَّعَابِينَ ! » ، وَرَاحَ يَرُدُّ أَنَّ الثَّعَابِينَ  
تَزْحَفُ عَلَى رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ يَقْفِزُ ، وَيَصْرُخُ وَيَقُولُ إِنَّ وَاحِدًا مِنْهَا قَدْ  
عَضَّ فِي خَدِّهِ . غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَرَى آيَةَ ثَعَابِينَ . وَمَا رَأَيْتُ فِي  
حَيَاتِي رَجُلًا مُهْتَاجًا بِمِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبِي . وَسَرَّعَانَ مَا اسْتَوْلَى  
عَلَيْهِ التَّعَبُ ، فَسَقَطَ أَرْضًا ، وَأَخَذَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ ، وَسَكَتَ  
حَرَكَتَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَبْنُ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ، ثُمَّ سَرَّعَانَ مَا تَلَا شَيْ  
صَوْتَهُ تَمَامًا . وَكَانَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَسْمَعَ أَصْوَاتَ الطَّيُورِ اللَّيْلِيَّةِ  
وَعَوَاءَ الذُّئَابِ فِي الْغَابَةِ . وَبَدَأَ الْمَكَانُ حَوْلِي سَاكِئًا سُكُونِ الْمَوْتِ .

وَفَجَاءَ قَفَرٌ أَبِي وَاقِفًا وَالْهَيَاجُ بَادٍ عَلَيْهِ ، وَوَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَيَّ ،  
فَانْجَحَ نَحْوِي ، وَأَخَذَ يُطَارِدُنِي فِي أَنْحَاءِ الْكُوخِ وَقَدْ رَفَعَ سِكِّينًا فِي  
يَدِهِ وَهُوَ يَدْعُونِي بِمَلَكَ الْمَوْتِ ، وَمَرْدِّدًا بَأَنَّهُ سَيَقْتُلُنِي حَتَّى لَا أَعُودَ  
إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَخْبَرْتَهُ أَنِّي هَلْكَ وَلَيْسَ أَحَدًا آخَرَ ، فَأُطْلِقَ ضِحْكَةً  
مُخِيفَةً ، وَأَخَذَ يَزَارُ وَيَصُبُّ عَلَيَّ اللَّعْنَاتِ ، وَاسْتَمَرَّ يُطَارِدُنِي . وَفِي  
مَرَّةٍ كُنْتُ أَسْتَدِيرُ لَأُرَوِّعَ مِنْ تَحْتِ ذِرَاعِهِ فَأُدْرِكْنِي ، وَأَمْسِكَ  
بِمِعْطَفِي مِنْ بَيْنِ كَفَيْي وَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُضِيَ عَلَيَّ ، إِلَّا أَنِّي

أَسْلَلْتُ مِنَ الْمِعْطَفِ بِأَسْرَعٍ مِنَ الْبَرْقِ ، وَأَنْقَذْتُ نَفْسِي مِنْ قَبْضَتِهِ .  
وَسَرَّعَانَ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ التَّعَبُ ، فَسَقَطَ أَرْضًا ، وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى  
الْبَابِ ، قَائِلًا بَأَنَّهُ سَيَسْتَرِيحُ قَلِيلًا ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قَتْلِي . وَوَضَعَ  
السَّكِّينَ تَحْتَ رَأْسِهِ ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيَنَامُ حَتَّى يَسْتَرِدَّ قُوَّتَهُ ثُمَّ يَرَى مَنْ هُوَ  
السَّيِّدُ هُنَا .

وَغَابَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ، فَأَخَذْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ ، وَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُ أَنْ يُبْدِيَ  
حَرَكَاتًا . وَمَضَى الْوَقْتُ بَطِيئًا وَبَطِيئًا وَأَنَا قَائِعٌ فِي مَكَانِي وَسَطَ هَذَا  
السُّكُونِ .



النَّهْرُ . وَكَانَتْ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَعْصَانِ طَافِيَةً فَوْقَ سَطْحِ النَّهْرِ ،  
فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ فِي الْفَيْضَانِ . وَفَجْأَةً ظَهَرَ أَمَامِي زَوْرُقٌ يَتَهَادَى  
عَلَى صَفْحَةِ النَّهْرِ - زَوْرُقٌ جَمِيلٌ ، طَوْلُهُ خَمْسَةُ أَمْتَارٍ .

فَالْقَيْتُ بِنَفْسِي فِي النَّهْرِ وَأَنَا بِكَامِلٍ مِلَابِسِي ، وَانْدَفَعْتُ نَحْوَهُ  
حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِ ، وَاعْتَلَيْتُهُ ، وَأَخَذْتُ أَجْدَفَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى  
الشَّاطِئِ . وَفَرَرْتُ أَنْ أَخْبِئَهُ فِي مَكَانٍ آمِنٍ ، حَتَّى إِذَا مَا قَرَّرْتُ  
الْهَرَبَ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَوَعَّلَ بِهِ فِي النَّهْرِ إِلَى مَسَافَةِ ثَمَانِينَ كِيلُومِتْرًا  
تَقْرِيبًا ، وَأَعْسَكَرَ فِي مَكَانٍ آخَرَ بَدَلًا مِنْ أَنْ أَعِيشَ فِي الْغَابَةِ .

وَعِنْدَمَا بَرَزَ أَبِي مِنْ بَابِ الْكُوخِ كُنْتُ قَدْ أَنْتَهَيْتُ مِنْ إِخْفَاءِ  
الرُّووقِ ، وَبَدَأْتُ أَشَدُّ إِحْدَى الصَّنَائِيرِ . وَأَمْطَرَنِي أَبِي بِسَيَابِهِ وَلَعَنَاتِهِ ؛  
لَأَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّنِي وَقَعْتُ فِي النَّهْرِ . وَجَمَعْنَا مِنْ  
الصَّنَائِيرِ خَمْسَ سَمَكَاتٍ ، وَعَدْنَا إِلَى الْبَيْتِ .

بَعْدَ الْإِفْطَارِ رَقَدْنَا طَلِبًا لِلنَّوْمِ ، فَقَدْ كُنَّا مُرْهَقَيْنِ . وَأَخَذْتُ أَفْكُرُ  
بِمَا لَوْ أَنَّنِي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجِدَ طَرِيقَةً أَمْنَعُ بِهَا أَبِي وَالْأَرْمَلَةَ مِنْ  
مُحَاوَلَةِ الْإِلْحَاقِ بِي فَإِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُرْكَنَ لِلْحِظِّ ،  
وَذَلِكَ حَتَّى اسْتَطِيعَ الْهَرَبُ قَبْلَ أَنْ يَفْتَقِدَانِي .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ انْتَصَبَ أَبِي جَالِسًا لِيَشْرَبَ قَدْحًا آخَرَ مِنَ الْمَاءِ ، وَقَالَ

## الفصل الثالث

### هَرُوبُ هَكَ

اسْتَيْقَظْتُ عَلَى صَوْتِ أَبِي يَصِيحُ بِي : « انْهَضْ ! » فَفَتَحْتُ  
عَيْنِي ، وَنَظَرْتُ حَوْلِي أَحَاوِلُ أَنْ أَكْتَشِفَ أَيْنَ أَنَا . كُنْتُ قَدْ  
اسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ . وَكَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ ، وَجَدْتُ أَبِي  
وَاقِفًا فَوْقِي ، عَابِسَ الْوَجْهِ ، مُعْتَلِّ الْبَدَنِ .

سَأَلَنِي : « مَاذَا تَفْعَلُ بِهِذِهِ الْبُنْدُوقِيَّةِ ؟ »

قُلْتُ : « لَقَدْ حَاوَلْتُ شَخْصَ أَنْ يَفْتَحِمَ الْمَكَانَ ، فَأُمْسَكْتُ  
بِالْبُنْدُوقِيَّةِ لِأَهْدَدَهُ . »

سَأَلَ أَبِي : « وَلِمَاذَا لَمْ تَوْقِظْنِي ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَقَدْ حَاوَلْتُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ . »

قَالَ : « حَسَنًا ، أَخْرِجْ وَانْظُرْ لَنَا إِنْ كَانَ ثَمَّةَ سَمَكٍ فِي  
الصَّنَائِيرِ لِنَتَنَاوَلَ إِفْطَارَنَا . »

وَقَامَ أَبِي وَفَتَحَ لِي الْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ ، فَخَرَجْتُ مُتَجِّهًا نَحْوَ ضِفَّةِ



لي : « إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَأْتِ إِلَى هُنَا يَقْصِدُ خَيْرًا . كَانَ لَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَهُ . أَيْقِظْنِي فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ . هَلْ تَسْمَعُ ؟ »

أَوْحَتْ إِلَيَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ أَنْفِذَهَا لِكَيْ أَهْرَبَ ، وَقُلْتُ لِنَفْسِي : الْآنَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْتَبَ الطَّرِيقَةَ حَتَّى لَا يُفَكِّرَ أَحَدٌ فِي الْوَلَّاقِ بِي .

كَانَتْ السَّاعَةُ تَقْتَرِبُ مِنَ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ حِينَ كُنَّا نَسِيرُ بِمُحَاذَةِ ضِفَّةِ النَّهْرِ . وَلَمْ يَمْضِ سِوَى وَقْتٍ قَصِيرٍ حَتَّى ظَهَرَ أَمَامَنَا فَجْأَةً رَمَتْ مَكُونٌ مِنْ تِسْعَةِ جُدُوعٍ مِنْ جُدُوعِ الْأَشْجَارِ ، شَدَّتْ إِلَى بَعْضِهَا ، فَجَذَبْنَاهُ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَجَلَسْنَا نَتَنَاوَلُ غَدَاءَنَا . كَانَتْ هَذِهِ الْجُدُوعُ التَّسْعَةُ كَافِيَةً لِأَنْ تَجْعَلَ أَبِي يُسْرِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ طَلِبًا لِبَيْعِهَا ، فَأَخَذَنِي وَحَبَسَنِي فِي الْكُوخِ ، وَأَنْطَلَقَ هُوَ فِي الْقَارِبِ وَمَعَهُ الرَّمْتُ .

سَرَعْتُ فِي إِيْتِمَامِ نَشْرِ ذَلِكَ الْجِدْعِ مَرَّةً أُخْرَى . وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ أَبِي إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ النَّهْرِ كُنْتُ قَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْفَجْوَةِ الَّتِي صَنَعْتُهَا ، فَرَأَيْتُ أَبِي وَقَارِبُهُ مِثْلَ نُقْطَةٍ طَافِيَةٍ فَوْقَ الْمَاءِ .

أَخَذْتُ جُوالِقَ الدَّقِيقِ إِلَى حَيْثُ خَبَّاتِ الزُّورَقُ ، وَكَذَلِكَ نَقَلْتُ اللَّحْمَ ، وَالْبَنَ ، وَالسُّكَّرَ ، وَالْبَارُودَ ، وَالرِّصَاصَ ، وَالْدَّلُوَ ، وَالْمِنْشَارَ الْقَدِيمَ ، وَبَطَانِيَتَيْنِ ، وَالْمِقْلَاةَ ، وَإِنَاءَ الْقَهْوَةِ ، بِاخْتِصَارٍ أَخَذْتُ كُلَّ

شَيْءٍ لَهُ قِيَمَةٌ وَلَوْ تَافِهَةٌ . وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَخَذَ مَعِيَ فَأْسًا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْجَدُ سِوَى فَأْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ أَتْرَكَهَا فِي الْكُوخِ وَفَقًّا لِلخُطَّةِ الَّتِي وَضَعْتُهَا ، فَأَحْضَرْتُ الْبُنْدُوقِيَّةَ ، وَأَتَهَيْتُ مِنْ تَحْمِيلِ الزُّورَقِ .

أثناء زَحْفِي خَارِجًا مِنَ الْفَجْوَةِ ، وَجَرَ الْأَشْيَاءَ الْكَثِيرَةَ عَلَى الْأَرْضِ ، خَلَفْتُ أَثَارًا كَثِيرَةً عَلَى الْأَرْضِ ؛ فَأَخَذْتُ أَزِيلُ الْآثَارَ الْمَوْجُودَةَ خَارِجَ الْكُوخِ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِي ، فَتَشَرْتُ عَلَيْهَا ثَرَابًا عَظِيمًا ، كَمَا غَطَى نَشَارَةَ الْخَشَبِ الَّتِي تَسَاقَطَتْ مِنْ نَشْرِ الْجِدْعِ ، ثُمَّ أَعَدْتُ ذَلِكَ الْجُزْءَ مِنَ الْجِدْعِ ، الَّذِي كُنْتُ قَدْ نَشَرْتُهُ ، إِلَى مَكَانِهِ ، وَوَضَعْتُ تَحْتَهُ حَجَرَيْنِ ، كَمَا وَضَعْتُ حَجَرًا آخَرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَثْبَتَهُ فِي مَكَانِهِ .

وَكَانَ الْعُشْبُ يَغْطِي الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى الْمَكَانِ الْمُخَبَأَ فِيهِ الزُّورَقُ ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ أَتْرَكْ خَلْفِي أَثَرًا فِي هَذَا الْمَكَانِ .

أَطْلَقْتُ فِي الْغَايَةِ وَمَعِيَ الْبُنْدُوقِيَّةُ أَنْشُدُ صَيْدًا مِنَ الطُّيُورِ ، فَرَأَيْتُ شَاةَ بَرِّيَّةٍ - وَالشَّيْءَ تَتَوَحَّشُ عِنْدَمَا تَهْرَبُ مِنَ الْمَزَارِعِ الَّتِي تُولَدُ فِيهَا - فَأَمْلَقْتُ عَلَيْهَا رِصَاصَةً فَأَصَابْتُهَا وَأَخَذْتُهَا مَعِيَ إِلَى الْكُوخِ .

كَسَرْتُ بَابَ الْكُوخِ بِالْفَأْسِ ، وَجَرَرْتُ الشَّاةَ إِلَى الدَّاخِلِ ،



وَأَحْدَثْتُ فِي عَنُقِهَا جُرْحًا بِالْفَأْسِ ، وَتَرَكْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ تَنْزِفٌ  
دَمَهَا . ثُمَّ مَلَأْتُ جُوالِقًا قَدِيمًا بِالْأَحْجَارِ ، وَسَجَّيْتُ مِنْ حَيْثُ تَرَقَّدُ  
الشَّاةُ حَتَّى النَّهْرِ ، وَهَنَّاكَ أَلْقَيْتُ فِيهِ الْجُوالِقَ . وَهَكَذَا أَصْبَحَ الْآنَ  
بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَرَى أَنَّ شَيْئًا قَدْ سَحِبَ عَلَى الْأَرْضِ فِي اتِّجَاهِ النَّهْرِ .

وَعَمَسْتُ الْفَأْسَ فِي الدَّمِ ، وَنَزَعْتُ بَعْضًا مِنْ شَعْرِ رَأْسِي ،  
وَأَلَصَّقْتُهُ بِظَهْرِ الْفَأْسِ ، وَأَلْقَيْتُ بِهَا فِي أَحَدِ أَرْكَانِ الْكُوخِ . ثُمَّ  
أَلْقَيْتُ الشَّاةَ فِي النَّهْرِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ بَدَأْتُ أَفَكِّرُ فِي شَيْءٍ آخَرَ ،  
فَأَحْضَرْتُ جُوالِقَ الدَّقِيقِ مِنَ الزُّورِقِ إِلَى الْكُوخِ ، وَوَضَعْتُهُ فِي  
مَكَانِهِ الْمُعْتَادِ ، ثُمَّ أَحْدَثْتُ فِي قَاعِهِ ثَقْبًا ، وَحَمَلْتُهُ سَائِرًا بِهِ عَلَى  
العُشْبِ إِلَى بَحِيرَةِ ضَحَلَةٍ . يَسِيلُ مِنْ نَاحِيَّتِهَا الْأُخْرَى جَدُولٌ مَاءٍ ،  
إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصُبُّ فِي النَّهْرِ . وَقَدْ صَنَعَ الدَّقِيقُ الْمُسْتَأَثِّرُ مِنَ الثَّقَبِ أَثْرًا  
ضَعِيفًا عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْبَحِيرَةِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ رَبَطْتُ  
الثَّقَبَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْخِيطِ ، وَأَحْدَثْتُ الْجُوالِقَ إِلَى الزُّورِقِ مَرَّةً أُخْرَى  
وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي : إِنَّهُمْ سَيَتَّبِعُونَ الْأَثَرَ الَّذِي أَحْدَثَهُ الدَّقِيقُ حَتَّى  
الْبَحِيرَةِ وَيَفْتَشُونَهُ فِي جَدُولِ الْمَاءِ بَحْثًا عَنِ اللَّصُوصِ الَّذِينَ قَتَلُونِي ،  
وَسَرَقُوا مَا بِالْكُوخِ مِنْ أَشْيَاءَ . وَلَكِنْ يَبْتَخِثُوا فِي النَّهْرِ سِوَى عَنْ  
جُشْتِي ، وَسَرَعَانْ مَا سَيَصِيبُهُمُ النَّعْبُ ، وَيَكْفُونَ عَنِ الْبَحْثِ ، وَلَا  
يَسْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِي . وَيَكُونُ بِمَقْدُورِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَعِيشَ فِي أَيِّ

مَكَانٍ أُرِيدُهُ . إِنَّ جَزِيرَةَ جَاكْسُونِ مَكَانٌ طَيِّبٌ بِالنِّسْبَةِ لِي ، فَأَنَا  
أَعْرِفُهَا جَيِّدًا ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ .

وَعِنْدَمَا حَلَّ الظُّلَامُ كَانَ النَّعْبُ قَدْ نَالَ مِنِّي ، فَرَحْتُ فِي نَوْمٍ  
عَمِيقٍ . وَحِينَ اسْتَبَقَطْتُ تَنَاهَى إِلَى سَمْعِي صَوْتُ مُتَقَطِّعٍ ، رَتِيبٍ ،  
صَادِرٍ عَنْ مَجْدَافَيْنِ يَضْرِبَانِ وَجْهَ الْمَاءِ وَسَطَ سَكُونِ اللَّيْلِ . وَرَأَيْتُ  
قَارِبًا يَمُخِّرُ عِبَابَ الْمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، هُوَ أَبِي .  
وَكَانَ بِاسْتِطَاعَتِي أَنْ أَلْمِسَهُ بِالْبِنْدَقِيَّةِ حِينَ كَانَ يَمُرُّ أَمَامِي .

فِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ ، بَعْدَ مُرُورِهِ ، انْسَلَلْتُ فِي النَّهْرِ بَعِيدًا ، وَفِي  
دَقَائِقِ مَعْدُودَاتٍ وَصَلْتُ إِلَى جَزِيرَةِ جَاكْسُونِ ، فَسَجَّيْتُ الزُّورِقَ  
إِلَى مَنْحَنَى عَمِيقٍ فِي ضِيقَةِ النَّهْرِ ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَوْسَعَ بَيْنَ  
الأَغْصَانِ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْهِ ، وَلِذَا فَحِينَ رَبَطْتُ الزُّورِقَ إِلَى الْبَرِّ ،  
كَانَ مُحَالًا عَلَيَّ أَيَّ شَخْصٍ أَنْ يَرَاهُ مِنَ الْخَارِجِ .

وَأَوْشَكَ اللَّيْلُ بِحُلُوكَتِهِ عَلَى الانْقِضَاءِ ، وَعَشَى السَّمَاءُ قَلِيلًا مِنْ  
اللَّوْنِ الرَّمَادِيِّ ، فَدَخَلْتُ الْغَابَةَ ، وَارْتَمَيْتُ أَرْضًا أَطْلُبُ قَلِيلًا مِنْ  
النَّوْمِ قَبْلَ أَنْ أَنْهَضَ لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْإِفْطَارِ .



## الفصل الرابع فوق جزيرة جاكسون

كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ ارْتَفَعَتْ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ ، وَكُنْتُ أَغَالِبُ  
النُّومَ عِنْدَمَا سَمِعْتُ صَوْتَ طَلْقَةِ مِدْفَعٍ ، عَمِيقَةِ الصَّدَى ، تَأْتِي مِنْ  
نَاحِيَةِ النَّهْرِ ؛ فَذَهَبْتُ أَتَلَصَّصُ مِنْ خِلَالِ أَوْراقِ الشَّجَرِ ، فَرَأَيْتُ  
مَرَكَبًا مَمْلُوءًا بِالنَّاسِ يَتَهَادَى فَوْقَ صَفْحَةِ النَّهْرِ ؛ فَأَدْرَكْتُ الْأَمْرَ  
مِنْ قَوْرِي . وَسَمِعْتُ صَوْتَ طَلْقَةِ أُخْرَى ، وَرَأَيْتُ الدُّخَانَ الْأَبْيَضَ  
يَنْطَلِقُ مِنْ جَانِبِ الْمَرَكَبِ . لَقَدْ كَانُوا يُطْلِقُونَ الْمِدْفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ حَتَّى  
تَطْفُو جَسْتِي عَلَى السَّطْحِ .

وَلَمَّا اقْتَرَبَ الْمَرَكَبُ مِنَ الْجَزِيرَةِ ، رَأَيْتُ أَبِي عَلَى سَطْحِهِ ،  
وَالْقَاضِي ثَانِشَر ، وَبَسِّي ثَانِشَر ، وَجُو هَارِير ، وَتُوم سَوِير ، وَعَمَّتَهُ  
الْعَجُوزُ بُولَلِي ، وَسَيْدُ ، وَمَارِي ، وَأَنَاسًا أُخْرَيْنَ كَثِيرِينَ .

وَانْطَلَقَ صَوْتُ رَبَّانِ الْمَرَكَبِ بِصِيحٍ : « قِفُوا بَعِيدًا ! » ، وَأَعْقَبَ



ذَلِكَ بِطَلْقَةِ مَدْوِيَةٍ مِنَ الْمَدْفَعِ ، كَادَ زَيْبُهَا يُصِيبُنِي بِالصَّمَمِ ،  
وَأَوْشَكَ دُخَانُهَا أَنْ يُسَبِّبَ لِي الْعَمَى . ثُمَّ اسْتَمَرَ الْمَرْكَبُ يَتَهَادَى  
مُتَبَعِدًا حَتَّى غَابَ عَن بَصَرِي حَوْلَ الْجَزِيرَةِ .

عَرَفْتُ الْآنَ أَنَّنِي أَصَبَحْتُ آمِنًا ، وَلَكِنْ يُطَارِدُنِي أَحَدٌ ؛ فَأَخْرَجْتُ  
أَمْتِعَتِي مِنَ الزُّورَقِ ، وَأَقَمْتُ لِنَفْسِي مَعْسَكًا صَغِيرًا فِي الْغَابَةِ  
الْكثِيفَةِ . وَصَنَعْتُ مِنَ الْبَطَاطِينِ شَيْئًا يُشَبِّهِ الْخِيْمَةَ ، حَتَّى لَا يَصِلَ  
الْمَطَرُ إِلَى الْأَمْتِعَةِ ، ثُمَّ قُمْتُ بِاصْطِيَادِ سَمَكَةٍ . وَحِينَ مَالَتْ  
الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ أَوْقَدْتُ نَارًا أَمَامَ مَعْسَكِي ، وَجَلَسْتُ أَتَنَاوَلُ  
عَشَائِي .

وَعِنْدَمَا حَلَّ الظَّلَامُ جَلَسْتُ بِجِوَارِ النَّارِ ، وَشَعُورُ الرِّضَا يَمْلَأُونِي .  
إِلَّا أَنَّنِي بَعْدَ مُرُورِ وَقْتٍ قَصِيرٍ شَعَرْتُ بِالْوَحْدَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَوَيْتُ  
إِلَى الْفِرَاشِ ، فَلَيْسَ ثَمَّةَ أَفْضَلَ مِنَ النَّوْمِ تَقْطَعُ بِهِ الْوَقْتَ حِينَ  
تُحْسِنُ بِالْوَحْشَةِ .

وَمَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ  
ذَهَبْتُ اسْتَكْشِفُ الْجَزِيرَةَ ، وَأَخَذْتُ أَتَوَعَّلُ فِي الْغَابَةِ . وَفَجأةً رَأَيْتُ  
أَمَامِي رَمَادًا مُتَخَلِّفًا عَن نَارٍ أَوْقَدَتْ أَمَامَ مَعْسَكِي ، وَكَانَ الدُّخَانُ لَا  
يَزَالُ يَتَصَاعَدُ مِنَ الرَّمَادِ .

وَقَفَزَ قَلْبِي بَيْنَ ضُلُوعِي رُعبًا ، وَانْسَلَلْتُ عَائِدًا بِأَسْرَعٍ مَا

يُمْكِنُنِي . وَكُنْتُ أَتَوَقَّفُ فِي سِيرِي بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ ، وَأَتَنَصَّتُ ،  
وَلَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا سِوَى أَنْفَاسِي الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِي بِصَوْتٍ  
مُرْتَفِعٍ .

وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْمَعْسَكِ وَضَعْتُ جَمِيعَ أَمْتِعَتِي فِي الزُّورَقِ ،  
وَتَسَلَّلْتُ بِهِ ، عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ ، إِلَى ضِفَّةِ نَهْرِ « الْيُنُوبِي » ، ثُمَّ  
قُمْتُ بِطَهْيِ طَعَامِ الْعِشَاءِ فِي الْغَابَةِ . وَلَمْ أُنَمْ كَثِيرًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ .  
وَكَُنْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ اسْتَيْقِظُ فِيهَا أَحْسَبُ أَنَّ شَخْصًا يُطَبِّقُ عَلَيَّ  
عُنْقِي . وَأَخِيرًا قُلْتُ لِنَفْسِي : « لَا بُدَّ أَنْ أَكْشِفَ مَنْ يَعِيشُ عَلَى  
الْجَزِيرَةِ وَإِلَّا فَإِنِّي سَأَنْفَجِرُ . » وَهَذَا أَحْسَنُ بِالرَّاحَةِ .

أَخَذْتُ أَجْدَفُ بِالزُّورَقِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَهَبَطْتُ  
عَلَيْهَا وَمَعِيَ بِنْدَقِيَّتِي ، وَتَسَلَّلْتُ إِلَى دَاخِلِ الْغَابَةِ . كَانَ الضَّوُّ  
الْبَاهِتُ الَّذِي يَتَسَلَّلُ مِنْ أَعَالِي الْأَشْجَارِ يُنبِئُ عَن انْبِلَاجِ النَّهَارِ .  
وَمِنْ خِلَالِ الْأَشْجَارِ أَبْصَرْتُ نَارًا مُشْتَعِلَةً ، فَزَحَفْتُ نَحْوَهَا . وَهَنَّاكَ  
رَأَيْتُ رَجُلًا يَرْقُدُ عَلَى الْأَرْضِ - كَانَ « جِيم » خَادِمُ الْإِنْسَةِ  
« وَاطْسَن » . وَتَمَلَّكَنِي السُّرُورُ حِينَ رَأَيْتُهُ .

قُلْتُ لَهُ : وَأَنَا أَقْفِزُ نَحْوَهُ : « مَرْحَبًا ، يَا جِيم . »

وَتَبَّ وَاقِفًا ، وَأَخَذَ يَحْمِلُنِي إِلَيَّ بَعَيْنَيْنِ جَاظِطَيْنِ ، ثُمَّ جَثَا وَأَطْبَقَ



يَدِيهِ عَلَى بَعْضِهِمَا ، وَمَدَّهُمَا أَمَامَهُ وَأَخَذَ يَتَوَسَّلُ قَائِلًا :  
« أَرْجوك لا تُؤذني ! لا تُؤذني ! أنا لَمْ أُوذِ شَيْعًا قَطُّ . عُدْ إِلَى النَّهْرِ  
ثَانِيَةً . لا تُؤذِ جِيمَ الْعَجُوزِ ، الَّذِي كَانَ صَدِيقَكَ الْوَفِيَّ . »

لَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى فَهِمَ أَخِيرًا أَنِّي لَمْ أَمِتْ ، ثُمَّ قُلْتُ  
لَهُ : « هَيَّا تَنَاوَلْ إِفْطَارَنَا . زِدِ النَّارَ اشْتِعَالًا »

قَالَ آسَفًا : « وَمَا جَدَوِي النَّارُ مَعَ التَّوْتِ ، وَمَعَ طَعَامٍ مِثْلِ  
هَذَا ؟ »

قُلْتُ : « تَوْت ! أَهَذَا مَا تَعِيشُ عَلَيْهِ ؟ لَا بُدَّ أَنَّكَ تَتَضَوَّرُ  
جَوْعًا . »

ذَهَبْنَا إِلَى الزُّورَقِ ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يُشْعَلُ فِيهِ النَّارُ ،  
كُنْتُ أَنَا أَقْوَمُ بِإِحْضَارِ الدَّقِيقِ وَاللَّحْمِ وَالْبَنِّ وَإِنَاءِ الْقَهْوَةِ وَالْمِفْلَاةِ  
وَالسُّكَّرِ وَالْأَكْوَابِ . وَأَسَعَتْ عَيْنَا جِيمَ دَهْشَةٍ وَهُوَ يَرَى كُلَّ هَذِهِ  
الْأَشْيَاءِ ، إِذْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ كُلَّ هَذَا يَتِمُّ بِفِعْلِ السَّحَرِ . ثُمَّ قُمْتُ  
بِاصْطِيَادِ سَمَكَةٍ كَبِيرَةٍ أَيْضًا ، قَامَ جِيمُ بِتَنْظِيفِهَا وَطَهُورِهَا . وَرَعِمَ أَنَّ  
الطَّعَامَ كَانَ سَاحِنًا جِدًّا تَبَعْتُ مِنْهُ سَحَبُ الدُّخَانِ إِلَّا أَنَّنَا التَّهْمَنَاهُ  
النِّهَامًا . وَكَانَ جِيمُ ، مِنْ شِدَّةِ جَوْعِهِ ، يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ .  
وَلَمَّا شَبِعْنَا تَمَدَّدْنَا أَرْضًا . وَقَالَ جِيمُ : « خَبَّرَنِي ، يَا هَكَ ، مَنْ الَّذِي

قِيلَ فِي ذَلِكَ الْكَوْخِ ؟ » فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا حَدَّثَ . قَرَدَ عَلَيَّ قَائِلًا بِأَنَّ  
ذَلِكَ كَانَ ذِكَاءً مِنِّي . وَسَأَلْتُهُ : « وَكَيْفَ جِئْتَ إِلَى هُنَا ، يَا  
جِيم ؟ » فَقَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تَشِي بِي لَوْ أَخْبَرْتُكَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ،  
يَا هَكَ ؟ » فَطَمَأْنَنَتُهُ قَائِلًا : « بَلَى ، كُنْ أَشْيَ بَكَ أَبَدًا ، يَا جِيم . »  
قَالَ جِيمُ : « حَسَنًا ، أَنَا أَصَدِّقُكَ ، يَا هَكَ . لَقَدْ هَرَبْتُ . »

صَحْتُ قَائِلًا : « جِيم ! هَرَبْتَ ! أَخْبِرْنِي بِكُلِّ شَيْءٍ . »

قَالَ جِيمُ يَسْرُدُ مَا حَدَّثَ : « لَقَدْ سَارَتْ الْأُمُورُ عَلَى هَذَا النُّحَى :  
لَا حِظُّتُ فِي الْأَوْنَةِ الْأَخِيرَةِ تَرَدَّدُ أَحَدٌ تِجَارَ الْعَبِيدِ عَلَى الْمَنْزِلِ ؛ قَبْدًا  
الْقَلْقُ يُسَاوِرُنِي . وَذَاتَ لَيْلَةٍ سَمِعْتُ الْآنِسَةَ وَاطْسُنَ تُخَيِّرُ الْأَرْمَلَةَ  
بِأَنَّهُمَا سَتِيْعُنِي ، عَلَى غَيْرِ رَغَبَتِهَا ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ سَيَكْفُلُ لَهَا الْحَصُولَ  
عَلَى ثَمَانِمِئَةِ دُولَارٍ ثَمَنًا لِي . وَقَدْ حَاوَلَتِ الْأَرْمَلَةُ أَنْ تُثْنِيَهَا عَنْ ذَلِكَ  
لَكِنِّي لَمْ أَتَظَرَّ لِأَسْمَعَ بِقِيَّةِ الْحَدِيثِ ، وَغَادَرْتُ الْمَنْزِلَ مِنْ فَوْرِي . »

« اخْتَبَأْتُ اللَّيْلَ بِطَوْلِهِ ، وَنَهَارَ الْيَوْمِ التَّالِي . وَكَانَ الْبَحْثُ جَارِيًا  
عَنِّي طَوَالَ الْوَقْتِ . وَفِي مَخْبِئَتِي تَوَصَّلْتُ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيَّ فِعْلُهُ ،  
فَمَزَمْتُ عَلَى تَنْفِيذِهِ . أَتَيْتُ تَعَلَّمُ أَنَّنِي لَوْ ظَلَمْتُ أَهْرَبُ سِرًّا عَلَى  
قَدَمَيَّ فَإِنَّ الْكِلَابَ سَتَتَعَقَّبُنِي ، وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي سَرِقَةٍ قَارِبٍ لِأَعْبُرَ بِهِ  
النَّهْرَ فَإِنَّهُمْ سَيَمْتَقِدُونَهُ ، وَيَعْرِفُونَ الْمَكَانَ الَّذِي هَبَطْتُ مِنَ الْقَارِبِ

إِلَيْهِ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ النَّهْرِ ، وَمَنْ ثُمَّ يَتَعَقَّبُونَ أَثَارِي . وَلِذَلِكَ  
قُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّ الرَّمْثَ هُوَ مَطْلَبِي ، فَالرَّمْثُ لَا يَتْرُكُ أَثَارًا .

« وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ ضَوْءًا آتِيًا مِنْ عِنْدِ مُنْحَنَى النَّهْرِ سَبَحْتُ بِعَرَضِ  
النَّهْرِ حَتَّى مُتَنَصِّفِهِ ، ثُمَّ عُدْتُ أَسْبَحُ عَكْسَ التِّيَّارِ ، حَتَّى جَاءَ إِلَيَّ  
الرَّمْثُ . وَعِنْدَمَا حَلَّ الظُّلَامُ اعْتَلَيْتُهُ ، وَرَقَدْتُ عَلَى أَلْوَاحِهِ الْحَشِيبَةِ .  
وَكَانَ الرِّجَالُ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِّي مُتَشِيرِينَ فِي مُتَنَصِّفِ النَّهْرِ حَيْثُ  
كَانَ الْفَانُوسُ . وَقَدْ قَدَّرْتُ أَنِّي بِحُلُولِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ صَبَاحًا  
سَأَكُونُ قَدْ سِرْتُ فِي النَّهْرِ أَرْبَعِينَ كِيلُومِتْرًا ، وَمِنْ هُنَاكَ أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أَسْبَحَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَأَخْتَبِي فِي الْغَايَةِ . وَلَكِنِّي رَجُلٌ ذُو حِظٍّ  
سَيِّئٍ ، فَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمْ ، وَفِي يَدِهِ فَانُوسٌ ، إِلَى حَيْثُ كُنْتُ .  
فَانْدَفَعْتُ فِي النَّهْرِ سَابِحًا إِلَى الْجَزِيرَةِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى مَقَرَّبَةٍ  
مِنِّي . »

كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَكْشِفَ مَكَانًا يَقَعُ فِي مُتَنَصِّفِ الْجَزِيرَةِ ، وَهُوَ  
مَكَانٌ عَثُرْتُ عَلَيْهِ أَثْنَاءَ ارْتِيَادِي لِلْجَزِيرَةِ . وَلِذَلِكَ بَدَأْتُ السَّيْرَ نَحْوَهُ ،  
وَسَرَّعَانِ مَا وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، فَالْجَزِيرَةُ لَمْ تَكُنْ تَتَجَاوَزُ خَمْسَةَ كِيلُو  
مِتْرَاتٍ طَوْلًا ، وَكِيلُومِتْرًا عَرْضًا .

كَانَ الْمَكَانُ عِبَارَةً عَنْ تَلٍّ شَدِيدِ الانْحِدَارِ ، فَتَسَلَّقْنَاهُ ، وَبِالْقُرْبِ  
مِنَ الْقِمَّةِ وَجَدْنَا مَغَارَةً كَبِيرَةً ، فَافْتَرَحَ جِيمٌ أَنْ تَضَعَ أُمْتِعَتَنَا فِيهَا

دُونَ إِبْطَاءٍ ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ تَتَذَرُّ بِمَطَرٍ شَدِيدٍ ، وَلَا نُرِيدُ لَأُمْتِعَتِنَا  
أَنْ يُصِيبَهَا الْبَلَلُ . وَمِنْ ثُمَّ فَقَدْ عُدْنَا إِلَى الزُّورَقِ ، وَجَدَفْنَا حَتَّى  
وَصَلْنَا إِلَى نُقْطَةٍ مُوَازِيَةٍ لِلْمَغَارَةِ ، وَحَمَلْنَا كُلُّ أُمْتِعَتِنَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ  
خَبَأْنَا الزُّورَقَ بَيْنَ الشَّجَرَاتِ الْكَثِيفَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَّا . وَأَخَذْنَا بَعْضَ  
السَّمَكِ مِنَ الصَّنَانِيرِ ثُمَّ أَعْدَدْنَاهَا إِلَى مَكَانِهَا مَرَّةً أُخْرَى .

وَأَوْقَدْنَا نَارًا خَارِجَ الْمَغَارَةِ ، وَطَهَوْنَا طَعَامَ الْعِشَاءِ ، وَجَلَسْنَا نَتَنَاوَلُهُ  
عَلَى الْبَطَّاطِينَ الَّتِي فَرَسْنَاهَا دَاخِلَ الْمَغَارَةِ . ثُمَّ سَرَّعَانِ مَا حَلَّ  
الظُّلَامُ ، مَصْحُوبًا بِرَعْدٍ وَبَرْقٍ ، وَهَظَلِ الْمَطَرُ مِدْرَارًا ، وَعَصَفَتِ  
الرِّيحُ ، وَاشْتَدَّ زَيْبُهَا . وَقُلْتُ لِجِيمٍ : « جِيمُ ، هَذَا الْمَكَانُ أَفْضَلُ مِنْ  
أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ . نَاوِلْنِي شَرِيحَةَ سَمَكٍ وَبَعْضًا مِنْ خُبْزِ الدُّرَةِ . »

ظَلَّ النَّهْرُ يَرْتَفِعُ طِيلَةَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، حَتَّى  
فَاضَتْ مِيَاهُهُ عَلَى ضِفَّتَيْهِ . أَمَّا فِي الْجَزِيرَةِ فَبَلَغَ عُمُقُ الْمِيَاهِ فِي  
الْأَمَاكِنِ الْمُنْخَفِضَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِتْرٍ . وَكُنَّا نَتَجَوَّلُ ، أَثْنَاءَ النَّهَارِ ، فِي  
أَسْوَءِ الْجَزِيرَةِ بِالزُّورَقِ . وَكَانَ الْجَوُّ بَارِدًا وَظَلِيلًا فِي أَعْمَاقِ الْغَايَةِ ،  
فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكُونُ الشَّمْسُ فِيهِ مُلْتَهَبَةً خَارِجَهَا .

وَذَاتَ لَيْلَةٍ عَثَرْنَا عَلَى رَمْثٍ ذِي أَلْوَحٍ سَمِيكَةٍ . كَانَ عَرْضُهُ  
أَكْثَرَ مِنْ مِتْرٍ ، أَمَّا طَوْلُهُ فَبَلَغَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ أَمْتَارٍ . وَكَانَ أَعْلَاهُ  
الرَّافِعُ عَنِ الْمَاءِ خَمْسَةَ عَشَرَ سَنْتِمِتْرًا ، فَكَانَ أَشْبَهَ بِأَرْضِيَّةٍ صُلْبَةٍ



الأدوية منزوعة عنها بطاقتها . وحين هممنا بمغادرة المنزل وجد جيم ساقاً خشبية مقطوعة أربطتها . ولكنها كانت في حال جيدة ، رغم أنها كانت طويلة بالنسبة لي قصيرة بالنسبة لجيم . وقد فتشنا المكان فترة طويلة بحثاً عن الساق الثانية فلم نعثر عليها .

وبعد أن تناولنا طعام العشاء ، أخذنا نفتش في الملابس التي أحضرناها من المنزل ، فوجدنا ثمانية دولارات فضية مخططة عليها في أحد المعاطف . وقلت لجيم : « عندما أحضرت معي جلد الثعبان الذي وجدته على التل ، قلت لي إن هذا ندير شوم ، ومجلة للحظ السيئ . وها نحن قد جمعنا كل هذه الأشياء ، وفوقها ثمانية دولارات . إنني أتمنى لو كان لي حظ سيئ مثل هذا كل يوم . »

قال جيم : « لا تتعجل ، إنه آت . »

دار هذا الحديث بيننا يوم الثلاثاء . وبعد أن تناولنا عشاءنا يوم الجمعة ، وجدت ثعباناً من نوع الثعابين المجلجلة فقتلته ، ولقفتها ، وضعتها في بطانية جيم . ولم أكن أقصد من وراء هذا سوى أن أمزح وأضحك من منظر جيم حين يجده في البطانية . ثم نسيت تماماً كل ما يتعلق بذلك الثعبان . وعندما ألقى جيم بجسده على البطانية ، في الوقت الذي كنت أشعل فيه المصباح ، كانت رفيقة

وفي ليلة أخرى شاهدنا ، عند الفجر ، منزلاً خشبياً طافياً على الماء ، فأتجهنا نحوه بالزورق ، وصعدنا إلى سطحه ، فرأينا هناك فراشاً ، ومنضدة ، وكرتين قديمين ، وأشياء أخرى كثيرة ملقاة على أرضية المنزل . وفي ركن قصي منه شاهدنا شيئاً يشبه رجلاً . فقال جيم : « إنه ميت ، لقد أطلق عليه الرصاص من خلفه . أدخل ، يا هك ، ولا تنظر إلى وجهه . »

ولقي جيم ببعض الملابس القديمة على الرجل ، ولم تكن ثمة ضرورة لكي يفعل ذلك ؛ لأنني كنت سأتحاشى مشاهدته .

ورأينا أوراق اللعب مبعثرة في أنحاء المكان ، وقناعين من قماش أسود ، وملابس رجال ونساء معلقة على الجدار . ومن الطريقة التي كانت عليها هذه الأشياء مبعثرة في أنحاء المكان قدرنا أن الناس الذين كانوا بهذا المنزل قد غادروه مسرعين .

وبالإضافة إلى الملابس وجدنا فانوساً من الصفيح ، وسكيناً ، ومجموعة من الشموع ، وفأساً ، وصنارة في سلك أصبغى ، وبعض الخطاطيف الكبيرة ، وحدوة حصان وطوقاً من الجلد ، من تلك الأطواق التي توضع حول رقاب الكلاب ، وبعض قوارير

الثُّعْبَانِ مَوْجُودَةً فِي الْبَطْنَانِيَّةِ ؛ فَعَضَّتْ جِيمَ .

فَفَزَّ جِيمٌ مِنْ مَرَقْدِهِ وَهُوَ يَصْرُخُ ، وَقُمْتُ أَنَا بِالْقَضَاءِ عَلَى الْحَيَّةِ بِالْعَصَا . وَأَخَذَ جِيمٌ يَصْرُخُ وَقَتًا طَوِيلًا ، ثُمَّ غَابَ عَنِ الْوَعْيِ . وَكَانَتِ الْحَيَّةُ قَدْ عَضَّتْهُ فِي كَعْبِهِ ، فَتَوَرَّمْتُ سَاقَهُ . وَظَلَّ جِيمٌ مَرِيضًا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ بِلْيَالِيهَا ، ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ الْوَرَمُ ، وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ مَرَّةً أُخْرَى .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ خَطَرٌ لِي أَنَّ أَتَسَلَّلَ عَبْرَ النَّهْرِ لِأَكْتَشِفَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ ، فَقَالَ لِي جِيمٌ إِنَّنِي يَجِبُ أَنْ أُسْرِعَ فِي سَيْرِي ، وَأَنْ أَتَحَرَّكَ فِي الظَّلَامِ . وَأَقْتَرَحَ عَلَيَّ أَنْ أَتَّقِيَ مِنْ بَيْنِ الْمَلَابِيسِ الَّتِي جَمَعْنَاهَا مَلَابِيسَ قَتَاةٍ وَأَرْتَدِيهَا ، فَفَعَلْتُ . وَقُمْنَا بِتَقْصِيرِ أَحَدِ الْفَسَاتِينِ ، وَرَفَعْتُ أَنَا رِجْلِي سِرْوَالِي حَتَّى رُكَبْتُي ، وَأَرْتَدَيْتُ الْفُسْتَانَ . وَقَامَ جِيمٌ بِثَبَّتِ مِشْكِ الْفُسْتَانِ مِنَ الْخَلْفِ . وَوَضَعْتُ قُبْعَةً كَبِيرَةً عَلَى رَأْسِي . وَأَخَذْتُ أَتَمَرَّنُ الْيَوْمَ بِطَوْلِهِ عَلَى كَيْفِيَّةِ التَّصَرُّفِ كَقَتَاةٍ ، وَأَنْ أَعْتَادَ مَلَابِيسِي الْجَدِيدَةَ . وَتَبَهَّنِي جِيمٌ بِأَنَّنِي لَا أَمْشِي مِثْلَمَا تَمْشِي الْفَتَيَاتُ ، وَنَهَانِي عَنْ أَنْ أَرْفَعَ الْفُسْتَانَ كُلَّمَا احْتَجَّتْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ جُيُوبِ السَّرْوَالِ .

وَبَعْدَ أَنْ حَلَّ الظَّلَامُ بَدَأْتُ رِحْلَتِي ، ثُمَّ رَبَطْتُ زُورْقِي أَسْفَلَ شَجَرَةٍ ، وَسِرْتُ بِمُحَازَاةِ ضِيْفَةِ النَّهْرِ . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَسِيرُ شَاهَدْتُ ضَوْعًا يَنْبَعِثُ مِنْ نَافِذَةِ أَحَدِ الْمَنَازِلِ الْمَهْجُورَةِ ، فَتَظَرَّرْتُ مِنَ النَّافِذَةِ ،

فَوَجَدْتُ امْرَأَةً فِي حَوَالِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، جَالِسَةً تَحِيكُ ثَوْبًا عَلَى ضَوْءِ شَمْعَةٍ . كَانَتْ امْرَأَةً غَرِيبَةً . غَيْرَ أَنَّنِي فَكَّرْتُ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الصَّغِيرَةِ مِنْذُ يَوْمَيْنِ ، فَإِنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِكُلِّ مَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَهُ . وَهَكَذَا طَرَقْتُ الْبَابَ وَأَنَا أَتَذَكَّرُ جِدًّا وَأَحَاوِلُ أَلَّا يَغِيبَ عَنِّي بَالِي أَنَّنِي قَتَاةٌ .



قُلْتُ : « لا ، لا داعي لذلك . سأستريح قليلاً ، ثم أواصل سجلي » . فكان ردُّ المرأة أن قالت إن زوجها سيأتي بعد قليل ، وستُرسَله معي . ثم استرسلت في حديث عن زوجها وعن جميع أقاربها ، ثم عرجت في حديثها بعد برهة على أبي ، والجريمة التي وقعت ، فسألتها : « من الذي ارتكب تلك الجريمة ؟ لقد سمعنا الكثير عنها في هوكرزفيل ، إلا أننا لم نعرف من الذي قتل هكّ فين » . فقالت المرأة : « في البداية ظنَّ البعض أن فين العجوز هو نفسه الذي فعلها ، ولكنهم غيروا رأيهم قبل حلول الليل واتهموا عبداً هارباً يدعى جيم ، بارتكاب الجريمة ، فقد هرب ذلك العبد في نفس الليلة التي قُتل فيها هكّ فين ؛ ومن ثم فقد أعلن عن مكافأة لمن يعثر عليه ، قدرها ثلاثمئة دولار . كما أن هناك أيضاً مكافأة أخرى لمن يعثر على فين العجوز ، قدرها مئتا دولار ، فقد جاء فين إلى المدينة في الصباح بعد وقوع الجريمة ، وبلغ عنها ، وخرج مع الناس في القارب ، ثم رحل بعد ذلك مباشرة . وقبل حلول الليل أراد الناس أن يشنقوه ، إلا أنه كان قد رحل . وفي اليوم التالي اكتشف الناس أن جيم قد هرب ، ولم يره أحد منذ الساعة العاشرة من الليلة التي ارتكبت فيها الجريمة ، ومن ثم فقد اتهموه بقتل هكّ فين » .

## الفصل الخامس

« انهض يا جيم ! إنهم يتعقبوننا ! »

قالت المرأة : « ادخلي واجلسي » . وتفحصتني بعينيها اللامعتين من أعلى إلى أسفل ، ثم قالت : « ما اسمك ؟ »

« سارة ويليامز »

« أين تعيشين ؟ »

قُلْتُ : « في مدينة هوكرزفيل ، يا سيدي ، على بعد عشرة كيلومترات من هنا . أمي مريضة ، وقد نفذت منا النقود ، فجئت لأخير خالي أبتز مور بذلك . إنه يعيش في الطرف الآخر من المدينة هل تعرفينه ؟ »

أجابت المرأة : « لا ، فأنا أقيمُ هنا منذ أسبوعين فقط . إن المسافة إلى الطرف الآخر من المدينة طويلة ، فمن الأفضل أن تمكثي هنا الليلة . ادخلي قبعتك » .

سألتها : « أ لا يزالون يطاردون جيم ؟ »

أجابت المرأة : « وهل يجد المرء ثلاثمائة دولار كل يوم ؟ بعض الناس يعتقدون أنه لم يتعد عن هنا ، وهذا هو رأيي أيضا ، فأنا متأكدة أنني رأيت دخانا منذ أيام قليلة فوق جزيرة جاكسون ، ولذلك قلت في نفسي من المحتمل أن يكون ذلك العبد الأبق محببنا هناك ، ولقد ذهب زوجي ومعه رجل آخر ليريا بنفسيهما . »

استولى عليّ القلق لدرجة أنني لم أستطع أن أجلس ساكنا . وكان عليّ أن أفعل شيئا بيدي ، فالتقطت إبرة وبدأت أسلك فيها خيطا . وكانت يداي ترتعشان . ونظرت إلى المرأة بدّهشة ، وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة ، فقلت لها : « ثلاثمائة دولار مبلغ كبير من المال ، أتمنى لو استطاعت أمي أن تحصل عليه . هل سيذهب زوجك إلى هناك الليلة ؟ »

أجابت المرأة قائلة : « نعم ، لقد ذهب هو والرجل الآخر إلى المدينة ليحضرا قارباً ، ويستعيرا بندقية أخرى ، وسنذهبان إلى هناك بعد منتصف الليل . »

ظلت المرأة تنظر إليّ والدّهشة تعلوها ، ثم سألتني : « ما اسمك الذي أخبرتني به ؟ » أجبت متلعثما : « ... ماري ويليامز . » فقالت

المرأة : « أعتقد أنك قلت لي عندما دخلت إن اسمك سارة . » فاستدركت قائلاً : « نعم ، نعم ، يا سيدي ، لقد قلت ذلك .. » سارة ماري ويليامز . سارة هو اسمي الأول . البعض يدعونني سارة ، والبعض يسمونني ماري .

وبدأت المرأة تتحدث عن الفئران التي تتجول في المكان كأنها تمتلكه . وكانت محقة في كلامها عنها ، فقد كنت ألمح أحدها بين الآونة والأخرى يبرز بانفه من أحد الجحور . وأرتني المرأة كتلة من الرصاص ، وقالت إنها ترمي بها الفأر ، فتفضي عليه في الغالب . وطلبت مني أن أحاول قتل أحدها قائلة إن عليّ أن أرمي بكتلة الرصاص على أول فأر يبرز بانفه ، فإذا ظل ساكنا في مكانه يكون فأرا مريضا . وقامت فأحضرت كتلة الرصاص وبعض الصوف الذي كانت تريد مني أن أساعدها في صنعه . ورفعت إليها يدي ، فوضعت فيهما الصوف ، واسترسلت في حديثها عن الفئران ، ثم قطعت الحديث وصاحت قائلة : « احذري الفئران ! من الأفضل أن تمسكي كتلة الرصاص بيدك . » وهكذا ألفت بالكتلة في حجري ، فاضمت ركبتي إلى بعضيهما .

قالت المرأة : « والآن أخبريني ، ما اسمك الحقيقي ؟ بل ، أم نوم أم بوب - ما هو ؟ » فارتعدت مثل ورقة شجرة وقلت لها :



كُلُّ شَيْءٍ عَلَى الرَّمْثِ ، وَتَسْلُلُنَا تَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ ، تَارِكِينَ  
خَلْفَنَا الْجَزِيرَةَ دُونَ أَنْ نَتَّقُوهُ بِكَلِمَةٍ .

## الفصل السادس

### « لَقَدْ خَدَعْتَهُمْ ، يَا هَكَ ! »

لَا بُدَّ أَنَّ السَّاعَةَ كَانَتْ تَقْتَرِبُ مِنَ الْوَاحِدَةِ بَعْدَ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ  
عِنْدَمَا ابْتَعَدْنَا عَنِ الْجَزِيرَةِ ، وَبَدَأَ الْقَارِبُ كَأَنَّهُ يَسِيرُ زَحْضًا .

وَعِنْدَ الْفَجْرِ رَبَطْنَا الرَّمْثَ بِشَاطِئِ رَمْلِي تَكْسُوهُ الْأَشْجَارُ ، وَعَظَمْنَا  
الرَّمْثَ بِفُرُوعِ الْأَشْجَارِ ، وَرَقَدْنَا هُنَاكَ طَوَالَ الْيَوْمِ . وَعِنْدَمَا حَلَّ  
الْفَلَاحُ قَامَ جِيمٌ يَنْزِعُ الْأَلْوَحَ الْعُلُويَّةَ مِنَ الرَّمْثِ ، وَبَنَى لَنَا مَأْوًى  
مَبِينًا نَحْتَمِي فِيهِ مِنْ حَرَارَةِ الطُّقْسِ ، وَمِنْ هُطُولِ الْمَطَرِ ، وَرَفَعَهُ مَسَافَةً  
قَدِيمَةً فَوْقَ الرَّمْثِ . وَهَكَذَا أَصْبَحَتِ الْبَطَاطِينُ وَالْأُمْتَعَةُ بَعِيدَةً عَنِ  
الْأَمْوَاجِ الَّتِي تَدْفَعُهَا السُّفُنُ الْبَحَارِيَّةُ . وَفِي مُتَنَصِّفِ الْمَأْوَى هَيَّأْنَا  
مُسْتَوْدَعًا نُشْعِلُ فِيهِ النَّارَ عِنْدَ هُطُولِ الْمَطَرِ ، وَأَثْنَاءَ الطُّقْسِ الْبَارِدِ ،  
وَقَدْ قَرَشْنَاهُ تَرَابًا ، وَعَمَقْنَاهُ إِلَى مَسَافَةِ عَشْرِينَ سَنْتِيْمِتْرًا ، وَأَحْطَيْنَاهُ  
بِإِطَارٍ . ثُمَّ صَنَعْنَا أَيْضًا مِجْدَافًا إِضَافِيًّا لِلتَّوْجِيهِ ؛ خَشْيَةً أَنْ يَنْكَسِرَ  
مِجْدَافٌ مِنَ الْمِجَادِيفِ الْأُخْرَى ، وَبَنَيْنَا فِي أَعْلَى الرَّمْثِ عَصًا

مَتَدَبِّعَةً لِنَعْلَقَ عَلَيْهَا الْفَانُوسَ ، حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ نَضِيءَ فَانُوسًا حِينَ نَرَى سَفِينَةً بُخَّارِيَّةً قَادِمَةً حَتَّى لَا نَضْطَرَّ بِهَا .

فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ سَارَ بِنَا الرَّمْثُ فَوْقَ صَفْحَةِ النَّهْرِ حِوَالَى سَبْعٍ أَوْ ثَمَانِي سَاعَاتٍ ، وَكَانَ يَطْفُو هَادِئًا فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ السَّاكِنِ . وَكُنَّا نَحْنُ نَرْقُدُ عَلَى ظُهُورِنَا وَنَتَطَلَّعُ إِلَى النُّجُومِ . وَكَانَ الطُّفُسُ بَدِيعًا . وَلَمْ يَقَعْ لَنَا شَيْءٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَلَا فِي تِلْكَ الَّتِي تَلَتْهَا ، وَلَا فِي الَّتِي تَلَتْ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ .

وَكَُنَّا بَعْدَ أَنْ يَحُلُّ الظُّلَامُ نَرَى أَضْوَاءَ الْمَدِينِ مُنَالِقَةً أَثْنَاءَ مُرُورِنَا بِهَا . وَفِي اللَّيْلَةِ الْخَامِسَةِ اجْتَرْنَا مَدِينَةَ « سَان لُوي » ، وَكَانَتْ أَنْوَارُهَا مُتَوَهِّجَةً ، كَأَنَّمَا أَضِيئَتْ فِيهَا أَنْوَارُ الْعَالَمِ بِأَجْمَعِهِ . وَكُنْتُ أَسْأَلُ إِلَى الشَّاطِئِ كُلِّ لَيْلَةٍ ، فِي حِوَالَى السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ ، وَأَذْهَبُ إِلَى إِحْدَى الْقُرَى الصَّغِيرَةِ ، وَأَشْتَرِي مِنْهَا طَعَامًا .

وَكَانَ فِي تَقْدِيرِنَا أَنَّنَا بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ آخِرَ سَنَاصِلٍ إِلَى مَدِينَةِ كَايُروِ الَّتِي تَقَعُ عِنْدَ التَّقَاءِ نَهْرِ الْيَنْبُوي بِنَهْرِ أُوْهَايُو ، فَتَقُومُ بَيْعُ الرَّمْثِ ، وَتُرَكَّبُ إِحْدَى السُّفُنِ الْبُخَّارِيَّةِ ، وَنَذْهَبُ إِلَى مَدِينَةِ أُوْهَايُو الَّتِي تَقَعُ ضِمْنَ الْوِلَايَاتِ الَّتِي تُؤْمِنُ بِحُرِّيَةِ الْعَبِيدِ ، وَهُنَاكَ تَنْتَهِي مَتَاعِنَا .

إِلَّا أَنَّهُ فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ شَمِلَ الْجَوَّ ضَبَابٌ كَثِيفٌ ، وَاسْتَرَسَلْنَا فِي

حَدِيثِنَا عَنْ مَدِينَةِ كَايُروِ ، وَتَسَاءَلْنَا إِنْ كُنَّا سَنَعْرِفُهَا حِينَ نَصِلُ إِلَيْهَا . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا نَفْعَلُهُ سِوَى أَنْ نَبْعَثَ عَنْهَا . وَبَيْنَ الْفَيْتَةِ وَالْآخَرَى كَانَ جِيمُ يَقْنِزُ صَائِحًا . « هَا هِيَ ! » وَلَكِنْ ظَنَّهُ يَخِيبُ ، وَمَا بِحَسْبَةِ مَدِينَةِ كَايُروِ يَتَضَحُّ أَنَّهُ بَعْضُ الْأَضْوَاءِ الْمُتَحَرِّكَِةِ ، أَوْ حَشَرَاتٍ مِنَ النَّوْعِ اللَّامِعِ ، فَيَجْلِسُ جِيمُ ، ثُمَّ يَبْدَأُ مِنْ جَدِيدٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ مَدِينَةِ كَايُروِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، مِنْ قَبْلُ . وَقَدْ قَالَ لِي إِنْ اقْتَرَبَهُ مِنْ الْحُرِّيَةِ يَجْعَلُهُ قَلَقًا نَشِطًا . وَوَصَلْنَا بِحَشَانَا عَنْ ضَوْءِ يَنْبُغِنَا بِاقْتِرَابِنَا مِنْ مَدِينَةِ كَايُروِ . وَأَخِيرًا صَاحَ جِيمُ : « لَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ ، يَا هَكَ . هَا هِيَ ذِي مَدِينَةِ كَايُروِ أَخِيرًا . »

قُلْتُ لَهُ : « سَأَسْتَقِيلُ الزُّورُقَ وَأَرَى ، يَا جِيمُ . »

قَالَ وَأَنَا أُنْدَفِعُ بِالزُّورُقِ : « بَعْدَ قَلِيلٍ سَأُضْحِي طَلِيقًا تَمْلُؤُنِي الْبَهْجَةَ وَالْفَرَحَ . شُكْرًا يَا هَكَ . جِيمُ لَنْ يَنْسَاكَ أَبَدًا . أَنْتَ أَفْضَلُ صَدِيقٍ قَابِلَةٍ جِيمُ حَتَّى الْآنَ . »

جَدَّتُ بِالزُّورُقِ بَعِيدًا ، وَلَمْ يَمُضْ سِوَى وَقْتٍ قَصِيرٍ حَتَّى شَاهَدْتُ قَارِبًا يَجْلِسُ فِيهِ رَجُلَانِ مُسْلِحَانِ . وَأَمَرَنِي الرَّجُلَانِ بِالتَّوَقُّفِ ، فَتَوَقَّفْتُ . وَسَأَلَ أَحَدَهُمَا :

« هَلْ هَذَا الرَّمْثُ مِلْكُكَ ؟ »



« نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي »

« هَلْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟ »

« رَجُلٌ وَاحِدٌ ، يَا سَيِّدِي »

« لَقَدْ هَرَبَ اللَّيْلَةَ خَمْسَةُ عَبِيدٍ . هَلِ الرَّجُلُ الَّذِي عَلَى الرَّمْتِ  
أَيْضًا ؟ »

« نَحْنُ أَبْيَضَانِ ، يَا سَيِّدِي . »

كَانَتْ هَذِهِ إِجَابَتِي ، وَلَكِنِّي تَلَمَّشْتُ فِي النُّطْقِ بِهَا ، فَقَالَ  
الرَّجُلُ : « سَنَذْهَبُ وَنَرَى بِأَنْفُسِنَا . »

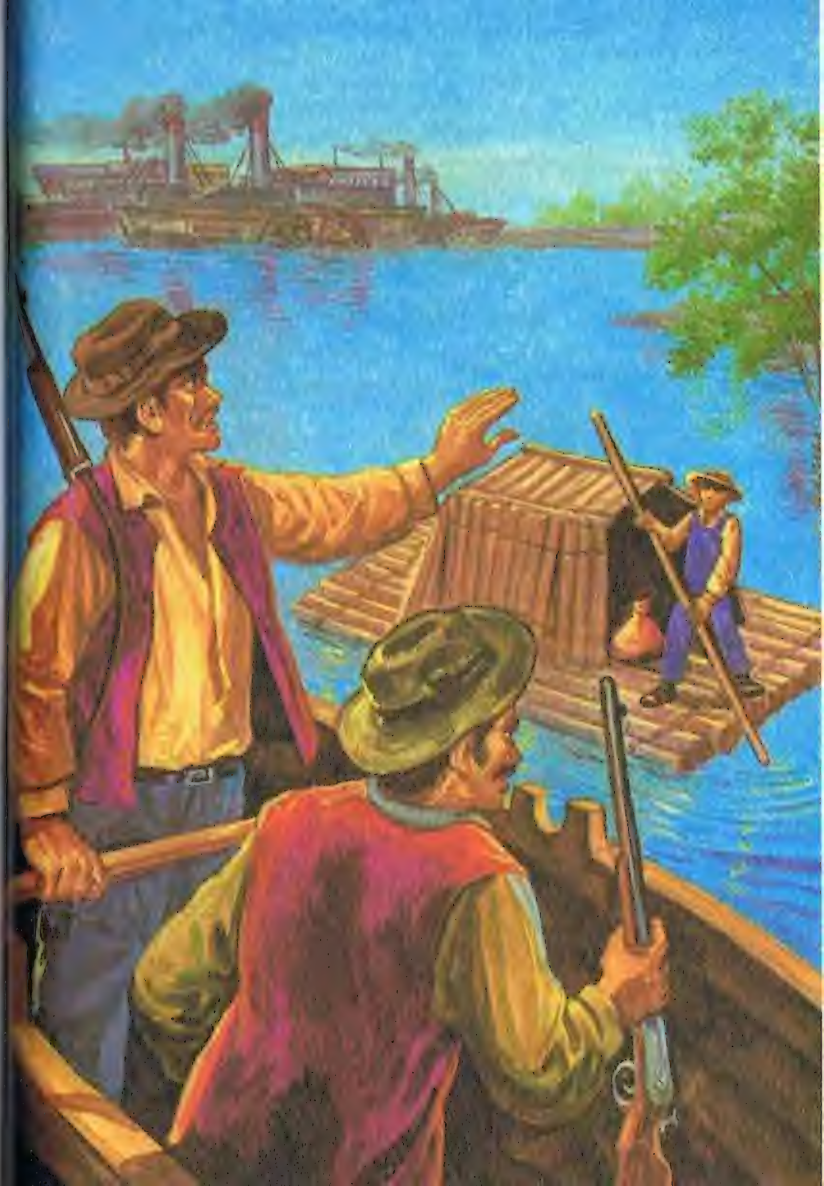
قُلْتُ لَهُ : « أَتَمَنَّى لَوْ تَفْعَلُ ذَلِكَ ، يَا سَيِّدِي ؛ لِأَنَّ أَبِي يَقْبَعُ  
هُنَاكَ مَرِيضًا ، وَكَذَلِكَ أُمِّي ، وَمَارِي أَنْ . »

قَالَ الرَّجُلُ : « دَعْنَا نَذْهَبُ . جَدَّفْ أَيُّهَا الصَّبِيُّ . »

وَبَعْدَ أَنْ سَرْنَا قَلِيلًا قُلْتُ لَهُمَا : « إِنَّ أَبِي سَيَشْكُرُكُمَا جَدًّا ،  
فَكُلُّ مَنْ طَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَنِي فِي سَحَبِ الرَّمْتِ إِلَى الشَّاطِئِ  
كَانَ يَقِرُّ مِنَّا بَعِيدًا . »

قَالَ أَحَدُهُمَا : « مَا حِكَايَةُ أَبِيكَ ، أَيُّهَا الصَّبِيُّ ؟ »

قُلْتُ : « إِنَّهُ الْ .. الْ .. حَسَنًا ، لَا شَيْءَ . »



تَوَقَّفَ الرَّجُلَانِ عَنِ التَّجْدِيفِ وَقَدْ أَصْبَحَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى  
مِنَ الرَّمْثِ .

قَالَ الرَّجُلُ : « أَيُّهَا الصَّبِيُّ ، إِنَّكَ تَكْذِبُ . مَا حِكَايَةُ أَبِيكَ ؟  
قُلِ الْحَقِيقَةَ . »

قُلْتُ : « سَاقُولُ ، يَا سَيِّدِي . سَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ أَمَانَةٍ . وَلَكِنْ لَا  
تَتْرَكَانَا ، أَرْجُوْكُمْ لَا تَتْرَكَانَا ! إِنَّكُمَا لَسْتُمَا فِي حَاجَةٍ لِأَنْ تَقْتَرِبَا  
مِنَ الرَّمْثِ . »

قَالَ أَحَدُهُمَا : « لِنَعُدْ ، يَا جُون . ابْتَعدْ أَيُّهَا الصَّبِيُّ . أَبُوكَ  
مَرِيضٌ بِمَرَضٍ مُعْدٍ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذَلِكَ . هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَنْشُرَ الْمَرَضَ  
فِي الْمَدِينَةِ ؟ »

قُلْتُ وَالْذَّمُوعُ تَنْسَابُ مِنْ عَيْنِي : « كَلَّمَا أَخْبَرْتُ أَحَدًا بِذَلِكَ  
تَرَكْنَا وَفَرَّ . »

« أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ ! أَنْظِرْ ، سَأُخْبِرُكَ بِمَا تَفْعَلُ . سِرْ  
بِالرَّمْثِ حَوَالَى ثَلَاثِينَ كِيلُومِتْرًا ، وَتَصِلْ إِلَى إِحْدَى الْمَدَنِ .  
وَعِنْدَمَا تَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنَ النَّاسِ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ أَقْرَبَاءَكَ مُصَابُونَ بِالْبَرْدِ  
وَالْحُمَّى . خُذْ ، سَأُضَعُ قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً مِنْ ذَاتِ الْعِشْرِينَ دُولَارًا عَلَى  
اللُّوْحِ ، خُذْهَا عِنْدَمَا يَقْتَرِبَ اللُّوْحُ مِنْكَ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْآخَرُ : « أَنْتَظِرْ ، يَا بَارَكَر . هَاكَ قِطْعَةٌ أُخْرَى مِنِّي ،  
طَعْنُهَا عَلَى اللُّوْحِ أَيْضًا . وَدَاعًا أَيُّهَا الصَّبِيُّ وَافْعَلْ كَمَا أَخْبَرَكَ  
السَّهْدُ بَارَكَر ، وَتَسْكُونُ عَلَى مَا يُرَامُ . »

وَابْتَعَدَا ، فَصَعِدْتُ عَلَى سَطْحِ الرَّمْثِ ، وَدَخَلْتُ الْمَاوَى ، غَيْرَ  
أَنِّي لَمْ أَجِدْ جِيمَ ، فَصَحْتُ أَنَادِيهِ : « جِيم ! »

« هَآنَذَا ، يَا هَكَ . هَلْ ذَهَبَا ؟ »

كَانَ جِيمٌ مُخْتَفِيًا فِي النَّهْرِ ، تَحْتَ الْمِجْدَافِ ، وَقَدْ غَمَرَ جَسَدَهُ  
بِالْمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَبْرُزُ مِنْهُ سِوَى أَنْفِهِ . وَقَالَ لِي حِينَ صَعِدْتُ إِلَى  
سَطْحِ الرَّمْثِ : « لَقَدْ اسْتَطَعْتَ خِدَاعَهُمْ ، يَا هَكَ . هَذِهِ بَرَاةٌ مِنْكَ .  
أَعْتَقِدُ أَنَّ مَا فَعَلْتَهُ قَدْ أَنْقَذَ جِيمَ الْعَجُوزِ . إِنَّ جِيمَ الْعَجُوزِ لَنْ يَنْسَى  
لَكَ هَذَا أَبَدًا ، يَا عَزِيزِي . »

وَتَحَدَّثْنَا عَنِ النُّقُودِ ، فَقَالَ جِيمُ إِنَّمَا نَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ نُسَافِرَ عَلَى  
السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ سَيَكْفِينَا حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْوِلَايَاتِ  
الَّتِي نَعْتَنِقُ حُرِّيَّةَ الْعَبِيدِ .

وَعِنْدَ الْفَجْرِ أَوْقَفْنَا الرَّمْثَ ، وَرَبَطْنَاهُ بِالشَّاطِئِ . وَأَخَذَ جِيمُ يَعْمَلُ  
طَوَالَ النَّهَارِ فِي حَزْمِ الْأَمْتَعَةِ عَلَى هَيْئَةِ صَبْرٍ ، وَيَعِدُّ كُلَّ شَيْءٍ  
لِمُعَادَرَةِ الرَّمْثِ . وَفِي حَوَالَى السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ



أَبْصَرْنَا أَنْوَارَ مَدِينَةٍ ، فَأَخَذْتُ الزُّورَ بِقَصْدِ الذَّهَابِ إِلَيْهَا ، فَالْتَقَيْتُ  
رَجُلًا يَصْطَادُ سَمَكًا فِي النَّهْرِ ، فَسَأَلْتُهُ : « يَا سَيِّدُ ، هَلْ هَذِهِ مَدِينَةُ  
كايرو ؟ »

« كايرو ؟ لا . لا بُدَّ أَنْكَ أَحَقُّ . »

« مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِذَا ؟ »

« إِذَا كُنْتُ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ فَأَذْهَبْ إِلَيْهَا وَاکْتَشِفْ بِنَفْسِكَ . »

فَجِدَقْتُ عَائِدًا نَحْوَ الرِّمْتِ ، وَلَمَّا أَخْبَرْتُ جِيمَ بِذَلِكَ ، أَصَابَهُ  
الْيَأْسُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا عَلَيْكَ ، سَتَكُونُ كايرو هِيَ الْمَدِينَةُ التَّالِيَةُ . »

إِلَّا أَنَّ الشُّكَّ بَدَأَ يُسَاوِرُنِي ، وَكَذَلِكَ بَدَأَ يُسَاوِرُ جِيمَ . وَقُلْتُ لَهُ :  
« رَبِّمَا نَكُونُ قَدْ مَرَرْنَا بِهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي سَقَطَ فِيهِ الضُّبَابُ تِلْكَ  
الَّيْلَةَ . »

قَالَ جِيمُ : « دَعْنَا لَا نَتَحَدَّثُ عَنْ ذَلِكَ ، يَا هَكَ ، فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ  
جِلْدَ الثُّعْبَانِ الَّذِي أَحْضَرْتَهُ لَمْ يَنْتَهِ مَفْعُولُهُ بَعْدُ فِي جَلْبِ الْحَظِّ  
السَّيِّئِ لَنَا . »

وَعِنْدَمَا طَلَعَ النَّهَارُ رَأَيْنَا مِيَاهَ نَهْرٍ أَوْهَابٍ الصَّافِيَةِ تَتَجَجَّ نَحْوَ  
الشَّاطِئِ . وَفِي الْخَارِجِ كَانَ نَهْرُ الْمَسِيحِيِّ يَمَّا يَحْمِلُ مِنْ غَرِينٍ ؛  
إِذَا لَقَدْ اتَّعَدْنَا عَنْ مَدِينَةِ كايرو .

تَوَقَّفْنَا عَنِ الْحَدِيثِ عَنْ مَدِينَةِ كايرو ، وَبَاتَ ذَهَابُنَا لِلشَّاطِئِ لَا  
قِيَاءَ فِيهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يُوَسِّعُنَا أَنْ نَعُومَ بِالرِّمْتِ فِي النَّهْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
أَمَامَنَا سِوَى أَنْ نَنْتَظِرَ حُلُولَ الظَّلَامِ ثُمَّ نَعُودَ لِلزُّورِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ  
نَمْنَا النَّهَارَ كُلَّهُ وَسَطَ الشُّجَيْرَاتِ ، وَعِنْدَمَا عُدْنَا إِلَى الرِّمْتِ مَعَ  
حُلُولِ الظَّلَامِ كَانَ الزُّورُ قَدْ اخْتَفَى .

لَمْ نَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ . فَقَدْ كَانَ كَلَانَا ، يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا مِنْ  
عَمَلِ جِلْدِ الثُّعْبَانِ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ الْحَدِيثُ عَنِ الزُّورِ لَا جَدْوَى  
مِنْهُ . وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا سِوَى خِيَارٍ وَاحِدٍ ، أَنْ نَرْكَبَ الرِّمْتُ حَتَّى  
لَحِينًا لَنَا فُرْصَةً فَتَشْتَرِي زورقًا نَعُودُ فِيهِ . وَهَكَذَا رَكِبْنَا الرِّمْتُ ،  
وَسَرْنَا بِهِ بَعْدَ أَنْ حَلَّ الظَّلَامُ .

كَانَ الْمَكَانُ الَّذِي تَبَاعُ فِيهِ الزُّورُ يَقَعُ بِجَانِبِ الشَّاطِئِ ، بَعِيدًا  
عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي تَشْتَرَى مِنْهُ الْأَرْمَاتُ ، غَيْرَ أَنَّ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ أَوْ رَبِّمَا  
أَكْثَرَ ، مَرَّتْ دُونَ أَنْ نَرَى شَيْئًا . وَازْدَادَ اللَّيْلُ حُلُكَةً ، وَتَكَاثَفَ  
الضُّبَابُ ، وَبِتْنَا لَا نَرَى شَيْئًا ، وَلَا نُمَيِّزُ لِلنَّهْرِ شِكْلًا .

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ أَمَامَنَا سَفِينَةٌ بُخَارِيَّةٌ ، فَأَضَاءَ الْفَانُوسَ ، ظَنًّا مِنَّا أَنَّ  
رُكَابَهَا سَيَرُونَهُ . وَكَانَتِ الْبَاخِرَةُ تُسْرِعُ نَحُونًا مِثْلَ سَحَابَةٍ سَوْدَاءَ  
مُحَاطَةٍ بِصُفُوفٍ مِنَ الْأَضْوَاءِ . وَفَجْأَةً كَانَتِ الْبَاخِرَةُ فَوْقَنَا مُبَاشَرَةً .  
وَاخْتَلَطَ الصُّرَاخُ بِرَنِينَ الْأَجْرَاسِ بِإِقْفَافِ الْحَرَكَاتِ ، وَتَنَاقَرَتْ

اللَّعْنَاتُ مَعَ صَفِيرِ الْبُخَارِ . وَتَعَلَّقَ جِيمُ بِالسَّفِينَةِ مِنْ أَحَدِ جَوَانِحِهَا ،  
وَتَعَلَّقْتُ أَنَا بِالْجَانِبِ الْآخِرِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ السَّفِينَةُ  
تَسْحَقُ الرِّمْتَ سَحَقًا .

## الفصل السابع

### النَّارُ

بعد نصف دقيقة سمعت صوت شخص يسأل عبر النافذة دون  
أن يظهر برأسه : « مَنْ هُنَاكَ ؟ »

أجبت : « أنا - جورج جاكسون . »

قال الصوت : « وماذا تريد في هذا الوقت من الليل ؟ »

قلت : « لا شيء ، يا سيدي . لقد سقطت من ظهر السفينة في

الماء . »

قال الصوت : « آه ! سقطت من السفينة .. صحيح ؟ لا داعي  
للخوف ، فلن يؤذيك أحد . ولكن لا تحاول أن تتحرك . استقيظ ،

يا بوب ، وأنت يا توم ، وليحضرن كل منكما بندقيته . »

وأضاف : « جورج جاكسون ، هل معك أحد ؟ »

قلت : « لا ، يا سيدي . ليس معي أحد . »

غصت في الماء حتى قاع النهر لأن عجلة الارتفاع عشرة أمتار  
كانت ستسحقني . وعندما طفوت إلى السطح مرة أخرى ، كانت  
السفينة قد اختفت عن الأنظار ، وغاصت في الضباب الكثيف .  
وكانت محرّكاتها قد عادت للهدير بعد مرور عشر ثوانٍ فقط من  
توقفيها ، فهذه السفن لا تلقي بالاً ، على الإطلاق ، للأرماث .

أخذت أنادي جيم مرّات عديدة ، غير أنني لم أحظ بجواب ،  
وضاع ندائي في الهواء ، فاندفعت أسبح نحو الشاطئ ، حتى  
وصلت سالماً إلى ضفة النهر . وسرت ببطء فوق أرض وعرة مسافة  
نصف كيلومتر حتى وصلت إلى منزل كبير عتيق الطراز ، خرجت  
منه كلاب كثيرة تشب نحوي وتنبح في وجهي ، فرأيت أنه من  
الأفضل لي ألا أخطو نحو المنزل خطوة أخرى .



قَالَ الصَّوْتُ : « جُورِجْ جَاكْسُون ، هَلْ تَعْرِفُ عَائِلَةَ شِيرِدسون ؟ »

أَجَبَتْهُ « لَا ، يَا سَبْدِي . لَمْ أَسْمَعْ عَنْهَا قَطُّ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « حَسَنًا ، أَخْطُ لِلْأَمَامِ يَبْطُءُ ، وَإِذَا كَانَ مَعَكَ أَحَدٌ فَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَتَّقَى فِي مَكَانِهِ ، وَإِلَّا سَاطَلِقْ عَلَيْهِ الرِّصَاصَ . ادْفَعْ الْبَابَ بِرُمُوتِي لِيَتَفَتَحَهُ بِالْقَدْرِ الَّذِي يَسْمَحُ لَكَ بِالْإِنْسِلَالِ مِنْ خِلَالِهِ . هَلْ تَسْمَعُنِي ؟ »

أَخَذْتُ أَخْطُو يَبْطُءُ ، خُصْوَةً خُصْوَةً . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الثَّلَاثِ الْمَوْجُودَةِ أَمَامَ الْبَابِ ، وَالْمَصْنُوعَةِ مِنْ جَنْدُوعِ الْأَشْجَارِ ، سَمِعْتُهُمْ يَفْتَحُونَ الثَّقُلَ ، وَيَرْفَعُونَ الْمِزْلَاجَ ، فَدَفَعْتُ الْبَابَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا حَتَّى سَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ : « كَفَى ! ادْخُلْ رَأْسَكَ فَقَطُّ . »

فَعَلْتُ كَمَا أَمَرَنِي ، فَرَأَيْتُهُمْ ، عَلَى ضَوْءِ شَمْعَةٍ مَوْضُوعَةٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَاقِفِينَ هُنَاكَ جَمِيعًا . وَأَنْقَضَى مَا يَقْرُبُ مِنْ دَقِيقَةٍ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ .

كَانَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ ضِخَامِ الْجِسْمِ ، أَحَدُهُمْ شَيْخٌ مُسِنٌّ أَشْيَبُ الشَّعْرِ . أَمَّا الْآخَرَانِ فَلَمْ يَتَجَاوِزَا الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثِينَ ، أَوْ رُبَّمَا

أَجَاوَزَاهَا بِقَلِيلٍ . وَكَانُوا جَمِيعُهُمْ ذَوِي أَنْاقَةٍ وَمَظْهَرٍ حَسَنِ . وَكَانَتْ مَعَهُمْ أَحْمَلُ سَيِّدَةٍ عَجُوزَ رَأَيْتُهَا ، وَقَدْ تَوَجَّحَتْ بِشَعْرِ أَشْيَبَ جَمِيلٍ ، وَخَلَقُهَا كَانَتْ تَقِفُ فَتَاتَانِ .

قَالَ الشَّيْخُ ذُو الشَّعْرِ الْأَشْيَبِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا أَرَاهُ . ادْخُلْ . »

وَمَا إِنَّ دَخَلْتُ حَتَّى أَغْلِقَ الْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ ، وَأَنْزَلَ الْمِزْلَاجَ ، ثُمَّ أَتَوْهُمَا جَمِيعُهُمْ إِلَى عُرْفَةِ الْجُلُوسِ ، وَهُنَاكَ رَفَعُوا الشَّمْعَةَ وَأَخَذُوا يَنْعَمُونَ النَّظَرَ فِيَّ ، ثُمَّ قَالُوا كُلُّهُمْ : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَائِلَةِ شِيرِدسون . » وَرَحَّبَ بِي الشَّيْخُ ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أُسَرِّدَ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ عَنِّي .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ : « لِيُبَارِكْكَ اللَّهُ ، يَا سَوُلْ . إِنَّ الصَّبِيَّ الْمُسْكِينَ مُبْتَلًى تَمَامًا ، وَرُبَّمَا يَكُونُ جَانِعًا . »

فَقَالَ الشَّيْخُ : « أَنْتِ مُحِقَّةٌ فِي هَذَا ، يَا رَاشِيل . لَقَدْ نَسِيتُ . »

وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ لِلْفَتَاتَيْنِ : « لِيَذْهَبَا إِحْدَاكُمَا فَيُوقِفَ « بَكَ » وَتُخْبِرَهُ أَنَّ ... آه هَذَا هُوَ ذَا بَكَ نَفْسُهُ . بَكَ أَعْطَى لِهَذَا الْغَرِيبِ الصَّغِيرِ بَعْضَ مِلَانِيكِ الْجَائِعَةِ لِيَرْتَدِّيَهَا . »

كَانَ بَكَ يُقَارِبُنِي سِتًّا ، فَهُوَ فِي الثَّالِثَةِ عَشْرَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ عَشْرَةِ .

وَكَانَ قَدْ دَخَلَ الْغُرْفَةَ وَهُوَ يَتَنَاءَبُ وَيَهْرُكُ عَيْنَيْهِ بِيَدٍ وَيَجْرُ بِنَدْقِيَّةٍ بِالْيَدِ  
الْأُخْرَى .

تَسَاعَلَ : « أَلَا يَوْجَدُ أَحَدٌ هُنَا مِنْ عَائِلَةِ شِيرِدسون ؟ » فَهَزَّ  
الشَّيْخُ رَأْسَهُ نَفْيًا .

وَعِنْدَمَا صَعِدْنَا إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ حَيْثُ تَوَجَدَ غُرْفَتُهُ أَعْطَانِي  
بِكَ بَعْضَ مَلَاسِيهِ ، فَأَرْتَدَيْتُهَا .

سَأَلَنِي بِكَ : « كَمْ يَطُولُ مُكُوثُكَ هُنَا ؟ لَا بُدَّ أَنْ تَمُوتَ هُنَا  
طَوِيلًا ، فَتَقْضِي مَعًا أَوْقَاتًا رَائِعَةً . إِنَّا الْآنَ فِي عَطْلَةٍ مِنَ الْمَدْرَسَةِ .  
أَمْسُتَعِدُّ أَنْتَ ؟ إِذَا هِيَ بِنَا . »

وَعِنْدَمَا هَبَطْتُ إِلَى الطَّابَقِ الْأَرْضِيِّ وَجَدْتُهُمْ قَدْ أَعَدُّوا لِي خُبْزَ  
دُرَّةٍ بَارِدًا ، وَلَحْمَ بَقَرٍ بَارِدًا ، وَزُبْدَةً ، وَلَبَنًا مَخِيضًا . وَفِي حَيَاتِي لَمْ  
أَتَنَاوَلْ طَعَامًا أَلَذَّ مِنْ هَذَا . وَرَاحُوا كُلُّهُمْ يُمَطِّرُونَنِي بِالْأَسْئَلَةِ ،  
فَلَفَقْتُ لَهُمْ قِصَّةً ، فَسَمَحُوا لِي بِالْبَقَاءِ مَعَهُمْ حَسَبًا أُرِيدُ . وَكَانَ  
الْفَجْرُ قَدْ أَنْبَلَجَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَذَهَبَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى فِرَاشِهِ ،  
وَقَاسَمْتُ بِكَ الْغُرْفَةَ .

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي نَسِيتُ اسْمِي الَّذِي كُنْتُ قَدْ لَفَقْتُهُ  
لَهُمْ ، وَلِذَلِكَ قُلْتُ لِبِكَ حِينَ اسْتَيْقَظَ : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَهَجَّى ،  
يَا بَكَ ؟ »

قَالَ : « نَعَمْ ، أَسْتَطِيعُ . »

قُلْتُ : « أَرَاهِنْ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَهَجَّى اسْمِي . »

قَالَ : « وَأَنَا أَرَاهِنْ أَنَّي أَسْتَطِيعُ .. ج - و - ر - ج ثُمَّ ج - ا  
ك - س - و - ن . »

فَدَوَّنتُ الْأِسْمَ سِرًّا خَشِيَّةً أَنْ يَطْلُبَ مِنِّي أَحَدُهُمْ هِجَاءَهُ .

كَانَتْ عَائِلَةٌ لَطِيفَةً ، وَكَانَ مَنَزَلًا جَمِيلًا . كَانَ عَلَى الْبَابِ  
الْأَمَامِيِّ مِقْبَضٌ مِنَ النُّحَاسِ الْأَصْفَرِ ، أَمَا فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ فَتِمَّةٌ  
مِدْفَاقَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْقَرْمِيدِ ، تَسَعُ جِدْعَ شَجَرَةٍ بِأَكْمَلِهِ ، وَفَوْقَ رَقْعِهَا  
سَاعَةٌ كَبِيرَةٌ لَهَا دَقَاتٌ جَمِيلَةٌ رَنَانَةٌ ، تَنْطَلِقُ مِنْهَا حِينَ تَعْمَلُ بَعْدَ  
أَنْ يَقُومَ أَحَدُ مُصْلِحِي السَّاعَاتِ الْجَوَالِينَ بِتَنْظِيفِهَا ، فَفِي ذَلِكَ  
الْوَقْتُ تَبْدَأُ الْعَمَلَ وَتَدُقُّ مِثَّةً وَخَمْسِينَ دَقَّةً قَبْلَ أَنْ تَتَوَقَّفَ . وَأَحْسَبُ  
أَنَّهُمْ لَا يَبِيعُونَهَا أَبَدًا نَظِيرَ أَيِّ مَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ .

وَعَلَى الْجُدْرَانِ لُوحَاتٌ مُعَلَّقَةٌ رَسَمَتْهَا إِحْدَى بَنَاتِهِمْ قَبْلَ أَنْ  
تَقْضِيَ نَحْبَهَا فِي رَبِيعِهَا الْخَامِسِ عَشَرَ . وَقَدْ سَقَطَتْ مَرِيضَةً وَهِيَ  
تَعْمَلُ فِي أَعْظَمِ لُوحَاتِهَا - وَهِيَ صُورَةُ لَامْرَأَةٍ شَابَةِ تَرْتَدِي ثَوْبًا  
أَبْيَضَ فَضْفَاضًا ، وَتَقِفُ عَلَى حَاجِزِ جِسْرِ تَتَاهَبُ لِلْقَفْرِ مِنْهُ ، وَقَدْ



اسْتَرْسَلَ شَعْرُهَا عَلَى ظَهْرِهَا ، وَتَطَّلَعَ نَحْوَ الْقَمَرِ وَالذُّمُوعُ تَنْهَمِرُ  
عَلَى وَجْهِهَا ، وَلَهَا ذِرَاعَانِ طَوْنَهُمَا عَلَى صَدْرِهَا ، وَذِرَاعَانِ  
مُمْتَدَّتَانِ أَمَامَهَا ، وَذِرَاعَانِ مَبْسُوطَتَانِ نَحْوَ الْقَمَرِ . وَكَانَتْ الْفِكْرَةُ  
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِلْكَ الْأَذْرُعِ أَنْ تَرَى أَيَّ الذَّرَاعَيْنِ أَجْمَلَ  
وَأَنْسَبَ ، فَتَبْقِيَهُمَا وَتَمَحُو الْأَذْرُعَ الْأُخْرَى ، وَلَكِنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ  
أَنْ تَقَرَّرَ ذَلِكَ . وَكَانَ وَجْهُ الْمَرْأَةِ الشَّابَّةِ فِي الصُّورَةِ جَمِيلاً إِلَى حَدِّ  
مَا ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْأَذْرُعُ الْكَثِيرَةُ جَعَلَتْهَا تَبْدُو ، فِي رَأْيِي ، مِثْلَ  
الْعَنْكَبُوتِ .

كَانَ الْكُولُونِيلُ غَرَايَجِرْفُورْدُ ، فِي مُجْمَلِهِ ، سَيِّدًا مُهَذَّبًا . وَكَانَ  
طَوِيلَ الْقَامَةِ ، نَحِيلَهَا ، ذَا وَجْهِ شَاحِبٍ يَمِيلُ إِلَى السُّمْرَةِ ، حَلِيقَ  
اللَّحْيَةِ . وَكَانَتْ شَفَتَاهُ شَدِيدَتَي الرَّقَّةِ . وَكَانَ أَنْفُهُ مُرْتَفِعًا ، وَحَاجِبَاهُ  
كَثِيفَيْنِ ، وَعَيْنَاهُ عَمِيقَتَي السَّوَادِ ، غَائِرَتَيْنِ فِي وَجْهِهِ ، كَأَنَّهُمَا  
يَتَطَلَّعَانِ إِلَيْكَ مِنْ كَهْفَيْنِ . أَمَّا شَعْرُهُ فَكَانَ سَبْطًا مُسْتَرْسِلًا عَلَى  
كَتِفَيْهِ . وَأَمَّا يَدَاهُ فَكَانَتَا طَوِيلَتَيْنِ نَحِيلَتَيْنِ .

كَانَ يَبْدَأُ يَوْمَهُ دَائِمًا بِارْتِدَاءِ قَمِيصٍ نَظِيفٍ ، وَحُلَّةٍ نَاصِعَةٍ  
الْبَيَاضِ ، رُبَّمَا تُسَبِّبُ لِعَيْنَيْكَ أَذًى مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهَا .

وَفِي أَيَّامِ الْآحَادِ كَانَ يَرْتَدِي مِعْطَفًا أَزْرَقَ ، طَوِيلَ الذَّيْلِ ،  
نَحَاسِي الْأَزْرَارِ . وَكَانَ يَحْمِلُ عَصًا ذَاتَ مَقْبِضٍ فِضِّيٍّ . وَكَانَ

بِالْعِطْفِ عَلَى الْآخَرِينَ ، حَتَّى إِنَّكَ لَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَلْمِسَ هَذَا  
الْعِطْفَ وَتَعْرِفَهُ ، وَمِنْ ثَمَّ تَحْسُنُ نَحْوَهُ بِالثِّقَةِ وَالْأَمَانِ .

وَكَانَ بَابُ أَكْبَرِ أَبْنَائِهِ ، وَبِلْيِهِ تَوْم . وَهُمَا رَجُلَانِ فَارِعَا الْقَامَةِ ،  
وَذَوَا مَظْهَرٍ حَسَنِ ، وَلَهُمَا أَكْثَافٌ عَرِيضَةٌ ، وَوَجْهَانِ بَيَّانٍ ، وَشَعْرٌ  
أَسْوَدٌ طَوِيلٌ ، وَعَيُونٌ سَوْدَاءُ . وَكَانَا يَرْتَدِيَانِ ثِيَابًا بَيَضَاءَ مِثْلِ أَبِيهِمَا  
لَمَامًا ، وَيَضَعَانِ عَلَى رَأْسَيْهِمَا قُبْعَيْنِ عَرِيضَتَيْنِ .

وَهُنَاكَ الْآنِسَةُ شَارْلُوتُ ، وَهِيَ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ  
عُمْرِهَا ، جَمِيلَةٌ ، مَمْشُوقَةٌ ، مُتَكَبِّرَةٌ مُغْرُورَةٌ . إِذَا غَضِبَتْ نَظَرَتْ  
إِلَيْكَ نَظْرَةً تَجْعَلُكَ تَتَجَمَّدُ فِي مَكَانِكَ ، وَهِيَ فِي هَذَا تُشَبِّهُ أَبَاهَا .

أَمَّا أُخْتُهَا صُوفِيَا فَكَانَتْ جَمِيلَةً مِثْلَهَا ، وَلَكِنْ جَمَالُهَا مِنْ نَوْعٍ  
مُخْتَلِفٍ ، فَقَدْ كَانَتْ رَقِيقَةً حُلْوَةً ، لَمْ تَتَجَاوِزِ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهَا .

تِلْكَ كَانَتْ الْأُمُّرَةُ كُلُّهَا ، وَذَلِكَ عَدَا الْأَبْنَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ  
قَالُوا ، وَعَدَا إِمِيلِينَ الَّتِي مَاتَتْ .

وَكَانَ الشَّيْخُ يَمْتَلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْمِائَةِ مِنَ  
الْعَبِيدِ . وَأَحْيَانًا كَانَ يَقْدُ عَلَى مَنَزَلِهِ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ ، مُعْظَمُهُمْ مِنَ  
الْأَقَارِبِ . كَانُوا يَأْتُونَ رَاكِبِينَ جِيَادَهُمْ ، وَقَدْ قَطَعُوا مَسَافَاتَ تَسَاوَحَ  
بَيْنَ خَمْسَةِ عَشْرَ وَعِشْرِينَ كِيلُومِترًا ، فَيَمْكُثُونَ لَدَى الشَّيْخِ خَمْسَةَ أَوْ

سِتَّةَ أَيَّامٍ يَقُومُونَ خِلَالَهَا بِرَحَلَاتٍ لِلْمُتَعَةِ فِيمَا جَاوَرَهُمْ مِنْ أَمَاكِنَ .  
وَيَرْكَبُونَ النَّهْرَ ، وَيَقِيمُونَ حَفَلَاتٍ فِي الْغَايَةِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ وَحَفَلَاتٍ  
لِلرَّقْصِ فِي الْمَنْزِلِ لَيْلًا . وَكَانَ الرِّجَالُ يَصْحَبُونَ مَعَهُمْ بَنَادِقَهُمْ ..  
كَانُوا أَنْاسًا مُتَكَبِّرِينَ .

كَمَا كَانَتْ فِي الْمِنْطَقَةِ مَجْمُوعَةٌ أُخْرَى مِنْ عَائِلَاتِ الطَّبَقَةِ  
الْعُلْيَا ، تَبْلُغُ خَمْسَ أَوْ سِتِّ عَائِلَاتٍ . وَكَانَ غَالِبُ هَذِهِ الْعَائِلَاتِ  
يَنْتَمِي إِلَى آلِ شِيرُوسُون ، وَهُمْ أَغْنِيَاءُ وَمُتَكَبِّرُونَ ، مِثْلَهُمْ فِي ذَلِكَ  
مِثْلُ أُسْرَةِ غَرَانْجُفُورْدِ .

وَقَدْ اعْتَدَتْ رُؤْيَا الشِيرُودُسُونِيِّينَ مُمْتَطِينَ صَهَوَاتٍ جِيَادِهِمْ  
الْحَمِيلَةَ عِنْدَ مَرَسَى السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ ، وَهُوَ نَفْسُهُ الْمُرْسَى الَّذِي  
يَسْتَخْدِمُهُ الْغَرَانْجُفُورْدِيُّونَ .

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجْتُ أَنَا وَبَكٌّ إِلَى الْغَايَةِ نَقْتَصِرُ ، وَأَثْنَاءَ عُبُورِنَا  
الطَّرِيقِ سَمِعْنَا جَوَادًا يَرْكُضُ فِي اتِّجَاهِنَا ، فَقَالَ بَكٌّ : « أَسْرِعْ !  
إِفْزِرْ إِلَى الْغَايَةِ ! »

وَمَا إِنَّ فَعَلْنَا ذَلِكَ حَتَّى ظَهَرَ شَابٌّ رَائِعٌ مُمْتَطِيًا صَهْوَةَ جَوَادِهِ  
وَيَعْدُو سَرِيعًا فِي الطَّرِيقِ ، وَيَحْمِلُ بِنْدَقِيَّتَهُ . كَانَ هَذَا الشَّابُّ هُوَ  
هَارْتِي شِيرُودُسُون . وَقَعَجَةً سَمِعْتُ صَوْتَ رِصَاصَةٍ تَنْطَلِقُ مِنْ بِنْدَقِيَّةِ  
بَكٍّ ، وَتَمَرَّقَ بِجَوَارِ أَذُنِي ، وَرَأَيْتُ قُبْعَهُ هَارْتِي تَسْقُطُ ، فَاتَّجَهَ مُبَاشَرَةً

بِجَوَادِهِ إِلَيَّ حَيْثُ كُنَّا مُخْتَبِئِينَ ، فَأَسْرَعْنَا بِالِابْتِعَادِ ، فَتَحَوَّلَ عَنَّا  
وَسَارَ مُبْتَعِدًا ، غَيْرَ أَنَّنَا لَمْ نَتَوَقَّفْ عَنِ الْعَدُوِّ حَتَّى وَصَلْنَا الْبَيْتَ .

وَبَيْنَمَا كَانَ بَكٌّ يَسْرُدُ قِصَّتَهُ لَمَعَتْ عَيْنَا الشَّيْخِ دَقِيقَةً - مِنْ  
السُّرُورِ عَلَى مَا أَعْتَقَدُ - ثُمَّ عَادَ لِهَدُوءِهِ وَقَالَ يَرْفُقُ : « أَنَا لَا أَحِبُّ  
إِمْلَاقَ الرِّصَاصِ مِنْ وَرَاءِ الشَّجَرِ . لِمَاذَا لَمْ تَعْتَرِضْ طَرِيقَهُ ؟ »

أَجَابَ بَكٌّ : « الشِيرُودُسُونِيُّونَ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، يَا أَبِي ، بَلْ  
يَسْخَرُونَ سَاتِرًا عَلَى الدَّوَامِ . »

شَمَخَتْ الْأَنِسَةُ شَارْلُوتُ بِأَنْفِهَا لِأَعْلَى ، كَانَتْهَا مَلِكَّةٌ ، حِينَ  
كَانَ بَكٌّ يَرُوي حِكَايَتَهُ . وَبَدَا الرُّجُلَانِ مُتَّجِهَيْنِ ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ  
يَقُولَا شَيْئًا . أَمَّا الْأَنِسَةُ صُوفِيًا فَشَحَبَ وَجْهَهَا ، وَلَكِنَّ الدَّمَ عَادَ إِلَى  
وَجْهِهَا مَرَّةً أُخْرَى حِينَ سَمِعَتْ أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُصَبِّ بِسَوْءٍ .

سَأَلْتُ بَكَّ حِينَ انْفَرَدْنَا بِأَنْفُسِنَا : « هَلْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَهُ ،  
يَا بَكٌّ ؟ »

« نَعَمْ . »

« لِمَاذَا ؟ مَاذَا فَعَلَ لَكَ ؟ »

« هُوَ ؟ لَا شَيْءَ . »

« حَسَنًا ، إِذَا لِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَهُ ؟ »



« حَلَبًا لِلنَّارِ » .

« أَيُّ نَارٍ ؟ »

قَالَ بَلْكَ : « يَبْدَأُ الْأَمْرُ بِأَنْ يَنْشَاجِرَ رَجُلٌ مَعَ آخَرَ ، وَيَقْتُلُهُ ، فَيُنْشَرُ لَهُ أَخُوهُ ، ثُمَّ يَسْتَشْرِي الْقَتْلَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ الْآخَرِينَ وَأَوْلَادِ الْعُمُومَةِ مِنْ كِلَا الْجَانِبَيْنِ حَتَّى يَهْلِكَ كُلُّ فَرْدٍ فِي الْعَائِلَتَيْنِ ، وَهُنَا يَنْتَهِي النَّارُ وَتَنْقُضِي الْعَدَاوَةُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسْتَعْرِقُ زَمَنًا طَوِيلًا » .

قُلْتُ : « هَلْ حَدَثَ ذَلِكَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ ، يَا بَلْكَ ؟ »

أَجَابَ « بِالتَّأَكُّيدِ . لَقَدْ بَدَأَ مُنْذُ حَوَالِي ثَلَاثِينَ عَامًا . بَدَأَ الْأَمْرُ بِمُشْكِلَةٍ تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ ، ثُمَّ كَانَتْ هُنَاكَ قَضِيَّةٌ فِي الْمَحْكَمَةِ لِمُسَوِّمَةِ تِلْكَ الْمَشْكِلَةِ . وَقَدْ حَكَّمَ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ ضِدَّ الْآخَرِ ، فَقَامَ الْأَخِيرُ الَّذِي خَمِرَ الْقَضِيَّةَ بِقَتْلِ الْأَوَّلِ الَّذِي فَازَ بِهَا .. وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِالطَّبَعِ » .

سَأَلْتُهُ : « مَنْ الَّذِي أَطْلَقَ الرِّصَاصَ ؟ هَلْ كَانَ مِنْ عَائِلَةٍ غَرَانْجُفُورْدِ أَمْ مِنْ عَائِلَةِ شِيرِدسون ؟ »

قَالَ بَلْكَ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ أَبِي هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ بَعْضُ كِبَارِ السَّنِّ فِي الْعَائِلَةِ . وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ السَّبَبَ الْأَسَاسِيَّ لِلْمُشْكِلَةِ » .

قُلْتُ : « هَلْ قُتِلَ الْكَثِيرُ ، يَا بَلْكَ ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْتَهِي غَالِبًا بِالْقَتْلِ . لَقَدْ أَصِيبَ أَبِي بَعْدَ مِنَ الرِّصَاصَاتِ ، وَطُعِنَ بَوْبَ بَسِكِينِ ، وَأَصِيبَ دَمٍ بِجِرَاحٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ » .

سَأَلْتُهُ : « وَهَلْ قُتِلَ أَحَدٌ هَذِهِ السَّنَةَ ؟ »

كَانَ جَوَابُهُ : « نَعَمْ ، قُتِلَ مِنَّا وَاحِدٌ وَقُتِلَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ » .

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ التَّالِيِ ذَهَبْنَا جَمِيعًا فِي نَزْهَةٍ عَلَى ظُهُورِ الْجِبَادِ ، رَعَدَ الْقَدَاءُ بِسَاعَةٍ كَانُ كُلُّ فَرْدٍ فِي الْبَيْتِ غَارِقًا فِي نَوْمِهِ ، وَتَمَدَّدَ بَلْكَ وَكَلَبَهُ عَلَى الْعُشْبِ وَقَدْ غَلِبَهُمَا النُّعَاسُ . وَعِنْدَمَا ذَهَبْتُ أَنَا إِلَى غُرْفَتِنَا لِأَنَالَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَجَدْتُ الْآنِسَةَ صَوْفِيَا هُنَاكَ ، وَقَدْ طَلَبَتْ مِنِّي أَنْ أَتَسَلَّلَ مِنَ الْبَيْتِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِي أَحَدٌ ، وَأَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْحَدِيقَةِ لِأَحْضِرَ لَهَا كِتَابَ الصَّلَوَاتِ الَّذِي كَانَتْ قَدْ لَبِثَتْهُ عَلَى مَقْعَدِهَا هُنَاكَ ، فَرَضَخْتُ لِطَلَبِهَا وَذَهَبْتُ .

وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا بُدَّ أَنْ فِي الْأَمْرِ سِرًّا ؛ فَلَيْسَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَقْلُقَ فِتْنَةً عَلَى كِتَابِ الصَّلَوَاتِ ، فَهَزَزْتُ الْكِتَابَ فَسَقَطَتْ مِنْهُ لُصَاصَةٌ وَرَقٌ مَدُونٌ فِيهَا بِالْقَلَمِ الرِّصَاصُ : « الثَّانِيَةُ وَالنِّصْفُ » وَلَمَّا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْتَشِجَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَعَدْتُ الْقِصَاصَةَ إِلَى

مكانها في الكتاب .

وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ الْبَيْتَ ، وَصَعِدْتُ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ ، وَجَدْتُ  
الْآنِسَةَ صُوفِيَا فِي انْتِظَارِي ، فَأَخَذَتْ مِنِّي الْكِتَابَ وَفَتَشَتْ فِيهِ حَتَّى  
وَجَدَتْ الْقِصَاصَةَ ، وَحِينَ قَرَأْتُهَا لَمَعَتْ عَيْنَاهَا سُورًا وَقَالَتْ لِي  
إِنِّي أَحْسَنُ غُلَامٍ فِي الْعَالَمِ ، وَطَلَبْتُ مِنِّي أَلَّا أَخْبِرَ أَحَدًا بِشَيْءٍ .

خَرَجْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ مُتَّجِهَا نَحْوَ النَّهْرِ وَأَنَا أَقْلَبُ الْأَمْرَ فِي عَقْلِي .  
وَبَعْدَ قَلِيلٍ لَاحَظْتُ أَنَّ جَاكَ خَادِمَ بَكْ ، يَتَّبِعُنِي . وَعِنْدَمَا أَصَبَحْنَا  
بَعِيدَيْنِ عَنِ الْمَنْزِلِ هَرُولَ نَحْوِي قَائِلًا : « يَا سَيِّدَ جُورْجَ ، لَوْ جِئْتَ  
مَعِي ، فَإِنِّي سَأُرِيكَ كَثِيرًا مِنْ ثَعَابِينَ الْمَاءِ . » فَتَبِعْتُهُ مَسَافَةً كِيلُومِترٍ ،  
خَضْنَا الْوَحْلَ فِي بَعْضِ مِنْهَا ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى قِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ  
الْأَرْضِ الْمُنْبَسِطَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ جَافَّةً وَقَدْ تَكَاثَفَتْ فِيهَا  
الْأَشْجَارُ وَالشُّجَيْرَاتُ . وَقَالَ جَاكُ : « تَقَدَّمَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَشْجَارِ ،  
يَا سَيِّدَ جُورْجَ ، وَسَتَجِدُ الثَّعَابِينَ هُنَاكَ . » ثُمَّ ذَهَبَ مُبْتَعِدًا عَنِّي .

تَقَدَّمْتُ أَشَقُّ طَرِيقِي وَسَطَ الْأَشْجَارِ حَتَّى جِئْتُ إِلَى سَاحَةِ صَغِيرَةٍ  
تُشَبِّهُ عُرْفَةَ نَوْمٍ كَبِيرَةٍ ، وَهُنَاكَ رَأَيْتُ رَجُلًا نَائِمًا ، وَحِينَ اقْتَرَبْتُ مِنْهُ  
الْفَيْتَةُ صَدِيقِي جِيمُ الْعَجُوزِ .

أَيْقَظْتُ جِيمَ وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ رُؤْيَيْهِ لِي سَتَكُونُ مُفَاجَأَةً كَبْرَى لَهُ ؛  
فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَبْدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ فُوجِئٌ بِوُجُودِي .. كَانَ مُقْعَمًا بِالسُّرُورِ

الرُّؤْيَى ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَهْشًا .

قَالَ لِي : « لَقَدْ سَبَحْتُ فِي إِثْرِكَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَسَمِعْتُكَ تُنَادِينِي ،  
وَلَكِنِّي لَمْ أَجِسُرْ عَلَى إِجَابَةِ نِدَائِكَ ، لِأَنِّي خِفْتُ أَنْ يَقْبُضَ عَلَيَّ  
أَحَدُهُمْ . وَكَانَ قَدْ أَصَابَنِي جُرْحٌ ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْرِعَ فِي  
سَاحَتِي ، وَطَنَنْتُ أَنِّي مُدْرِكُكَ عَلَى الْبَرِّ . وَلَمَّا رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ ذَلِكَ  
الْمَنْزِلَ جَعَلْتُ طَرِيقِي إِلَى الْغَابَةِ أَنْتَظِرُ فِيهَا طُلُوعَ النَّهَارِ . وَفِي  
الْعُصْبَاحِ الْبَاكِرِ جَاءَ بَعْضُ عُمَّالِ الْمَرْعَةِ ، وَدَلُّونِي عَلَى هَذَا الْمَكَانِ .  
وَكَانُوا يُحْضِرُونَ لِي طَعَامًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَيُخْبِرُونَنِي عَمَّا يَحْدُثُ لَكَ . »

سَأَلْتُهُ : « لِمَاذَا لَمْ تَطْلُبْ مِنْ جَاكُ أَنْ يُحْضِرَنِي إِلَى هُنَا  
بِسُرْعَةٍ ؟ »

أَجَابَ : « لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ جَدْوَى مِنْ إِزْعَاجِكَ قَبْلَ أَنْ تَتِمَّكَ مِنْ  
عَمَلِ شَيْءٍ . نَحْنُ الْآنَ عَلَى مَا يُرَامُ . لَقَدْ اشْتَرَيْتُ قُدُورًا وَمَقَالِي  
وَمُلْعَامًا ، وَأَصْلَحْتُ الرِّمْتَ ، وَ... »

قَاطَعْتُهُ مُتَسَائِلًا : « أَيُّ رِمْتٍ ، يَا جِيمُ ؟ »

قَالَ : « رِمْتُنَا الْقَدِيمُ . »

قُلْتُ : « أَتَعْنِي أَنْ رِمْتَنَا الْقَدِيمَ لَمْ يَتَحَطَّمْ ؟ »

قَالَ مُجِيبًا : « بَلَى ، لَمْ يَتَلَفْ فِيهِ سِوَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ ، وَهِيَ



خَمَارَةٌ لَبِستَ بِالْجَسِيمَةِ ، رَغِمَ أَنَّا فَقَدْنَا مُعْظَمَ أَمْتِنَا .

سَأَلْتُهُ : « وَكَيْفَ عَثَرْتَ عَلَى الرَّمْثِ مَرَّةً أُخْرَى ؟ »

قَالَ : « لَقَدْ وَجَدَهُ بَعْضُ الرُّنُوجِ ، وَاحْتَفَظُوا بِهِ . »

لَا أُرِيدُ أَنْ أَطِيلَ فِي الْحَدِيثِ عَمَّا وَقَعَ فِي الْيَوْمِ الْقَالِي ، لَكِنِّي عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ عِنْدَ الْفَجْرِ لَاحِظْتُ أَنَّ بَكَ قَدْ نَهَضَ مِنْ مَرْقَدِهِ وَذَهَبَ ، كَمَا لَاحِظْتُ أَنَّ الْمَنْزِلَ يَسُودُهُ السُّكُونُ ، فَهَبْتُ الدَّرَجَ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا ، ثُمَّ تَقَابَلْتُ عِنْدَ كَوْمَةِ الْخَشَبِ مَعَ جَاك ، فَسَأَلْتُهُ : « مَا الْخَيْرُ ؟ »

أَجَابَنِي : « لَقَدْ هَرَبَتِ الْإِنْسَةُ صُوفِيَا مَعَ هَارْتِي شِيرِدسون لِيَتَزَوَّجَا . وَاكْتَشَفَتِ الْأَمْرَةَ الْأَمْرَ مِنْ نِصْفِ سَاعَةٍ ، وَلَمْ أَرِ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ هَذِهِ الْعَجَلَةِ فِي امْتِطَاءِ الْجِيَادِ وَحَمْلِ السِّلَاحِ . وَوَرَكِبَ سَيِّدِي الشَّيْخُ سُولَ وَمَعَهُ الْأَوْلَادُ مُتَّجِهِينَ صَوْبَ النَّهْرِ لِيَقْبِضُوا عَلَى ذَلِكَ الشَّابِّ وَيَقْتُلُوهُ ، قَبْلَ أَنْ يَعْبرَ النَّهْرَ مَعَ الْإِنْسَةِ صُوفِيَا . »

انْطَلَقْتُ أَعْدُو فِي الطَّرِيقِ الْمَفْضِي إِلَى النَّهْرِ ، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ حَتَّى تَنَاهَى إِلَى سَمْعِي أَصْوَاتُ طَلَقَاتِ الرِّصَاصِ عَلَى بَعْدٍ . وَعِنْدَمَا بَدَأَ لِإِظَارِي مَخْزَنَ جُنُودِ الْأَشْجَارِ وَأَكْوَامِ الْخَشَبِ ، حَيْثُ تَرَسُّو السُّفُنَ الْبُخَارِيَّةَ ، تَسَلَّقْتُ شَجَرَةً وَجَلَسْتُ أَرَأَقِبُ .



كَانَ هُنَاكَ أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ رِجَالٍ يَنْدَفِعُونَ بِجِيَادِهِمْ هُنَا وَهُنَاكَ فِي السَّاحَةِ الْمَوْجُودَةِ أَمَامَ مَخْزَنِ الْجُدُوعِ ، وَيُحَاوِلُونَ الْوُصُولَ إِلَى شَابَيْنِ يَكْمُنَانِ خَلْفَ كَوْمَةِ الْخَشَبِ الْمُوجِهَةِ لِمَرْسَى السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَخْلُصُوا إِلَيْهِمَا ، فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَظْهَرُ فِيهَا أَحَدُهُمْ عَلَى جَانِبِ الْكَوْمَةِ كَانَ الرُّصَاصُ يَنْهَمِرُ عَلَيْهِ . وَكَانَ الْفَتَيَانِ يَجْلِسَانِ ظَهْرًا لظَهْرٍ خَلْفَ الْكَوْمَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِمَا مُرَاقَبَةَ الطَّرِيقَتَيْنِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَوَقَّفَ الرَّجَالُ عَنِ الْأَنْدِفَاعِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَاتَّجَهُوا بِجِيَادِهِمْ نَحْوَ الْمَخْزَنِ ، فَوَقَّفَ أَحَدَ الشَّابَيْنِ ، وَصَوَّبَ بِنَدَقِيَّتِهِ فَأَوْقَعَ وَاحِدًا مِنْهُمْ مِنْ عَلَى سَرَجِ جَوَادِهِ ، فَقَفَزَ الرَّجَالُ جَمِيعُهُمْ مِنْ عَلَى ظُهُورِ جِيَادِهِمْ وَبَدَءُوا يَحْمِلُونَ الرَّجُلَ الْجَرِيحَ إِلَى الْمَخْزَنِ . وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ جَرَى الشَّابَّانِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى كَوْمَةِ الْخَشَبِ الْمَوْجُودَةِ أَمَامَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَجْلَسَ فَوْقَهَا ، وَاخْتَفَيَا خَلْفَهَا ، وَهَكَذَا أَصْبَحَا فِي مَوْقِعٍ أَفْضَلَ مِنْ مَوْقِعِ الرَّجَالِ . وَعَرَفْتُ فِي أَحَدِ الشَّابَيْنِ بَكْ ، أَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ شَابًّا يَبْلُغُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ . وَأَخَذَ الرَّجَالُ يَرْكُضُونَ لِحَظَّةٍ هُنَا وَهُنَاكَ ثُمَّ ابْتَدَعُوا بِجِيَادِهِمْ . وَبِمُجَرَّدِ أَنْ اخْتَفَوْا عَنْ نَاضِرِي نَادَيْتُ بَكْ ، الَّذِي دَهَشَ لِسَمَاعِ صَوْتِي آتِيًا مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ ، فَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَخْبِرَهُ حِينَ الْهَظُّ الرَّجَالِ مَرَّةً

أُخْرَى . وَتَمَنَيْتُ لَوْ لَمْ أَكُنْ أَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَجْسِرْ عَلَى الْهَيُوطِ مِنْ فَوْقِهَا . وَسَأَلْتُ بَكْ عَمَّا حَدَثَ لِهَارَتِي وَالْآيِسَةِ صُوفِيَا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا عَبْرَا النَّهْرَ ، فَسَرَنِي ذَلِكَ كَثِيرًا . وَلَكِنِّي سَمِعْتُ سَبْلًا مِنَ اللَّعَنَاتِ يَنْطَلِقُ مِنْ فَمِ بَكْ ؛ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْتَلَ هَارَتِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أَطْلُقَ فِيهِ الرُّصَاصَ عَلَيْهِ .. وَلَمْ أَسْمَعْ فِي حَيَاتِي شَيْئًا مِثْلَ هَذَا .

وَفَجْأَةً انْطَلَقَتْ أَصْوَاتُ الرُّصَاصِ مِنْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ بِنَادِقٍ ، فَقَدْ تَسَلَّلَ الرَّجَالُ مِنْ خِلَالِ الْأَخْشَابِ ، وَجَاءُوا مِنَ الْخَلْفِ مَتَرَجِلِينَ . وَعِنْدَ سَمَاعِ أَصْوَاتِ الرُّصَاصِ أَلْقَى الشَّابَّانِ بِنَفْسَيْهِمَا فِي النَّهْرِ ، وَلَا حَقَّهُمَا الرَّجَالُ بِمُحَاذَاةِ ضِيقَةِ النَّهْرِ وَهُمْ يَطْلِقُونَ الرُّصَاصَ عَلَيْهِمَا وَيَصِيحُونَ : « أَقْتُلُوهُمَا ! أَقْتُلُوهُمَا ! » وَقَدْ أَصَابَنِي هَذَا الْمَشْهَدُ بِالْغَيْثَانِ لِدَرَجَةٍ أَنَّنِي كِدْتُ أَسْقُطُ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ .

قَبَعْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ إِلَى أَنْ بَدَأَ الظُّلَامُ يَكْسُو الْكَوْنَ ، وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيَّ الْخَوْفُ حَتَّى إِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنْزِلَ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ . وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ كَانَتْ أَصْوَاتُ الطَّلَقَاتِ تَأْتِينِي مِنْ أَعْمَاقِ الْغَايَةِ ، فَاسْتَوَلَى عَلَيَّ شُعُورٌ بِالتَّعَاسَةِ فَقَرَّرْتُ عَدَمَ الدُّهَابِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ مَرَّةً أُخْرَى ، لِأَنَّنِي أَحْسَسْتُ أَنَّ الْيَوْمَ فِيمَا حَدَثَ يَقَعُ عَلَيَّ إِلَى حَدِّ مَا ، فَتِلْكَ الْوَرَقَةُ كَانَتْ تَعْنِي أَنَّ عَلَى الْآيِسَةِ



سعيد بعودتك ثانية، يا عزيزي !

ولم أحس إطلاقاً بالراحة حتى تحرك الرمث كيلومترين ، وخرج من الجدول وأصبح في منتصف نهر الميسيني ، عندئذ علقنا فانوس الإشارات وأحسنا بأننا طليقان آمنان مرة أخرى . ولم أكن قد سألنا طعاماً منذ اليوم السابق ، ولذا فقد أخرج جيم بعض الطعام . وكنت سعيداً لأنني ابتعد عن جو هذه العداوة والشحناء ، وكان جيم سعيداً لأنه ابتعد عن الوحل . وقلنا لبعضنا إنه ليس مثل الرمث من بيت ! فانت تشعر فوقه بالحرية وراحة البال .

صوفيا أن تقابل هارتي في مكان ما الساعة الثانية والنصف ليهربا معاً . وكان علي أن أبلغ أباهما عن تلك الورقة ، وعن الطريقة الغريبة التي تصرف بها صوفيا ، فعندئذ كان يمكنه أن يحسها ، ولم تكن هذه الأحداث الرهيبة لتقع .

عندما هبطت من فوق الشجرة تسلفت بمحادثة ضيقة النهر ، ووجدت جشتي الشابين طافيتين فوق الماء ، فأخرجتهما إلى الشاطئ ، وبكى وأنا أعطي وجه بك ، فقد كان طيباً معي جداً .

كان الظلام قد انتشر ، فاتخذت طريقي نحو جزيرة جيم ، ولما وصلت لم أجده هناك ، فأسرعت نحو جدول تملؤني اللهفة لأن أفرق فوق الرمث وأغادر هذه البلاد المرعبة . ولكن الرمث كان قد اختفى ، فأصابني الرعب وأخذت أصرخ ، وهنا جاءني صوت جيم قائلاً : « يا إلهي ! أهو أنت ، يا عزيزي ؟ »

ووسط هذه الظروف خيل إلي أنني لم أسمع أعذب من هذا الصوت من قبل ، وجريت على طول ضفة النهر ، واعتليت ظهر الرمث . وقال جيم وهو يحتضني : « ليباركك الله ، يا ولدي . كنت في هذه المرة موقناً أنك قتلت ، وكنت في هذه اللحظة أحرك الرمث إلى مصب الجدول حتى أكون جاهزاً لمغادرة المكان ، بمجرد أن يأتي جاك ويخبرني بأنك مت حقيقاً . كم أنا

وَمَا إِنَّ يَجْنَ اللَّيْلُ حَتَّى تَنْدَفِعَ بِالرَّمْثِ فِي النَّهْرِ ، وَمَا إِنَّ نَبْلَغَ  
مُتَنَصِّفِ النَّهْرِ حَتَّى نَدَعَ الرَّمْثَ يَطْفُو حَسْبَمَا يَدْفَعُهُ التِّيَّارُ ، وَتَدْلِي  
أَرْجُلَنَا فِي النَّهْرِ ، وَنَتَلَقَّ فِي أَحَادِيثِ شَتَّى ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ لَنَا النَّهْرُ  
وَحَدْنَا فِتْرَةً طَوِيلَةً ، وَأَحْيَانًا كُنَّا نَرَى سَفِينَةً بُخَارِيَّةً تَتَسَلَّلُ فِي ظِلَامِ  
اللَّيْلِ .

## الفصل الثامن وعُذَانِ عَلَى الرَّمْثِ

وَذَاتَ صَبَاحٍ عَثَرْتُ عَلَى زُرُوقٍ ، فَعَبَّرْتُ بِهِ نَحْوَ الشَّاطِئِ ،  
وَأَخَذْتُ أَجْدُفٌ فِي أَحَدِ الْجَدَاوِلِ بَحْثًا عَنْ بَعْضِ التَّوْتِ . وَفَجَأَةً أَتَى  
نَحْوِي رَجُلَانِ يَرْكُضَانِ ، وَتَوَسَّلَا إِلَيَّ أَنْ أَنْقِذَ حَيَاتَهُمَا ، وَقَالَا إِنَّ  
النَّاسَ وَالْكِلَابَ تُطَارِدُهُمَا ؛ فَسَمَحْتُ لَهُمَا بِرُكُوبِ الزُّرُوقِ ، وَمَا  
إِنَّ رَكِبَاهُ حَتَّى أَخَذْتُ طَرِيقِي نَحْوَ الرَّابِيَةِ الرَّمْلِيَّةِ .

كَانَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ شَيْخًا فِي حَوَالِي السَّبْعِينَ مِنْ عَمْرِهِ ، أَشْيَبَ  
اللَّحْيَةِ ، أَصْلَحَ الرَّأْسِ . أَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ فِي نَحْوِ الثَّلَاثِينَ . وَكَانَ  
كُلُّ مِنْهُمَا يَحْمِلُ حَقِيبةَ سَفَرٍ .

قَالَ الرَّجُلُ الْأَصْلَحُ يَسْأَلُ صَاحِبَةً : « مَا الَّذِي أَوْفَعَكَ فِي  
الْمَتَاعِبِ ؟ »

رَدَّ عَلَيْهِ الشَّابُّ : « كُنْتُ أُبِيعُ مَادَّةَ تَزْيِيلِ الْبُقَعِ مِنَ الْأَسْنَانِ ،  
وَهِيَ بِالْفِعْلِ تَزْيِيلُ الْبُقَعِ ، وَلَكِنَّهَا تَزْيِيلُ سَطْحِ الْأَسْنَانِ أَيْضًا . وَقَدْ

مَرَّ يَوْمَانِ ، أَوْ رُبَّمَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ .. أَوْ يَحْسُنُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ تِلْكَ الْأَيَّامَ  
انْسَابَتْ فِي هُدُوءٍ وَسَلَاسَةٍ وَجَمَالٍ . وَكَانَ النَّهْرُ يَزْدَادُ انْسَاعًا  
لِمَسَافَةِ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ . وَكُنَّا نَسْرِي لَيْلًا ، ثُمَّ نَرِبُطُ الرَّمْثَ قَبْلَ  
الْفَجْرِ أَقْسَلَ رَابِيَةٍ رَمْلِيَّةٍ ، عَادَةً ، وَنُخْفِيهِ بِفُرُوعِ الْأَشْجَارِ ، ثُمَّ  
نَنْصِبُ الصَّنَانِيرَ ، وَبَعْدَهَا نَنْزِلُ إِلَى النَّهْرِ ، نَسْبَحُ وَنَرَاقِبُ ضَوْءَ النَّهَارِ  
وَهُوَ يَشُقُّ ظِلَامَ اللَّيْلِ . وَقَدْ تَهَبُّ عَلَيْنَا نَسْمَةٌ رَقِيقَةٌ بَارِدَةٌ عَذْبَةٌ  
تَحْمِلُ إِلَى وَجْهَيْنَا ، وَهِيَ تَرُوحُ عَلَيْنَهُمَا ، رَائِحَةُ الْغَابَةِ وَالْأَزْهَارِ  
الْعَطِثَةِ .

وَفِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ النَّهَارِ لَا يُمَكِّنُ مَلَا حَظَّةَ الدُّخَانِ النَّبْعِثِ  
مِنْ طَهْيِ الطَّعَامِ ، وَمِنْ ثَمَّ كُنَّا نَأْخُذُ بَعْضَ السَّمَكِ مِنَ الصَّنَانِيرِ  
وَنَطْهُوهُ لِإِفْطَارِنَا ، ثُمَّ نَرَاقِبُ قَلِيلًا جَوْ الْهُدُوءِ الَّذِي يَلْفُ سَطْحَ  
النَّهْرِ ، وَبَعْلَيْنَا النَّوْمَ فَنَنَامُ ، ثُمَّ نَسْتَيْقِظُ ، ثُمَّ نَنَامُ مَرَّةً أُخْرَى .



مَكَثْتُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَبِيعُ فِيهِ لَيْلَةً تَزِيدُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَبْقَى فِيهِ . وَعِنْدَمَا قَابَلْتُكَ وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّ النَّاسَ قَادِمُونَ ، قَرَّرْتُ أَنْ أَهْرُبَ مَعَكَ . هَذِهِ هِيَ قِصَّتِي . وَلَكِنْ مَا حِكَايَتُكَ أَنْتَ ؟»

أَجَابَ الشَّيْخُ : « مِنْذُ أَسْبُوعٍ تَقْرِيْبًا بَدَأْتُ أَعْقِدُ اجْتِمَاعَاتٍ أَقْنَعُ فِيهَا النَّاسَ أَنْ يُقْلِعُوا عَنِ التَّدخينِ ، وَكَانَ أَجْرِي عَلَى ذَلِكَ سِتَّةَ دُولَارَاتٍ فِي اللَّيْلَةِ . إِلَّا أَنَّ إِشَاعَةَ سَرْتِ بَأَنِّي أَدخُنُ سِرًّا . وَقَدْ أَقْطَعْتُ أَحَدَ الزُّنُوجِ هَذَا الصَّبَاحَ وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّ النَّاسَ سَيَعَذِّبُونَنِي بِأَنْ يُعْطُونَنِي بِالْقَارِ وَرِيشِ الطُّيُورِ ؛ فَلَمْ أَتَنْظِرْ مَجِيءَ طَعَامِ الْإِفْطَارِ ، إِذْ لَمْ أَكُنْ جَائِعًا .»

قَالَ الشَّابُّ : « أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَلْتَوَحِّدْ جِهოდَنَا .»

قَالَ الشَّيْخُ : « مَا هُوَ عَمَلُكَ أَسَاسًا ؟»

أَجَابَ الشَّابُّ : « طَابِعٌ ، وَصَانِعُ أَدْوِيَةٍ ، وَمُمَثِّلٌ ، وَأَقُومُ بِتَعْلِيمِ الْغِنَاءِ ، وَالْجُغْرَافِيَا ، وَالْقِيَاسِ الْأَحَادِيثِ - بِاخْتِصَارٍ أَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ طَالَمَا أَنَّهُ لَيْسَ وَظِيفَةً أَوْ عَمَلًا . وَلَكِنْ مَا عَمَلُكَ أَنْتَ ؟»

قَالَ الشَّيْخُ : « كُنْتُ أُمَارِسُ التَّطْيِيبَ فِي أَيَّامِي الْمُبَكَّرَةِ ، وَكَانَ دِهَانُ الْأَيْدِي بِالْمَرْهَمِ هُوَ أَفْضَلُ صَنْعَةٍ مَارَسْتُهَا ، فَهِيَ شِفَاءٌ مِنْ

كُلِّ الْأَمْرَاضِ . كَمَا أَنَّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَنَبَّأَ بِالْحَظِّ لَوْ وَجَدْتُ شَخْصًا يُسَاعِدُنِي عَلَى اكْتِشَافِ الْحَقَائِقِ . إِلَى جَانِبِ أَنَّي أَعْمَلُ وَاعِظًا .»  
وَسَادَ الصَّمْتُ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ تَنَهَّدَ الشَّابُّ بَعُمُقٍ وَقَالَ :  
« يَا لِلْحَسْرَةِ !»

سَأَلَ الشَّيْخُ : « مِمَّ تَحْسِرُ ؟»

قَالَ الشَّابُّ : « أَتَحْسَرُ مِنْ مَعِيشَتِي مِثْلَ هَذِهِ الْمَعِيشَةِ ، وَقَدْ هَمَلْتُ فِي رُفْقَتِي إِلَى مِثْلِ هَذَا الْمُسْتَوَى .»

وَبَدَأَ يُجَفِّفُ مُؤَخَّرَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ بِخِرْقَةٍ ، وَتَابَعَ حَدِيثَهُ : « رُبَّمَا اسْتَطَعْتُ الدُّنْيَا أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي كُلَّ شَيْءٍ .. أَحِبَّائِي ، وَمُمْتَلَكَاتِي .. كُلَّ شَيْءٍ .. كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَكِنَّهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي قَبْرِي ، فَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي سَيَكُونُ مَثْوَايَ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَيَسْتَرِيحُ فِيهِ قَلْبِي الْمَحْطَمُ .»

قَالَ الرَّجُلُ الْأَصْلَعُ غَاضِبًا : « لِمَاذَا تُلْقِي عَلَيْنَا بِمَا سَيَكُ ؟ نَحْنُ لَمْ نَفْعَلْ لَكَ شَيْئًا .»

قَالَ الشَّابُّ : « أَعْرِفُ ذَلِكَ . أَنَا الَّذِي تَسَبَّيْتُ فِيهِ إِذْ لَالَ نَفْسِي . أَوْ ! لَنْ تُصَدِّقُونِي إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ عَنْ سِرِّ مَوْلَدِي .»

صَاحَ الشَّيْخُ مُتَعَجِّبًا : « سِرِّ مَوْلَدِكَ ؟»

قَالَ الشَّابُّ بِوَقَارٍ وَجِدِّيَّةٍ : « أَيُّهَا السَّادَةُ ، سَأُخْبِرُكُمْ . إِنِّي ،  
وَبِكُلِّ صِدْقٍ ، أَحْمِلُ لَقَبَ دُوقٍ . »

عَلَى خِدْمَتِهِ أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِ الطَّعَامَ ، وَيُؤَدِّي مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ تَافِهًا .  
وَكَانَ هَذَا سَهْلًا عَلَيْنَا فَفَعَلْنَاهُ أَنَا وَجِيمٌ . وَلَكِنَّ الشَّيْخَ غَاصَ فِي  
مَسَمِّ عَمِيقٍ وَبَدَأَ عَلَيْهِ أَنْ مَا يُبْدِيهِ لِلدُّوقِ مِنْ احْتِفَاءٍ لَا يَرُوقُهُ ، وَأَنْ  
لَمَعَةً شَيْقًا يَدُورُ فِي رَأْسِهِ .

أَخِيرًا وَفِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَالَ : « بَرِيدَجُوتَر ، أَنَا حَزِينٌ مِنْ  
أَجْلِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَسْتَ الْوَحِيدَ الَّذِي سَلَبَتْ مِنْهُ مَكَاتُهُ السَّامِيَّةُ . »  
وَرَأَى يَمْكِي .. ثُمَّ سَأَلَ الشَّابَّ وَالْذُّمُوعَ تَنْسَابُ مِنْ عَيْنَيْهِ :  
« بَرِيدَجُوتَر ، هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَقَّ بِكَ ؟ »

قَالَ الشَّابُّ : « حَتَّى الْمَوْتِ . »

قَالَ الشَّيْخُ : « بَرِيدَجُوتَر ، أَنَا الْمَرْحُومُ دُوفِين . »

جَحَظَتْ عَيْنُونَا أَنَا وَجِيمٌ دَهْشَةً حَتَّى كَادَتْ تَخْرُجُ مِنْ  
مُحَاجِرِهَا ، وَصَاحَ الشَّابُّ : « مَنْ ؟ »

قَالَ الشَّيْخُ : « نَعَمْ ، يَا صَدِيقِي . إِنَّ عَيْنَيْكَ تَنْظُرَانِ فِي هَذِهِ  
اللَّحْظَةِ إِلَى دُوفِينِ الْمِسْكِينِ ، الَّذِي اخْتَفَى مِنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ - دُوفِينِ  
ابْنِ لُويْسِ السَّادِسَ عَشَرَ وَمَارِي أَنْطُونَايْتِ . نَعَمْ أَيُّهَا السَّادَةُ ، أَنْتُمْ  
تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ لُويْسَ السَّابِعَ عَشَرَ مَلِكَ فَرَنْسَا الشَّرْعِيِّ ، وَقَدْ ارْتَدَى  
الْأَسْمَالَ الْبَالِيَةَ وَأَحَاطَ بِهِ الْبُؤْسُ . »

أَشْفَقَ عَلَيْهِ جِيمٌ كَثِيرًا جِدًّا ، وَكَذَلِكَ أَنَا ، وَحَاولْنَا أَنْ نُوَاسِيَهُ ،  
وَلَكِنَّهُ قَالَ إِنَّ هَذَا لَنْ يَجْدِيهِ نَفْعًا ، وَلَكِنَّا إِذَا اعْتَرَفْنَا أَنَّهُ الدُّوقُ فَإِنَّ  
ذَلِكَ سَيُفِيدُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ ؛ فَقَدْ قَالَ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ نُنَحْنِي  
عِنْدَمَا نَتَكَلَّمُ مَعَهُ وَنَقُولَ - يَا سَيِّدِي أَوْ يَا صَاحِبَ السُّمُورِ . إِلَّا أَنَّهُ  
لَنْ يَهْتَمَّ إِذَا نَادَيْنَاهُ بِاسْمِهِ الْمَجْرَدِ بَرِيدَجُوتَر . وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ أَحَدُنَا



لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ ، أَنَا وَجِيم ، مَا الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَهُ . لَقَدْ حَزَنَّا مِنْ أَجْلِهِ ، وَحَاوَلْنَا مُوَاسَاتَهُ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ إِنَّ مَا يُعْزِيهِ هُوَ أَنْ نَعَامِلَهُ طَبَقًا لِحَقُوقِهِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَنَرُكَّعَ عَلَى رُكْبَةٍ وَاحِدَةٍ حِينَ نَتَكَلَّمُ مَعَهُ ، وَنَدْعُوهُ دَائِمًا « صَاحِبَ الْجَلَالَةِ » ، وَنَقُومَ عَلَى خِدْمَتِهِ أَوَّلًا حَتَّى يَتَنَاوَلَ طَعَامَهُ ، وَلَا نَجْلِسَ فِي حَضْرَتِهِ حَتَّى يَطْلُبَ ذَلِكَ مِنَّا . فَفَعَلْنَا ذَلِكَ أَنَا وَجِيم ، فَجَعَلَهُ هَذَا مُنْشَرَحَ الصَّدْرِ سَعِيدًا . إِلَّا أَنْ الدُّوقَ بَدَأَ مُتَأَلِّمًا وَغَيْرَ مُقْتَنِعٍ بِالشَّكْلِ الَّذِي تَسِيرُ عَلَيْهِ الْأُمُورُ .

قَالَ الْمَلِكُ : « بَرِيدِجُوتِر ، دَعْ عَنْكَ الْوُجُومَ ، وَتَعَالَ ، أَعْطِنِي يَدَكَ وَدَعْنَا نَكُنْ صَدِيقَيْنِ . »

قَامَ الدُّوقُ وَصَافِحَهُ ، وَقَدْ سُرِّرْنَا مِنْ ذَلِكَ ، أَنَا وَجِيم ، فَحَنَّا لَا نُرِيدُ سِوَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ عَلَى الرِّمْتِ رَاضِي النَّفْسِ ، وَرَفِيقًا بِالْآخَرِينَ .

وَلَمْ يَسْتَغْرِقِ الْأَمْرُ مِنِّي وَقْتًا طَوِيلًا لِكَيْ أَدْرِكَ أَنَّ هَذَيْنِ الْكَذَّابَيْنِ لَيْسَا مَلِكًا وَلَا دُوقًا ، بَلْ وَغَدَانِ مُحْتَالَانِ . غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَعْقِبْ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا أَرَادَا مِنَّا أَنْ نَدْعُوهُمَا بِلَقَبِ الدُّوقِ أَوْ الْمَلِكِ فَلَا اعْتِرَاضَ لَدَيْ مَا دَامَ هَذَا يَجْعَلُ السَّلَامَ يَسُودُ بَيْنَ الْعَائِلَةِ الْجَدِيدَةِ .

## الفصل التاسع

### الوغدان على خشية المسرح

وَجَّهَ إِلَيْنَا الرَّجُلَانِ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً ، مِثْلُ : لِمَاذَا نَحْبِيءُ الرِّمْتَ أَثْنَاءَ النَّهَارِ ؟ وَهَلْ هَرَبَ جِيمٌ مِنْ سَيِّدِهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُمَا ، مُحَاوَلًا أَنْ أُلْفِي هَذِهِ الْفِكْرَةَ مِنْ رَأْسِهِمَا : « مَاذَا تَقُولَانِ ؟ يَا إِلَهِي ! وَهَلْ يَتَّجِعُ هَارِبٌ نَحْوَ الْجَنُوبِ ؟ »

وَمَا إِنَّ حَلَّ الظَّلَامِ حَتَّى رَحَلْنَا ، وَعِنْدَ الْفَجْرِ خَبَّانَا الرِّمْتَ طِيلَةَ النَّهَارِ . وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الْإِفْطَارِ سَأَلَ الدُّوقُ الْمَلِكَ : « هَلْ زَاوَلْتَ التَّمَثُّلَ عَلَى مَسْرَحٍ ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ ؟ »  
رَدَّ الْمَلِكُ : « لَا . »

قَالَ الدُّوقُ : « سَتَمَثِّلُ فِي أَوَّلِ مَدِينَةٍ نَصِلُ إِلَيْهَا . سَنَقُومُ بِتَأْجِيرِ قَاعَةٍ ، وَنَمَثِّلُ مَشْهَدَ الْمُبَارَاةِ مِنْ مَسْرُوحِيَّةِ رِيْتَارْدِ الثَّلَاثِ ، وَمَشْهَدِ الشُّفَّةِ مِنْ مَسْرُوحِيَّةِ رُومِيو وَجُولِيَّتِ . »

قَالَ الْمَلِكُ : « وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ التَّمثِيلِ ، يَا بَرِيدِجُوتَر  
هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ بَاسِطَاعَتِكَ أَنْ تَعْلَمَنِي التَّمثِيلَ ؟ »

قَالَ الدَّوْقُ : « بِكُلِّ سَهُولَةٍ . »

قَالَ الْمَلِكُ : « حَسَنًا ، لِنَبْدَأَ الْآنَ . »

أَخْبِرَهُ الدَّوْقُ عَمَّنْ يَكُونُ رُومِيُو ، وَمَنْ تَكُونُ جُولِييت ، فَقَالَ  
الْمَلِكُ : « وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ جُولِييت ، كَمَا تَقُولُ ، فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ فَإِنِّي  
بِرَأْسِي الْأَصْلَحِ سَأَبْدُو شَاذًا بِالنِّسْبَةِ لَهَا . »

قَالَ الدَّوْقُ : « لَا تَقْلُقْ بِهَذَا الشَّانِ ، فَهَؤُلَاءِ الرِّيفِيُونَ السُّدُجُ  
لَنْ يُفَكِّرُوا إِطْلَاقًا فِي هَذَا الْأَمْرِ . زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ سَتَكُونُ مُرْتَدِيًا  
أَبْهَى حَلَلِكُ ، وَهَذَا سَيَجْعَلُكَ مُخْتَلِفًا اخْتِلَافًا كَبِيرًا عِنْدَمَا تَكُونُ  
عَلَى الْمَسْرَحِ . »

وَأَخْرَجَ الدَّوْقُ حُلَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ حُلُلٍ مَصْنُوعَةٍ مِنْ قُمَاشِ السَّتَائِرِ ،  
وَقَالَ عَنْهَا إِنَّهَا دُرُوعُ الْمَلِكِ رِيْتَشَارْدِ الثَّالِثِ وَالشَّخْصِ الَّذِي سَيَارِزُهُ .  
كَمَا أَخْرَجَ مَنَامَةً طَوِيلَةً مِنَ الْقُطْنِ الْأَبْيَضِ ، وَغِطَاءً لِلرَّأْسِ تَتَلَاءَمُ  
مَعَ الْمَنَامَةِ ، فَاقْتَنَعَ الْمَلِكُ بِكَلَامِ الدَّوْقِ . ثُمَّ أَخْرَجَ الدَّوْقُ كِتَابًا  
وَأَخَذَ يَقْرَأُ الْأَدْوَارَ بِطَرِيقَةٍ تَمَثِيلِيَّةٍ رَائِعَةٍ ، وَكَانَ يَقْفِزُ هُنَا وَهُنَا ، وَهُوَ  
يُمَثِّلُ ، حَتَّى يَرَى الْمَلِكُ طَرِيقَةَ الْأَدَاءِ . ثُمَّ أُعْطِيَ الْكِتَابَ لِلْمَلِكِ

وَمُلِّبَ مِنْهُ أَنْ يَحْفَظَ دَوْرَهُ .

كَانَتْ هُنَاكَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ قَرِيبَةً مِنَّا ، قَالَ الدَّوْقُ بَعْدَ تَنَاوُلِ الْغَدَاءِ  
إِنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَيْهَا فِي عَمَلٍ . وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى الرَّمْثِ أَرَانَا إِعْلَانًا  
مَطْبُوعًا بِهِ صُورَةُ شَخْصٍ هَارِبٍ ، مَكْتُوبٌ أَسْفَلُهَا « مُكَافَأَةٌ قَدَرُهَا  
مِثْلَا دُولَارٍ » ، وَيَلِي هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَصْفٌ دَقِيقٌ لَجِيمٍ . وَيَقُولُ الْإِعْلَانُ  
أَيْضًا إِنَّهُ هَرَبَ مِنْ مَزْرَعَةِ سَان جَاكْ عَلَى بُعْدِ سِتِّينَ كِيلُومِترًا مِنْ نِيُو  
أَوْرِلِيَانز ، وَمَنْ يَقْبِضْ عَلَيْهِ يَنَلُ مُكَافَأَةً بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ سَيُدْفَعُ لَهُ  
جَمِيعُ النِّفَقَاتِ الَّتِي يَكُونُ قَدْ أَنْفَقَهَا فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَتَوْصِيلِهِ .

قَالَ الدَّوْقُ : « وَالْآنَ نَسْتَطِيعُ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنْ نُنْجِرَ نَهَارًا ،  
وَحِينَ نَرَى أَحَدًا يَقْتَرِبُ مِنَّا نُرِيهِ الْإِعْلَانُ قَائِلِينَ إِنَّنَا قَبَضْنَا عَلَى جِيمٍ  
فِي النَّهْرِ ، وَإِنَّا فِي سَبِيلِنَا لِلْحِصُولِ عَلَى الْمُكَافَأَةِ . »

وَانْطَلَقْنَا فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ ، وَلَمْ نَتَوَقَّفْ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ  
بَلْ وَاصَلْنَا سَيْرَنَا . وَبَعْدَ الْإِفْطَارِ شَرَعَ الْمَلِكُ فِي حِفْظِ دَوْرِهِ فِي  
مَسْرُوحِيَّةِ رُومِيُو وَجُولِييت ، ثُمَّ أَخْرَجَ هُوَ وَالِدَّوْقُ سَبْعِينَ مِنَ الْخَشَبِ  
وَبَدَأَ الْمِرَانَ عَلَى الْمُبَارَزَةِ ؛ وَقَدْ أَطْلَقَ الدَّوْقُ عَلَى نَفْسِهِ اسْمَ رِيْتَشَارْدِ  
الثَّالِثِ . وَكَانَا يَتَبَارَزَانِ وَيَقْفِرَانِ بِطَرِيقَةٍ تُثِيرُ الْإِعْجَابَ . إِلَّا أَنَّ الْمَلِكَ  
انْزَلَقَتْ قَدَمُهُ وَسَقَطَ مِنْ جَانِبِ الرَّمْثِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَخْلَدَا إِلَى



الرَّاحَةِ ، وَرَاحًا يَتَحَدَّثَانِ عَنْ مُغَامِرَاتِهِمَا .

وَكَانَ مَعَ الذَّوْقِ بَعْضُ الْإِعْلَانَاتِ الْمَطْبُوعَةِ . وَخِلَالِ الْأَيَّامِ  
الثَّلَاثَةِ التَّالِيَةِ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ سِوَى الْمُبَارَزَةِ وَالتَّمَرُّنِ طَوَالَ الْوَقْتِ .  
وَذَاتَ صَبَاحٍ أَبْصَرْنَا مَدِينَةَ صَغِيرَةً أَمَامَنَا ، قَرِيبُنَا الرَّمْثُ عَلَى بُعْدِ  
كِيلُو مِثْرٍ مِنْهَا ، وَرَكِبْنَا جَمِيعًا الزُّورَقَ ، عَدَا جِيمٍ ، لِنَرَى هَلْ تَتَأَحَّ  
لَنَا الْقُرْصَةُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ لِنُقَدِّمَ فِيهِ عَرْضَنَا الْمَسْرُحِيَّ أَمْ لَا .

وَقَدْ حَالَفَنَا الْحِظُّ ؛ فَبَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ سَيِّقَامٌ مَعْرُضٌ  
زُرَاعِيٌّ ، وَقَدْ بَدَأَ الرِّيفِيُّونَ يَتَوَافِدُونَ عَلَى الْمَكَانِ بِالْفِعْلِ ، وَكَانَ  
الْمَعْرُضُ يَنْتَهِي قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ أَمَامَنَا فُرْصَةٌ طَيِّبَةٌ  
لِنُقَدِّمَ عَرْضَنَا ؛ فَاسْتَأْجَرَ الذَّوْقُ قَاعَةً ، وَطَافَ بِالْمَدِينَةِ يَلْصُقُ  
الْإِعْلَانَاتِ عَلَى جُدْرَانِهَا . وَكَانَ مَنْطُوقُ هَذِهِ الْإِعْلَانَاتِ كَالآتِي :

شكسبير !!!

عَرَضٌ رَائِعٌ لِمُدَّةٍ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ !!

دِيقِيد جَارِيكَ الْأَصْغَرُ ،

مِنْ مَسْرَحِ دُرُورِي لِين فِي لَنْدَنْ

إِدْمُونْد كِين الْأَكْبَرُ

مِنْ مَسْرَحِ رُوِيَال هَايْمَارِكْت ،

هَوَايْت تَشَابِلْ

بُودِينْغ لِين ، بِيكَادِيلِي ، لَنْدَنْ

مَشْهَدُ الشُّرْفَةِ مِنْ مَسْرَحِيَّةِ

رُومِيُو وَجُولِيَّتْ

رُومِيُو : السَّيِّدُ / جَارِيكَ

جُولِيَّتْ : السَّيِّدُ / كِين

وَتَسَاعِدُهُمَا الْفِرْقَةُ بِإِكْمَالِهَا

مَلَايْسُ جَدِيدَةٌ وَمَنَاظِرُ طَرِيفَةٌ

وَأَيْضًا

بِنَاءٌ عَلَى طَلَبِ خَاصٍّ

مَشْهَدُ الْمُبَارَزَةِ مِنْ مَسْرَحِيَّةِ رِيْتشارْدِ الثَّالِثِ

رِيْتشارْدِ الثَّالِثِ : السَّيِّدُ / جَارِيكَ

رِيْتشمُونْد : السَّيِّدُ / كِين

ثُمَّنْ تَذَكِّرَةُ الدُّخُولِ ٢٥ سَنَةً وَالْأَوْلَادُ وَالْخَدَمُ ١٠ سَنَاتٍ .

قَدَّمْنَا عَرْضَنَا بَعْدَ الْمَعْرُضِ الزَّرَاعِيِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ لِمُشَاهَدَةِ

العرض سوى أنني عثر شخصاً فقط ، كان ما دفعوه كافياً لتغطية النفقات. وظلوا يضحكون طول الوقت مما أثار حفيظة الدوق ، فعلق بقوله إن هؤلاء الأركانسيين الحمقى لا يستطيعون أن يفهموا شكسير . وما يريدونه هو التهريج الرخيص ، فقام في صباح اليوم التالي وحمل بعض الإعلانات وكصقتها في جميع أنحاء المدينة ، وكانت تقول :

في دار المحكمة

لمدة ثلاث ليالٍ فقط

الممثلان العالميان الشهيران

ديفيد جاريك الأصغر

وادموند كين الأكبر

في عرضيهما الرائع

تحفة ملكية

تَمَنُّ الدُّخُول ٥٠ سِتَّة .

وفي أسفل الإعلان كُتِبَ بخط بارز :

لا يُسَمَحُ بدُخُولِ السِّدَاتِ والأطفال

وَقَالَ الدُّوقُ : « إِنَّ لَمْ يَجْعَلَهُمْ هَذَا الإِعْلَانُ يُسْرِعُونَ بِالحُضُورِ أَكُنْ جَاهِلًا بِأَهْلِ أُرْكَانسو . »

وَأَسْفَلَ هُوَ وَالْمَلِكُ طَوَالَ الْيَوْمِ فِي إِقَامَةِ خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ . وَفِي بَلَدِ اللَّيْلَةِ ضُجَّتْ دَارُ الْمَحْكَمَةِ بِالنَّاسِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ . وَعِنْدَمَا عَدَا الْمَكَانُ لَا يَسَعُ الْمَزِيدُ ؛ وَقَفَ الدُّوقُ وَأَخَذَ يَكِيلُ الْمَدِيحِ لِلْمَسْرُوحَةِ وَلَإِدْمُونْد كَيْنِ الْكَبِيرِ ، الَّذِي سَيَلَعِبُ الدُّورَ الرَّئِيسِيَّ فِيهَا . وَأَخِيرًا فَتَحَ السِّتَارَ ، وَفِي الدَّقِيقَةِ التَّالِيَةِ ظَهَرَ الْمَلِكُ وَهُوَ يَرْقُصُ عَلَى أَرْبَعِ ، وَقَدْ طُلِيَ وَجْهُهُ وَجِسْمُهُ بِجَمِيعِ أَلْوَانِ الطِّيفِ ، وَبِرُسُومَاتٍ عَلَى كُلِّ دَوَائِرٍ وَبُقَعٍ وَخُطُوطٍ . وَلَا دَاعِي لَأَنْ أَطِيلَ الْحَدِيثَ عَنْ بَقِيَّةِ مَظْهَرِهِ . فَصَارَى الْقَوْلُ إِنَّهُ كَانَ مُشِيرًا لِلضُّحِكِ ، وَقَدْ ضَحِكَ النَّاسُ حَتَّى اسْتَلْقَوْا عَلَى أَفْقَائِهِمْ ؛ فَقَدْ كَانَ مَنْظَرُ هَذَا الْعَجُوزِ الْأَحْمَقِ وَهُوَ يُودِي دَوْرَهُ يُثِيرُ الضُّحِكَ حَتَّى لَدَى الْقِطْ !

وَأَسْفَلَ الدُّوقُ السِّتَارَ ، وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ هُنَاكَ عَرْضَيْنِ آخَرَيْنِ فَقَطْ ؛ لِأَنَّ أَمَامَهُمَا مَوَاعِيدَ عاجِلَةً فِي لَنْدُنَ ، وَصَاحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ : « مَا هَذَا ؟ هَلْ انْتَهَى الْعَرْضُ ؟ » ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ ثَوْرَةٌ غَضِيبٍ جَامِحَةٍ ، غَيْرُ أَنَّ رَجُلًا كَبِيرًا ، ذَا مَظْهَرَ حَسَنٍ ، صَاحَ فِي النَّاسِ قَائِلًا : « تَوَقَّفُوا ، اسْمَحُوا لِي بِكَلِمَةٍ أَتِيهَا السَّادَةُ ! » فَكَفَّ النَّاسُ عَنِ الشَّجَارِ وَأَنْصَتُوا .



قَالَ الرَّجُلُ : « لَقَدْ خُدَعْنَا ، وَلَكِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ تَضْحَكَ عَلَيْنَا الْمَدِينَةُ . الْأَفْضَلُ أَنْ نَخْدَعَ نَحْنُ بَقِيَّةَ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ . وَعِنْدَيْدُ نَكُونُ جَمِيعًا فِي نَفْسِ الْقَارِبِ . أَلَيْسَ هَذَا مَعْقُولًا ؟ »

صَاحَ الْمُتَفَرِّجُونَ : « بَلَى ، الْقَاضِي عَلَى حَقٍّ » .

أَضَافَ الْقَاضِي : « حَسَنًا . اذْهَبُوا إِلَى بُيُوتِكُمْ ، وَأَنْصَحُوا مَنْ تُقَابِلُونَهُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى هُنَا لِيَرَى الْعَرَضَ » .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لَمْ يَكُنْ يُسْمَعُ فِي الْمَدِينَةِ سِوَى عِبَارَةِ وَاحِدَةٍ : « كَمْ هِيَ رَائِعَةٌ مَسْرُحِيَّةٌ تُحَقِّقُ مَلَكِيَّةً ! » وَقَدْ امْتَلَأَتْ دَارُ الْمُحْكَمَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا عَنْ آخِرِهَا .

وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ غَصَّتِ الدَّارُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ حَضَرُوا عَرَضَ اللَّيْلَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ ، وَقَدْ لَاحَظَتْ أَنَّ كَلَامَ مِنْهُنَّ يَحْمِلُ شَيْئًا فِي حَبِيهِ أَوْ تَحْتَ مِعْطَفِهِ ، وَشَمَمَتْ رَائِحَةً بَيْضَ فَاسِدٍ وَخَضِرَاتٍ مُتَعَفِّفَةٍ ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ مِنْ أَشْيَاءَ . وَعِنْدَمَا لَمْ يَعُدِ الْمَكَانُ يَتَسَّعُ لِمَزِيدٍ ، بَدَأَ الدُّوقُ يَدُورُ مُتَّجِهًُا نَحْوَ بَابِ خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي انْعَطَفَ فِيهَا عِنْدَ رُكْنِ الْمَسْرَحِ ، وَبَاتَ فِي الظَّلَامِ ، قَالَ لِي : « اجْرُ بِسُرْعَةٍ الْآنَ حَتَّى نَبْتَغِدَ عَنِ الْمَسَاكِينِ ، ثُمَّ شَقِّ طَرِيقَكَ نَحْوَ الرَّمْثِ وَكَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُطَارِدُكَ ! »

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى الرَّمْثِ تَسَلَّلْنَا مُنْجِرِينَ . وَدَارَ فِي خَلْدِي أَنَّ الْمَلِكَ الْمُسْكِينَ سَيُوَاجِهُهُ وَقْتُمَا عَصِيْبًا مَعَ الْجُمْهُورِ . وَلَكِنْ شَيْئًا مِنْ هَذَا لَمْ يَحْدُثْ ، فَسَرَعَانِ مَا زَحَفَ مِنْ تَحْتِ الْمَآوَى وَهُوَ يَقُولُ : « حَسَنًا ، كَيْفَ سَارَتْ الْأُمُورُ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، أَيُّهَا الدُّوقُ ؟ » لَمْ يَكُنْ لَقَدْ ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَصْلًا .

لَمْ نُشْعَلْ ضَوْؤًا حَتَّى ابْتَعَدْنَا مَسَافَةً خَمْسَةَ عَشَرَ كِيلُومِترًا عَنْ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ أَضَافْنَا الْفَانُوسَ ، وَجَلَسْنَا نَتَنَاوَلُ عَشَاءَنَا . وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كَانَ الْمَلِكُ وَالِدُوقُ يَضْحَكَانِ مِلَاءً شِدْقَيْهِمَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي خَدَعَا بِهَا النَّاسَ .

وَقَدْ جَمَعَ هَذَانِ الْوَعْدَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسَةِ وَسِتِّينَ دُولَارًا فِي اللَّيَالِيِ الثَّلَاثَةِ . وَمَا رَأَيْتُ فِي حَيَاتِي مِنْ قَبْلُ مَا لَا تَمُوجَعُهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ .

ذَهَبْتُ لِأَنَامَ . وَعِنْدَمَا حَانَ دَوْرِي فِي الْحِرَاسَةِ لَمْ يَوْقَظْنِي جِيمٌ ، وَكَانَ غَالِبًا مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَحِينَمَا اسْتَيْقَظْتُ فِي الْفَجْرِ كَانَ يَجْلِسُ هُنَاكَ وَقَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ مُتَّجِهًُا . وَتَظَاهَرَتْ بِأَنْتِي لَمْ الْحَظُّ ذَلِكَ . وَكُنْتُ أَعْرِفُ السَّبَبَ فِي بُكَائِهِ : كَانَ يُفَكِّرُ فِي زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ خَلَفَهُمْ وَرَاءَهُ ، وَكَانَ حَزِينًا وَيَشْعُرُ بِالْحُزْنِ إِلَى بَيْتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْتَغِدْ عَنْهُ مِنْ قَبْلُ طِيلَةَ حَيَاتِهِ . وَعِنْدَمَا يَجْنُ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

كَانَ شَعُورُ الْحَزَنِ يَمْلَأُهُ ، وَيَبْكِي حِينَ يَظُنُّ أَنِّي نَائِمٌ يَقُولُ :  
« بُنَيْتِي الصَّغِيرَةَ الْإِيزَابِيثَ ! وَلَدَيَّ الْمُسْكِينِ الصَّغِيرَ جُونِي ! آه ! إِنَّهَا  
لِقَسْوَةٌ أَلَا أَرَاكُمَا مَرَّةً أُخْرَى . » كَانَ جِيمٌ زَنْجِيًّا رَائِعًا .

وَلَكِنِّي فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ تَحَدَّثْتُ مَعَهُ عَنْ زَوْجَتِهِ وَصَغِيرَتِهِ . وَبَعْدَ  
هُنَيْهَةٍ قَالَ لِي : « إِنَّ مَا يَجْعَلُنِي حَزِينًا الْآنَ أَنِّي سَمِعْتُ هُنَاكَ عَلَى  
الصُّفَّةِ صَوْتًا يُشَبِّهُ صَوْتَ صَفْعَةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ . وَقَدْ ذَكَرْنِي ذَلِكَ  
الصَّوْتُ بِتِلْكَ الْمَرَّةِ الَّتِي عَامَلْتُ فِيهَا صَغِيرَتِي الْإِيزَابِيثَ بِقَسْوَةٍ .  
كَانَتْ فِي الرَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهَا ، وَأَصَابَتْهَا الْحُمَى الْقَرْمُزِيَّةُ ،  
وَاجْهَتْ وَقَتًا عَصِيًّا ، إِلَّا أَنَّهُا شَفِيَتْ مِنْهَا . وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَتْ  
تَقِفُ بِالْقُرْبِ مِنِّي ، وَقُلْتُ لَهَا : « أَغْلِقِي الْبَابَ . » فَلَمْ تَفْعَلْ ،  
بَلْ وَقَفَتْ فِي مَكَانِهَا تَبْتَسِمُ لِي ، وَقَدْ أَثَارَ هَذَا جُنُونِي ، فَقُلْتُ لَهَا  
مَرَّةً أُخْرَى بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : « أَلَا تَسْمَعِينَنِي ؟ أَغْلِقِي الْبَابَ . »

« وَلَكِنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ ، بَلْ وَقَفَتْ تَبْتَسِمُ . وَهُنَا فَقَدْتُ أَعْصَابِي  
وَقُلْتُ لَهَا : سَارِيكِ . وَصَفَعْتُهَا صَفْعَةً أَطَارَتْهَا مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ  
وَأَلْقَتْ بِهَا بَعِيدًا . ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الْغُرْفَةِ الْأُخْرَى . وَمَكُنْتُ بِهَا  
عَشْرَ دَقَائِقَ ، وَعِنْدَمَا عُدْتُ كَانَ الْبَابُ لَا يَزَالُ مَفْتُوحًا ، وَكَانَتْ  
الطُّفْلَةُ عِنْدَ الْمُدْخَلِ تَجْرِي الدَّمُوعَ عَلَى خَدَّيْهَا .

« وَثَارَتْ ثَائِرَتِي ، وَانْجَهَتْ نَحْوَهَا . غَيْرَ أَنَّ الرِّيحَ هَبَّتْ فِي تِلْكَ

الْحَفْظَةِ وَصَفَقَتِ الْبَابَ . وَلَمْ تَتَحَرَّكِ الطُّفْلَةُ ، فَشَعَرْتُ أَنَّنِي ..  
أَنِّي .. لَا أَدْرِي بِمِ شَعَرْتُ . لَقَدْ تَسَلَّلْتُ خَارِجًا وَأَنَا ارْتَعِدُ ،  
وَفَتَحْتُ الْبَابَ بِرَفْقٍ ، وَأَخْرَجْتُ مِنْهُ رَأْسِي وَوَضَعْتُهَا خَلْفَ الطُّفْلَةِ ،  
وَفَجْأَةً صَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي ، فَلَمْ تَتَحَرَّكْ قَطُّ . آه يَا هَكَ ! لَقَدْ  
انْفَجَرْتُ فِي الْبُكَاءِ ، وَأَخَذْتُهَا بَيْنَ ذِرَاعِي وَأَنَا أَقُولُ : « يَا صَغِيرَتِي  
الْمُسْكِينَةَ ، لِيُسَامَحَ اللَّهُ جِيمَ الْعَجُوزِ ! لِأَنَّهُ لَنْ يُسَامَحَ نَفْسُهُ أَبَدًا طُولَ  
حَيَاتِهِ . آه يَا هَكَ ! لَقَدْ كَانَتْ الطُّفْلَةُ صَمَاءً بِكَمَاءٍ . وَكُنْتُ أَنَا  
عَامِلُهَا بِتِلْكَ الْقَسْوَةِ ! »



لَهُ مِنْ قَبْلُ مَثِيلاً . وَكَتَبَ الدَّوْقُ عَلَى لَوْحَةٍ هَذِهِ الْعِبَارَةَ : « هَذَا رَجُلٌ مَرِيضٌ ، وَهُوَ خَطِرٌ حِينَ يَقْعُدُ صَوَابَهُ » .

وَتَبَّتِ اللُّوحَةُ بِالمَسَامِيرِ عَلَى عَصَا أَمَامِ المَأْوَى . وَأَخْبَرَ الدَّوْقُ جِيمَ أَنْ يَقْفِزَ مِنَ المَأْوَى مِثْلَ المَجْنُونِ إِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ ، وَأَنْ يُطْلِقَ عَوَاءً مِثْلَ عَوَاءِ حَيَوَانٍ مُفْتَرَسٍ ، مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، فَيَخَافُ مِنْهُ النَّاسُ ، وَيَتْرَكُوهُ وَشَانَهُ . وَلَكِنْ مَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَرَاهُ وَيَنْتَظِرَ فِي مَكَانِهِ حَتَّى يُصْدِرَ عَوَاءَهُ ؛ فَإِنَّ نَظْرَةَ وَاحِدَةٍ إِلَيْهِ تَكْفِي لِأَنْ تَجْعَلَ مَنْ يَرَاهُ يُنْطَلِقَ هَارِبًا ؛ فَقَدْ كَانَ جِيمَ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ مَيِّتٌ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ لِقَبْرِهِ .

وَقَالَ الدَّوْقُ إِنَّهُ سَيَفَكِّرُ فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ لِقَرِيْبِهِ أُرْكَانَسُو ، عَلَى حِينٍ قَالَ المَلِكُ إِنَّهُ سَيَزُورُ الْقَرْيَةَ الأُخْرَى ، وَيَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى طَرِيقَةٍ يَجْنِي مِنْ وراثِهَا رِبْحًا وَفِيرًا . وَكُنَّا قَدْ اشْتَرَيْنَا مَلَابِسَ جَاهِزَةٍ مِنَ المَكَانِ الَّذِي تَوَقَّعْنَا فِيهِ آخِرَ مَرَّةٍ ، فَارْتَدَى المَلِكُ مَلَابِسَهُ وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ أَنَا . وَكَانَتْ مَلَابِسُ المَلِكِ سَوْدَاءَ ، قَبْدًا كَأَنَّهُ سَيِّدٌ مِنَ عَلَيْهِ القَوْمُ . وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّ المَلَابِسَ يُمَكِّنُهَا أَنْ تُغَيِّرَ مَظْهَرَ المَرْءِ بِمِثْلِ هَذَا الشَّكْلِ .

كَانَتْ ثَمَّةَ سَفِينَةٍ بُخَارِيَّةٍ مُحْمَلَةٌ ، رَاسِيَةً بِمُحَاذَةِ ضِيقَةِ النَّهْرِ ، عَلَى بُعْدِ خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنَ الْقَرْيَةِ . وَقَالَ المَلِكُ : « يَحْسَنُ وَأَنَا بِمَلَابِسِي هَذِهِ أَنْ أَقُولَ إِنَّنِي وَصَلْتُ مِنْ مَدِينَةِ سَانَ لُوي أَوْ مِنْ مَدِينَةِ

## الفصل العاشر

« أَنْتَ مُحْتَالٌ ! »

فِي اليَوْمِ التَّالِي ، وَقَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ ، رَكْنَا إِلَى فِرَاشِنَا . وَكُنَّا قَدْ رَبطْنَا الرِّمْتَ إِلَى الشَّاطِئِ أَسْفَلَ رَابِعِيَّةٍ رَمْلِيَّةٍ . وَكَانَتْ تَقَعُ عَلَى جَانِبِي النَّهْرِ قَرِيْبَتَانِ ، قَبْدًا الدَّوْقُ وَالمَلِكُ يَضَعَانِ الخُطَطَ لِلَاخْتِيَالِ عَلَيْهِمَا .

وَأَخْبَرَ جِيمَ الدَّوْقَ أَنَّ رُقُودَهُ فِي المَأْوَى طَوَالَ النَّهَارِ مُقَيَّدَ اليَدَيْنِ شَيْءٌ لَا يَسْتَسِيغُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّنَا كُنَّا نَضْطَرُّ إِلَى تَقْيِيدِهِ عِنْدَمَا نَتْرَكُهُ بِمَقْرَدِهِ خَشْيَةً أَنْ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ غَيْرُ هَارِبٍ . وَقَدْ خَطَرْتُ لِلدَّوْقِ فِكْرَةَ ، فَعَامَ بِتَنْفِيذِهَا عَلَى القَوْرِ ، فَأَلْبَسَ جِيمَ مَلَابِسَ المَلِكِ لِيرَ - وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ رِدَاءٍ طَوِيلٍ مَصْنُوعٍ مِنْ قُمَاشِ السَّنَائِرِ ، وَشَعْرٍ أبيضٍ مُسْتَعَارٍ ، وَلَحِيَّةٍ بَيْضَاءَ . ثُمَّ قَامَ بِطِلَاءٍ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَأَذْنَيْهِ وَعَنْقَهُ بِمَسَاحِيْقٍ تَمَثِيلِيَّةٍ ، قَبْدًا جِيمَ أَزْرَقَ اللُّونَ ، شَاحِيًا ، جَامِدًا ، كَثِيْبًا ، كَأَنَّهُ رَجُلٌ مَاتَ غَرَقًا مِنْهُ تِسْعَةُ أَيَّامٍ ؛ فَكَانَ مَظْهَرُهُ مَرْغِبًا ، لَمْ أَرِ

سِنْسِينَاتِي ، أَوْ مِنْ أَيِّ مَدِينَةٍ أُخْرَى كَبِيرَةٍ . هَيَّا بِنَا إِلَى السَّفِينَةِ  
الْبُخَارِيَّةِ ، يَا هَكْلَبْرِي ؛ فَسَنَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْفَرِيَّةِ .»

انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْمَلِكُ فِي الزَّوْرَقِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ وَقْتُ طَوِيلٍ ،  
رَأَيْنَا شَابًّا رَيفِيًّا لَطِيفًا يَجْلِسُ عَلَى جَذَعِ شَجَرَةٍ وَهُوَ يُجَفِّفُ عَرَفَهُ ،  
فَقَدْ كَانَ الطَّقْسُ حَارًّا جَدًّا . وَكَانَتْ مَعَهُ حَبِيبَتَانِ ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ :  
« إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ أَيُّهَا الشَّابُّ ؟ »

أَجَابَ الشَّابُّ : « إِلَى السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ ، فَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى نِيو  
أورليانز . »

قَالَ الْمَلِكُ : « ارْكَبْ مَعَنَا . سَيَسَاعِدُكَ خَادِمِي فِي حَمَلِ  
الْحَقِيبَتَيْنِ . »

وَشَرَعْنَا فِي الْإِبْحَارِ مَرَّةً أُخْرَى . وَأَعْرَبَ الشَّابُّ عَنْ امْتِنَانِهِ ، ثُمَّ  
قَالَ : « إِنَّ رَفْعَ حَقِيبَتَيْنِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي هَذَا الْجَوِّ الْحَارِّ لَعَمَلٌ شاقٌّ .  
عِنْدَمَا رَأَيْتُكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ قُلْتُ فِي نَفْسِي هَا هُوَ السَّيِّدُ وَلَكِنْ ..  
بِالتَّأَكِيدِ هُوَ . وَقَدْ وَصَلْتُ إِلَى هُنَا تَقْرِيْبًا فِي الْمَوْعِدِ الْمُنَاسِبِ . وَلَكِنِّي  
عُدْتُ فَقُلْتُ : « لا . لَيْسَ هُوَ ، فَلَا يُعْقَلُ أَنْ يُجَدِّفَ فِي النَّهْرِ . »  
أَنْتَ لَسْتُ هُوَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ الْمَلِكُ : « نَعَمْ . لَسْتُ هُوَ ، أَنَا اسْمِي بِلُودْجَت ، أَلَكْسَانْدَر

بِلُودْجَت .. أَنَا آسِفٌ لِأَنَّ السَّيِّدَ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ فِي الْمِيعَادِ . وَلَكِنْ  
هَلْ أَضَاعَ شَيْئًا بِعَدَمِ وُصُولِهِ ؟ »

قَالَ الشَّابُّ : « لا . لَمْ يُضْعَ شَيْئًا ، فَهُوَ سَيَحْصُلُ عَلَى  
الْمَمْتَلَكَاتِ . وَلَكِنَّهُ أَضَاعَ فُرْصَةً رُؤْيَ أَخِيهِ بِيْتَرِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ؛ فَهُمَا  
لَمْ يَرِيا بَعْضُهُمَا مِنْذُ أَنْ كَانَا طِفْلَيْنِ يَعْيشَانِ مَعًا . كَمَا أَنَّ بِيْتَرَ لَمْ  
يَرِ أَيُّضًا أَخَاهُ وَلِيمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ فَهُوَ أَصَمٌّ وَأَبْكَمٌ .. وَهُوَ وَجُورِجُ  
هُمَا وَحَدَهُمَا اللَّذَانِ أَتَيَا إِلَى هُنَا . وَكَانَ جُورْجُ هُوَ الْأَخَ الْمُنْتَزَجُ ،  
وَقَدْ مَاتَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى هَارْفِي  
وَلِيمَ ، وَكَمَا قُلْتُ لَمْ يَصِلَا إِلَى هُنَا فِي الْمَوْعِدِ الْمُنَاسِبِ . »

سَأَلَ الْمَلِكُ : « هَلْ أُرْسِلَ لَهُمَا أَحَدُ رِسَالَةٍ ؟ »

قَالَ الشَّابُّ : « نَعَمْ ، مِنْذُ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ . فَعِنْدَمَا مَرَضَ بِيْتَرُ  
كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَرَى هَارْفِيَّ وَ لِيمَ أَيُّضًا . وَقَدْ تَرَكَ رِسَالَةً لِهَارْفِي ،  
وَقَالَ إِنَّهُ أَخْبَرَهُ فِيهَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَجَّى فِيهِ الْمَالُ ، وَعَنِ الطَّرِيقَةِ  
الَّتِي يُرِيدُ بِهَا أَنْ يُقَسِّمَ بَقِيَّةَ الْمَمْتَلَكَاتِ ، حَتَّى تَنَالَ بَنَاتُ جُورْجِ  
حَظًّا طَيِّبًا مِنَ الثَّرْوَةِ ؛ لِأَنَّ جُورْجَ لَمْ يُخْلَفْ وَرَاءَهُ شَيْئًا . »

« لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ هَارْفِي ؟ وَآيْنَ يَعْيشُ ؟ »

أَجَابَ الشَّابُّ : « إِنَّهُ يَعْيشُ فِي إِنْجِلْتِرَا - شِيفِيلْد ، وَيَعْمَلُ وَاظِعًا . »



لَكِنْ رَبِّمَا لَا يَكُونُ قَدْ تَلَقَّى الرِّسَالَةَ .

سَأَلَ الْمَلِكُ : « كَمْ عُمَرُ بَنَاتِ جُورَج ؟ »

أَجَابَ الشَّابُّ : « مَارِي جِين تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، سِوزَانُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَجُونَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . »

قَالَ الْمَلِكُ وَالْأُسَى يَغْلَفُ صَوْتَهُ : « ابْنَتَاهَا الْخُمَلَانُ الْمِسْكِينَةُ ! إِنَّهُ لَأَمْرٌ بَالِغُ الْقَسْوَةِ أَنْ يَتَرَكْنَ هَكَذَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَرْحَمُ . »

قَالَ الشَّابُّ : « كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُنَّ فِي حَالٍ أَسْوَأَ ، لَوْلَا أَنْ يَبْتَرِلَهُ أَصْدِقَاءُ ، وَهَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءُ لَنْ يَسْمَحُوا بِأَيِّ أَذَى يُصِيبُ الْفَتَيَاتِ ، فَهَنَّاكَ هُوبِسونَ الْوَاعِظُ ، وَلَوْتُ هُوفِي ، وَبَنُ رُوكِر ، وَأَبْنَرُ شَاكِلْفُورد ، وَلِيفِي بِلُ الْمُحَامِي ، وَالْدُكْتُورُ رُوبِنسونَ ، وَزُوجَاتُهُمْ ، وَالْأَرْمَلَةُ بَارْتَلِي . وَهَنَّاكَ الْكَثِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَلَكِنْ مَنْ ذَكَرْتَهُمْ الْآنَ هُمْ أَقْرَبُ الْأَصْدِقَاءِ لِيَبْتَرِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ عَنْهُمْ أحيانًا حِينَ كَانَ يُرْسِلُ رِسَائِلَ إِلَى وَطَنِهِ ، وَمِنْ تَمَّ فَإِنَّ هَارْفِي سَيَعْرِفُ آيْنَ يَجِدُ الْأَصْدِقَاءَ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى هُنَا . »

وَأَسْتَمَرَ الْمَلِكُ فِي تَوْجِيهِ أَسْئَلَتِهِ حَتَّى أَفْرَغَ مَا فِي جَبْعَةِ الشَّابِّ مِنْ مَعْلُومَاتٍ تَقْرِيْبًا ، ثُمَّ سَأَلَ : « هَلْ كَانَ يَبْتَرِ وَلَكْسَ ثَرِيًّا ؟ »

أَجَابَ الشَّابُّ : « جِدًّا ، كَانَ يَمْلِكُ بُيُوتًا وَأَرْضِي . وَاعْتَقَدْتُ أَنَّهُ

تَرَكَ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً آلَافَ قِطْعَةٍ ذَهَبِيَّةٍ مُخَبَّأَةً فِي مَكَانٍ مَا هُنَا . »

سَأَلَهُ الْمَلِكُ : « الْجِزَاةُ عَدَا ؟ »

قَالَ الشَّابُّ : « نَعَمْ ، عِنْدَ الظُّهْرِ . »

عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ كَانَ تَحْمِيلُهَا قَدْ انْتَهَى ، وَسَرَّعَانَ مَا بَدَأَتْ الرَّحِيلُ . وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَلِكُ شَيْئًا عَنْ الصُّعُودِ إِلَى سَطْحِهَا ، بَلْ اتَّجَهَ إِلَى الشَّاطِئِ وَقَالَ : « وَالْآنَ أَسْرِعْ ، يَا هَكَ ، وَأَخْضِرِ الدُّوقَ وَالْحَقَائِبَ الْجَدِيدَةَ ، وَأَخْبِرْهُ أَنْ يَرْتَدِّي أَجْمَلَ مَلَاسِهِ . » وَحِينَ عُدْتُ بِالدُّوقِ ، أَخْبَرَهُ الْمَلِكُ بِكُلِّ شَيْءٍ قَالَهُ الشَّابُّ .

وَفِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَصَلَتْ سَفِينَةُ بُخَارِيَّةٍ أُخْرَى ، فَصَعِدْنَا عَلَى سَطْحِهَا . وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى الْقَرْيَةِ ذَهَبْنَا إِلَى الشَّاطِئِ فِي الْقَارِبِ ، وَتَجَمَّعَ حَوْلَنَا عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : « أَيُّهَا السَّادَّةُ ، هَلْ بَيْنَكُمْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدُلَّنَا عَلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي يَقْطُنُّ فِيهِ السَّيِّدُ يَبْتَرِ وَلَكْسَ ؟ »

قَالَ أَحَدُهُمْ : « آسِفٌ ، يَا سَيِّدِي ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدُلَّكَ عَلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ حَتَّى الْآنَ . »

رَمَى الْوَعْدُ الْعَجُوزَ بِنَفْسِهِ عَلَى الرَّجُلِ وَرَاحَ يَبْكِي ، وَدُمُوعُهُ

تَنَحَّيْتُ عَلَى ظَهْرِ الرَّجُلِ ، وَقَالَ : « وَاحْسَرَتَاهُ ! أَرَحَلَ أَخُونَا  
الْمِسْكِينُ ؟ لَمْ نَصِلْ فِي الْمِعَادِ لِرُؤْيَيْهِ . آه إِنَّهُ لَأَمْرٌ صَعَبٌ ! صَعَبٌ  
جِدًّا ! »

اِسْتَدَارَ وَهُوَ يَمْكِي ، وَصَنَعَ بِيَدَيْهِ بَعْضَ الْإِشَارَاتِ الْبَلْهَاءِ لِلدُّوقِ ،  
فَانْفَجَرَ الْأَخِيرُ بَاكِيًا . وَتَجَمَّعَ الرِّجَالُ حَوْلَهُمَا ، وَأَخَذُوا يُوَسِّوْنَهُمَا ،  
وَحَمَلُوا أُمْتِعَتَهُمَا ، وَصَعِدُوا بِهَا إِلَى أَعْلَى التِّلِّ .

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ وَجَدْنَا الشَّارِعَ الَّذِي أَمَامَهُ يَجْعُ  
بِالنَّاسِ ، وَكَانَتْ الْفَتَيَاتُ الثَّلَاثُ يَقِفْنَ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ . كَانَتْ  
مَارِي جِينُ بَارِعَةً الْجَمَالِ ، يُشْعُ وَجْهُهَا ضِيَاءً ، وَعَيْنَاهَا سُرُورًا  
بِمَقْدَمِ عَمَّيْهَا . وَقَدْ بَكَى الْوَاقِفُونَ تَأَثُّرًا وَسُرُورًا حِينَ رَأَوْا شَمْلَ  
الْأُسْرَةِ يَجْتَمِعُ أَخِيرًا .

وَأَلْقَى الْمَلِكُ خُطْبَةً مَلَأَهَا دُمُوعًا وَكَلَامًا أَجُوفَ ، وَضَمَّنَهَا مَا  
يُحْسُّ بِهِ هُوَ وَأَخُوهُ مِنْ أَلَمٍ وَحُزْنٍ ؛ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَرِيا الْفَقِيدَ الرَّاحِلَ  
وَهُوَ حَيٌّ بَعْدَ أَنْ قُطِعَا فِي رِحْلَتِهِمَا سِتَّةَ آلَافٍ كِيلُومِترٍ وَقَالَ إِنَّهُ  
سَيَكُونُ سَعِيدًا هُوَ وَبَنَاتُ أَخِيهِ لَوْ أَنَّ قَلِيلًا مِنْ أَصْدِقَاءِ الْعَائِلَةِ  
الْحَمِيمِينَ تَنَاوَلُوا مَعَهُمُ الْعِشَاءَ هَذَا الْمَسَاءَ - الْأَصْدِقَاءُ الَّذِينَ كَانُوا  
يَذْكُرُهُمْ أَخُوهُ الْمِسْكِينُ فِي خُطَابَاتِهِ : السَّيِّدُ هُوبِسونَ ، وَلُوتُ  
هُوفِي ، وَالسَّيِّدُ بِنُ رُوكِرَ ، وَأَبْنَرُ شَاكْلِفُورْدَ ، وَلِيْفِي بِلَ ، وَالْدُكْتُورُ

روبنسونَ وَزَوْجَاتُهُمْ ، وَالْأَرْمَلَةُ بَارْتَلِي .

وَكَانَ هُوبِسونَ الْوَاعِظُ وَالْدُكْتُورُ رُوبِنسونَ فِي شُغْلِ الْمَدِينَةِ ، أَمَّا  
الْحَامِي بِنُ فَكَانَ غَائِبًا فِي عَمَلٍ ، وَالْباقُونَ كَانُوا حَاضِرِينَ ، وَقَدْ  
جَاءُوا جَمِيعُهُمْ وَصَافَحُوا الْمَلِكَ وَالدُّوقَ . وَاسْتَطَاعَ الْمَلِكُ أَنْ  
يَسْتَفْسِرَ - تَقْرِيْبًا - عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ فِي الْقَرْيَةِ بِالْأَسْمِ ، وَذَكَرَ جَمِيعَ  
الْأَحْدَاثِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ فِي الْقَرْيَةِ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخِرِ ، أَوْ  
تِلْكَ الَّتِي وَقَعَتْ لِعَائِلَةِ جُورْجَ ، أَوْ الَّتِي حَدَثَتْ لِيِبْتِرَ . وَكَانَ يُشِيرُ  
دَائِمًا إِلَى أَنْ يَبْتَرِ كَتَبَ لَهُ عَنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ . وَمَا كَانَ هَذَا كُلُّهُ  
إِلَّا كَذِبًا ، وَمَا هِيَ إِلَّا الْأَحْدَاثُ الَّتِي كَانَ قَدْ عَرَفَهَا مِنْ ذَلِكَ  
الشَّابِّ الْأَحْمَقِ الَّذِي أَرَكْنَاهُ مَعَنَا فِي الزُّورِ ، وَأَوْصَلْنَاهُ إِلَى  
السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ .

وَأَحْضَرَتْ مَارِي جِينُ الرِّسَالَةَ الَّتِي تَرَكَهَا عَمُّهَا ، فَأَخَذَهَا  
الْمَلِكُ ، وَقَرَأَهَا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ . وَقَدْ أَوْصَى الْعَمُّ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ  
بِالْمَنْزِلِ وَثَلَاثَةِ آلَافِ دُولَارٍ لِلْبَنَاتِ . وَأَعْطَى الطَّاحُونَةَ - وَكَانَتْ  
تُدِيرُ دَخْلًا وَفِيرًا - وَبَعْضَ الْبُيُوتِ الْآخَرَى وَالْأَرْضَ (وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ  
تُسَاوِي سَبْعَةَ آلَافِ دُولَارٍ) ، بِالإِضَافَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دُولَارٍ  
لِهَارْفِي وَوَلِيمِ . وَوَصَفَ فِي الرِّسَالَةِ الْمَكَانَ الَّذِي خَبَأَ فِيهِ السَّتَّةَ  
آلَافِ دُولَارٍ الذَّهَبِيَّةِ ، وَقَالَ إِنَّهَا فِي حَقِيْقَةٍ فِي الْقَبْرِ ، فَقَالَ الْمُحْتَالَانِ



إِنَّهُمَا سَيَذْهَبَانِ وَيَأْتِيَانِ بِهَا وَيُعْلِنَانِ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ .  
وَطَلَبَا مِنِّي أَنْ أَحْضِرَ شَمْعَةً وَأَتَّبِعَهُمَا .

وَعِنْدَمَا وَجَدَا الْحَقِيقَةَ فَتَحَاهَا وَأَقْرَعَا النُّقُودَ عَلَى الْأَرْضِ . وَكَانَ  
مَنْظَرُ تِلْكَ الدُّوَلَارَاتِ الذَّهَبِيَّةِ وَهِيَ مَكُونَةٌ عَلَى الْأَرْضِ رَائِعًا ،  
دَمَعَتْ لَهُ عَيْنَا الْمَلِكِ ، وَقَامَ هُوَ وَالِدُوقُ بَعْدَهَا فَوَجَدَاهَا تَنْقُصُ  
أَرْبَعَمِئَةِ وَخَمْسِينَ دُولَارًا عَنْ السِّتَةِ آلَافِ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : « نَحْنُ  
نُرِيدُ أَنْ نَعُدَّ النُّقُودَ أَمَامَهُمْ حَتَّى لَا يَشْكُوا فِي شَيْءٍ ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ  
الْمَيْتَ يَقُولُ إِنَّهَا سِتَّةُ آلَافِ دُولَارٍ . »

قَالَ الدُّوقُ : « أَنْتَظِرْ . دَعْنَا نَعُوضُ الْمُبْلَغَ النَاقِصَ . »  
وَبَدَأَ يُخْرِجُ مِنْ جَيْبِهِ دُولَارَاتٍ صَفْرَاءَ ذَهَبِيَّةٍ .

صَاحَ الْمَلِكُ : « هَذِهِ فِكْرَةٌ عَظِيمَةٌ ، أَيُّهَا الدُّوقُ . »

وَبَدَأَ هُوَ أَيْضًا يُخْرِجُ مَا بِجَيْبِهِ مِنْ دُولَارَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ وَيَكُونُهَا أَمَامَهُ .  
وَقَدْ قَضَى ذَلِكَ تَقْرِيْبًا عَلَى كُلِّ الدُّوَلَارَاتِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمَا ،  
وَهَكَذَا أَكْمَلَا السِّتَةَ آلَافِ دُولَارٍ .

وَقَالَ الدُّوقُ : « لَدَيَّ فِكْرَةٌ أُخْرَى . لِنَصْعُدْ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ ،  
وَنُحْضِرَ النُّقُودَ ثُمَّ نَهَبُهَا لِلْفَتَيَاتِ . »

صَاحَ الْمَلِكُ : « يَا إِلَهِي ! إِنَّهَا لِأَرْوَعُ فِكْرَةٌ نَطَقَ بِهَا إِنْسَانٌ ! »



وَعِنْدَمَا صَعِدْنَا إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ تَجَمَّعَ الْحَاضِرُونَ حَوْلَ  
الْمُنْصَدَةِ ، وَأَحْصَى الْمَلِكُ النُّقُودَ ، وَكُومَهَا أَمَامَ الْحَاضِرِينَ ، وَبَدَأَ  
يَنْتَفِخُ زَهْوَ اسْتِعْذَادًا لِخُطَّةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا السَّادَّةُ ، لَقَدْ تَصَرَّفَ أَخِي الْمِسْكِينُ بِكُلِّ كَرَمٍ نَحْوِ  
هَاتِكُمْ الْحُمْلَانِ الصَّغِيرَةِ الْمِسْكِينَةِ الَّتِي أَحَبَّهَا وَأَوَّاهَا . وَنَحْنُ اللَّذَانِ  
نَعْرِفُهُ جَيِّدًا ، نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ سَيَتَصَرَّفُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْكَرَمِ . لَوْلَا أَنَّهُ  
خَافَ مِنْ جَرَحِ مَشَاعِرِ أَخِيهِ الْعَزِيزِ وَلِيمٍ وَمَشَاعِرِي . وَلَكِنْ كَيْفَ  
يَكُونُ مَنْظَرُ هَذَيْنِ الْعَمِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ يَسْرِقَانِ - نَعَمْ يَسْرِقَانِ - هَؤُلَاءِ  
الْحُمْلَانِ الْجَمِيلَةِ الْمِسْكِينَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الْحَزِينِ ؟ لَا .. هَذَا  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ . مَارِي جِين ، سِوزَان ، جَوَانَا ، خُذْنَ هَذَا الْمَالَ  
جَمِيعَةً ، إِنَّهُ هِبَةٌ مِنْ أَخِي الْمِسْكِينِ . »

قَالَتِ الْفَتَيَاتُ : « يَا أَحِبَّائِنَا ! كَمْ هُوَ جَمِيلٌ مِنْكُمَا أَنْ تَفْعَلَا  
هَذَا ! »

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ انْطَلَقَتْ ضِحْكَةً مَدُونَةً ، أَطْلَقَهَا فِي وَجْهِ  
الْمَلِكِ رَجُلٌ ذُو فَكٍّ حَدِيدِيٍّ كَانَ قَدْ دَخَلَ لِقَاؤَهُ . وَأَصِيبَ كُلِّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ بِصَدْمَةٍ . وَتَسَاءَلَ أَبْنَرُ شَاكْلْفورد : « مَنْ ؟  
روينسون ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ الْأَخْبَارَ ؟ هَذَا هُوَ هَارْفِي وَلَكْس . »

وَابْتَسَمَ الْمَلِكُ فِي شَوْقٍ وَمَدَّ يَدَهُ مُصَافِحًا وَقَالَ : « أَ هَذَا هُوَ

سَدِيقُ أَخِي الْعَزِيزِ الدُّكْتُورِ روينسون ؟ »

قَالَ الدُّكْتُورُ : « أَبْعِدْ يَدَكَ عَنِّي ! هَلْ أَنْتَ أَخُو بِيْتِرْ وَلَكْس ؟  
لَا ، لَسْتُ هُوَ ، مَا أَنْتَ إِلَّا مُحْتَالٌ . »

وَأَثَارَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةَ أَحَاسِيسَ الْحَاضِرِينَ ، وَتَجَمَّعُوا حَوْلَ الدُّكْتُورِ ،  
وَحَاولُوا أَنْ يَخْبِرُوهُ كَيْفَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَثْبَتَ لَهُمْ بِكُلِّ الطَّرِيقِ  
أَنَّهُ هَارْفِي .

قَالَ الدُّكْتُورُ ، مُتَفَتِّيًا لِلْفَتَيَاتِ : « أَصْغِينَ لِي . أُطْرِدُنَّ هَذَا  
الْوَعْدَ مِنْ هُنَا ! اتَّوَسَّلْ إِلَيْكُنَّ أَنْ تَفْعَلْنَ هَذَا . »

قَالَتْ مَارِي جِين وَهِيَ تَضَعُ حَقِيَّةَ النُّقُودِ فِي يَدِ الْمَلِكِ :  
« هَاكَ إِجَابَتِي .. خُذْ هَذِهِ الْآلَافَ السَّتَّةَ وَضَعْهَا فِي أَيِّ مَكَانٍ  
يُمْكِنُ أَنْ يَعُودَ عَلَيْنَا بِالْفَائِدَةِ . »

صَفَّقَ الْحَاضِرُونَ ، وَضَرَبُوا الْأَرْضَ بِأَرْجُلِهِمْ مِثْلَ الْمَجَانِينِ ،  
عَلَى حِينٍ شَمَخَ الْمَلِكُ بِأَنْفِهِ وَابْتَسَمَ مَرَهَوْا .

قَالَ الدُّكْتُورُ : « إِنِّي أَنْفَضْتُ يَدِي مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَلَكِنْ  
سَيَحِينُ الْوَقْتُ الَّذِي تَشْعُرُنَّ فِيهِ بِالْغُصَّةِ كُلَّمَا تَدَكَّرْتَنَّ هَذَا الْيَوْمَ . »

وَانْصَرَفَ خَارِجًا .



## الفصل الحادي عشر حقيبة الذهب

عندما انصرف الناس سأل الملك ماري عما إذا كانت ثمة عُرْف شاغرة لمبيتنا ، فقالت إن هناك واحدة تصلح للعلم ولهم ، وستتخلى هي عن عُرْفها للعلم هارفي وتشارك أختيها حجرتهما ، وثم فراش في الكوخ يصلح لي .

وفي تلك الليلة أقيم عشاء فخّم حضره جميع أولئك الرجال الذين كانوا حاضرين من قبل وزوجاتهم . وقد تناولت عشائي في المطبخ بعد ذلك ، وبذلك الأخوات ، بل كل من في المنزل ، ما في وسعهن ليجعلنني أشعر وكأنني في بيتي ، غير أنني أحسست بالخجل حين ذهبت إلى الفراش . وقلت في نفسي : « يجب أن أسرق ذلك المال بطريقة أو بأخرى ، وأخبره ، ثم حين أبحر في النهر أرسل رسالة أخبر فيها ماري جين بمكانه ؛ لذلك سأذهب وأفتش العُرفتين . »

وجدت عُرْفَ الملك ، وبدأت أحسّس طريقي في الظلام ؛ فلم أكن لأجرؤ على إشعال شمعة . ومرّ بعض الوقت ، ثم سمعت صوت أقدامهما آتية ، وفي هذه اللحظة لمست يدي الستارة التي تخفي ملابس ماري جين ، فقفزت وراءها ، واختفيت خلف الملابس في اللحظة التي دخلت فيها العُرْف وجلّسا .

سأل الملك : « ما الخبر ؟ »

قال الدوق : « إنني قلق أيها الملك . ذلك الدكتور يشغل فكري ، وأعتقد أننا يجب أن ننسل خارجين من هنا ، ونسرع إلى النهر بما حصلنا عليه . »

صاح الملك : « ماذا ؟ أ نمشي وترك ثمانية أو تسعة آلاف دولارا ، قيمة العقارات ، وهي تنتظرنا لنلتقطها ؟ »

تدمر الدوق قائلا إن حقيبة الذهب تكفي ، وأنه لا يريد أن يسلب الفتيات كل شيء يملكته ، فأخذ الملك يناقش الدوق ، حتى اقتنع أخيرا .

قال الدوق للملك وهما يخرجان : « أعتقد أننا لم نضع النقود في مكان أمين . »

قال الملك : « أنت على حق ، يا دوق . »

وَجَاءَ يَتَحَسَّسُ الدَّهَبَ تَحْتَ السَّتَارَةِ عَلَى بَعْدِ مِثْرٍ مِنْ حَيْثُ  
 كُنْتُ مُخْتَبِئًا ، وَلَمْ يُسَاوِرْهُ الشُّكُّ إِطْلَاقًا فِي أَنِّي كُنْتُ هُنَاكَ .  
 وَدَفَعًا بِالنَّقُودِ فِي الْحَشِيَّةِ الْمَحْشُوءَةِ بِالْفَشِّ ، وَالْمَوْجُودَةِ تَحْتَ  
 السَّرِيرِ ، مِنْ خِلَالِ مَرْقٍ فِيهَا . وَكَانَ عَلَى السَّرِيرِ حَشِيَّةٌ أُخْرَى  
 مَحْشُوءَةٌ بِرِيشِ الطُّيُورِ . وَمَا إِنَّ فَعَلًا ذَلِكَ حَتَّى قَالَا إِنَّ هَذَا أَفْضَلُ ؛  
 لِأَنَّ الْخَادِمَةَ تَنْظِفُ الْفِرَاشَ وَحَشِيَّةَ رِيشِ الطُّيُورِ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ ، عَلَى  
 حِينِ تَقْلُبِ حَشِيَّةِ الْفَشِّ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ ، وَمِنْ تَمَّ فَإِنَّ خَطَرَ  
 السَّرِقَةِ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ .

وَلَكِنِّي أَخْرَجْتُ الْمَالَ قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ مُتَنَصِّفَ الدَّرَجِ ، وَخَبَّاتَهُ فِي  
 الْكُوخِ ، ثُمَّ رَقَدْتُ وَأَنَا مُرْتَدٍ لِمَلَابِسِي كُلِّهَا .

وَمَرَّتْ لِحَظَاتٌ ثُمَّ سَمِعْتُ الْمَلِكَ وَالْدُوقَ يَصْعَدَانِ ، وَعِنْدَمَا  
 سَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ آخِرَ اللَّيْلِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ ضَجِيجُ يَوْمٍ جَدِيدٍ  
 انْسَلَلْتُ خَارِجًا .

تَسَلَّلْتُ إِلَى غُرْفَتَيْهِمَا ، وَأَصْغَيْتُ ، فَجَاءَ إِلَى أُذُنِي صَوْتُ  
 شَخِيرِهِمَا ، فَتَسَلَّلْتُ هَابِطًا الدَّرَجَ ، وَنَظَرْتُ بِحَذَرٍ مِنْ خِلَالِ بَابِ  
 غُرْفَةِ الطَّعَامِ ، حَيْثُ كَانَتْ شَمْعَةٌ تَحْتَرِقُ ، وَحَيْثُ كَانَ الرَّجُلَانِ  
 الَّذِينَ يَحْرِسُونَ جُثْمَانَ الْمَيِّتِ غَارِقِينَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ عَلَى كُرَاسِيهِمْ .  
 وَكَانَتْ نَمَّةٌ شَمْعَةٌ أُخْرَى فِي الْغُرْفَةِ الْأَمَامِيَّةِ حَيْثُ يَرْقُدُ الْجُثْمَانُ ،

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهَا أَحَدٌ ، فَاتَّجَهْتُ إِلَى الْبَابِ الْأَمَامِيِّ ، فَوَجَدْتُهُ  
 مُغْلَقًا بِالْقُفْلِ ، وَالْمِفْتَاحُ غَيْرُ مَوْجُودٍ بِهِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَمِعْتُ شَخْصًا يَهْبِطُ الدَّرَجَ فَجَرِيتُ إِلَى  
 الْغُرْفَةِ الْأَمَامِيَّةِ ، وَلَمْ أَرِ أَمَامِي سِوَى التَّابُوتِ مَكَانًا أَخْفِي فِيهِ  
 الْحَقِيقَةَ ، وَكَانَ غِطَاؤُهُ مَرْفُوعًا قَدْرَ قَدَمٍ ، وَيُظْهِرُ مِنْهُ وَجْهَ الرَّجُلِ  
 الْمَيِّتِ مُغَطًى بِقِطْعَةٍ مِنَ الْقَمَاشِ ، قَدَفَعْتُ بِالْحَقِيقَةِ تَحْتَ الْغِطَاءِ ،  
 وَجَرِيتُ عَبْرَ الْغُرْفَةِ وَاخْتَبَأْتُ خَلْفَ الْبَابِ .

كَانَتِ الْقَادِمَةُ مَارِي جِين ، الَّتِي تَوَجَّهَتْ إِلَى التَّابُوتِ ، وَجَعَتْ  
 عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَنَظَرَتْ إِلَى التَّابُوتِ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ مِندِيلَهَا وَرَاحَتْ  
 تَبْكِي ، فَتَسَلَّلْتُ خَارِجًا ، وَصَعِدْتُ إِلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَشْعُرُ بِخَبِيَّةٍ أَمَلٍ  
 مِنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الْأُمُورُ ، رَغَمَ مَا تَكَبَّدْتُ مِنْ مُتَاعِبٍ ،  
 وَوَجَّهْتُ مِنْ أخطارٍ .

وَكَنْتُ أُرِيدُ ، بِالطَّبْعِ ، أَنْ أَسْأَلَ هَابِطًا وَأَخْضِرَ الْحَقِيقَةَ مِنْ  
 مَكَانِهَا ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجْزُؤْ عَلَى مُحَاوَلَةِ ذَلِكَ ، فَبَعْدَ قَلِيلٍ سَيَنْهَضُ  
 الْحَرَّاسُ وَقَدْ يَقْبِضُونَ عَلَيَّ .

وَفِي الصَّبَاحِ عِنْدَمَا هَبَّطْتُ إِلَى الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ كَانَتِ الْغُرْفَةُ  
 الْأَمَامِيَّةُ مُغْلَقَةً . وَعِنْدَ الظُّهْرِ جَاءَ رَجُلَانِ وَوَضَعَا التَّابُوتَ عَلَى



كَرْسِيِّنَ فِي مُتَنَصِّفِ الْغُرْفَةِ ، وَرَأَيْتُ الْغِطَاءَ مَرْفُوعًا كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجْسُرْ عَلَى النَّظَرِ تَحْتَهُ .

وَبَدَأَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فُرَادَى ، وَيَمُرُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِطُغْيِ حَوْلِ التَّابُوتِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ الْفَقِيدِ دَقِيقَةً ، وَكَانَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ تَفَرُّ مِنْ عَيْنَيْهِ دَمْعَةً أَوْ دَمْعَتَانِ ، وَقَدْ سَادَ الْمَكَانَ السُّكُونُ وَالْجَلَالُ .

وَأَلْقَى هُوبِسونَ الْوَاعِظَ خُطْبَةً ، ثُمَّ أَلْقَى الْمَلِكُ كَالْعَادَةِ بَعْضًا مِنْ هَذَرِهِ . وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ الْمَرَامِسُ قَامَ الرَّجُلَانِ بِانْزَالِ الْغِطَاءِ وَتَشْيِيتِهِ بِالْمَسَامِيرِ .

وَبَعْدَ أَنْ دَفَنُوهُ عُدْنَا إِلَى الْبَيْتِ . وَظَلَلْتُ أَرَاقِبُ الْوُجُوهَ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا بِخُصُوصِ الْحَقِيبَةِ ، فَلَا حِيلَةَ لِي فِي الْأَمْرِ ، إِلَّا أَنْ الْوُجُوهَ لَمْ تَنْتَبِئْنِي بِشَيْءٍ .

وَفِي الْمَسَاءِ أَفْصَحَ الْمَلِكُ عَنْ أَنَّ أَهْلَهُ فِي إِنْجِلْتَرَا قَدْ يُحْسِنُونَ بِالْمَلَقِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ ثُمَّ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُسَوِّيَ مَسْأَلَةَ الْعَقَارَاتِ قَوْرًا ، وَيَرْحَلَ . وَقَالَ إِنَّهُ وَ وَلِيمِ سَيَصْجَبَانِ الْفَتَيَاتِ مَعَهُمَا . وَقَدْ سُرْتُ الْفَتَيَاتِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ ، فَطَلَبْنِ مِنْهُ أَنْ يَبِيعَ الْعَقَارَاتِ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهُ . وَقَدْ شَعَرْتُ بِالْأَلَمِ يَعْتَصِرُ قَلْبِي وَأَنَا أَرَى الْفَتَيَاتِ يَقْعَنَ فِي شَرِكِ الْاِحْتِيَالِ وَالْكَذِبِ .

وَأَبْقَظَنِي الْمَلِكُ وَالِدُوقُ صَبَاحَ يَوْمِ الْبَيْعِ مُبَكَّرًا ، وَسَأَلَنِي الْمَلِكُ : « هَلْ كُنْتُ فِي غُرْفَتِي اللَّيْلَةَ قَبْلَ الْمَاضِيَةِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَا ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ . »

سَأَلَنِي الدُّوقُ : « هَلْ رَأَيْتَ شَخْصًا آخَرَ يَدْخُلُهَا ؟ »

فَكَرَرْتُ هُنَيْهَةً ، وَوَجَدْتُ فِي هَذَا السُّؤَالِ فُرْصَتِي فَقُلْتُ : « رَأَيْتُ الْخَدَمَ يَدْخُلُونَ هُنَاكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ . وَكُنْتُ مُوشِكًا عَلَى مُغَادَرَةِ غُرْفَتِي حِينَ رَأَيْتُهُمْ . »

قَالَ الْمَلِكُ : « حَسَنًا ، اسْتَمِرَّ .. اسْتَمِرَّ ، مَاذَا فَعَلُوا ؟ »

قُلْتُ : « لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا . لَقَدْ انْسَلَوْا بَعِيدًا . »

وَقَفْنَا هُنَاكَ يُفَكِّرَانِ وَيَهْرَسَانِ رَأْسَيْهِمَا ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلدُّوقِ : « يَجِبُ أَنْ نَبْتَلِعَهَا ، وَلَا نَقُولَ شَيْئًا . »

وَأَقَامَا الْبَيْعَ فِي الْمِيدَانِ الْعَامِ ، وَاسْتَمَرَّتْ عَمَلِيَّةُ الْبَيْعِ . وَعِنْدَمَا أَوْشَكُوا عَلَى الْانْتِهَاءِ مِنْ آخِرِ قِطْعَةِ أَرْضٍ ، رَسَتْ سَفِينَةٌ بُخَارِيَّةٌ عَلَى الضَّفَةِ . وَبَعْدَ دَقِيقَتَيْنِ جَاءَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَصِيحُونَ :

« لَقَدْ جَاءَ أَخَوَانِ آخِرَانِ لِيَبْتَزَّ وَلِكَسِ الْعَجُوزُ ! »

الذي كَانَ قَدْ عَادَ مِنْ مَدِينَةِ لَوِيزَقِيل .

قَالَ الطَّبِيبُ : « أَيُّهَا الْجِرَانُ ، أَنَا لَا أَعْرِفُ إِذَا كَانَ الْقَادِمَانِ الْجَدِيدَانِ مُحْتَالَيْنِ أَوْ لَا ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَانِ الْاِثْنَانِ مُحْتَالَيْنِ فَانْتَوْنِي بِالْحَقِّ ! هَذَا كُلُّ مَا لَدَيَّ . وَاعْتَقِدْ أَنَّ مِنْ وَاجِبِنَا أَنْ لِحَاثَ هُرُوبَهُمَا حَتَّى نَتَحَقَّقَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . سَنَأْخُذُ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ الْجَدِيدَيْنِ إِلَى الْفُنْدُقِ وَنُوجِّهُهُمَا بِالْآخَرَيْنِ ، وَاعْتَقِدْ أَنَّنَا سَنَكْتَشِفُ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ الْمُوَاجَهَةُ . »

بَدَأْنَا السَّيْرَ جَمِيعًا إِلَى الْفُنْدُقِ ، وَتَجَمَّعْنَا فِي عُرْفَةٍ كَبِيرَةٍ هُنَاكَ ، وَأَحْضَرِ الشَّيْخُ الْوَقُورَ وَأَخُوهُ . وَبَدَأَ الدُّكْتُورُ قَائِلًا :

« إِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَانِ الرَّجُلَانِ مُحْتَالَيْنِ فَلَنْ يَعْتَرِضَا عَلَيَّ أَنْ يُرْسِلَا فِي طَلَبِ حَقِيقَةِ الذَّهَبِ وَإِبْقَائِهَا هُنَا حَتَّى تَنْجَلِيَ الْحَقِيقَةُ . »

وَوَافَقَ الْمَوْجُودُونَ جَمِيعُهُمْ عَلَى هَذَا الْاِفْتِرَاحِ . وَهَكَذَا ضَبَّقُوا الْخِنَاقَ عَلَى الْمَلِكِ وَالذَّوْقِ مِنَ الْيَدَايَةِ .

قَالَ الْمَلِكُ حَزِينًا : « أَيُّهَا السَّادَةُ ، عِنْدَمَا أَعْطَيْتَنِي ابْنَتَهُ أَخِي الْحَقِيقَةَ لِأَحْفَظَهَا لَهَا ، خَبَأَتْهَا دَاخِلَ حَشِيَّةِ الْقَشْرِ الْمَوْضُوعَةِ تَحْتَ فِرَاشِي ، فَلَمْ تَكُنْ لَدَيَّ رَغْبَةً لَوْضَعِهَا فِي الْبَنْكِ طِيلَةَ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي سَنَمَكِّثُهَا هُنَا . وَلَكِنِّي اكْتَشَفْتُ أَنَّ الْخَدَمَ سَرَقَوْهَا فِي صَبَاحِ

## الفصلُ الثَّانِي عَشَرَ

### أَكْثَرُ الْمُتَاعِبِ رُغْبًا

كَانَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ تَصْحَبُ مَعَهَا شَيْخًا وَقُورًا وَشَابًا وَسِيمًا ، وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي جَبِينِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ : « أَنَا هَارُفِي أَخُو بِيْتَرِ وَلَكْسِ ، وَهَذَا أَخُوهُ وَلِيمِ الْأَصْمُ الْأَخْرَسُ . لَقَدْ صَادَقْتُنَا بَعْضُ الْمَحَنِّ ، فَقَدْ كُسِرَتْ ذِرَاعُ وَلِيمِ ، وَأَضَعْنَا أَمْتَعَتَنَا بِطَرِيقِ الْخَطَا فِي مَدِينَةٍ مَا ، فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ . »

قَالَ الْمَلِكُ وَهُوَ يَضْحَكُ سَاخِرًا : « كُسِرَتْ ذِرَاعُهُ ، مُحْتَمَلٌ جِدًّا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنْ أَضَاعُوا أَمْتَعَتَهُمْ !! هَذَا حَسَنٌ جِدًّا وَمُنَاسِبٌ جِدًّا . »

وَقَهْقَهةً مَرَّةً أُخْرَى ، وَقَهْقَهةً مَعَهُ الْوَاقِفُونَ ، مَا عَدَا قَلَّةً مِنْهُمْ ، كَانَ أَحَدُهُم الدُّكْتُورُ هُوبِسُونُ ، وَكَانَ الْأَخَرُ لِيْفِي بِلَ الْمُحَامِي ،



اليَوْمَ الَّذِي وَضَعْتَهَا فِيهِ فِي الْحَشِيَّةِ . وَاكْتَشَفْتُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
هَبَطْتُ إِلَى الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ .»

قَالَ الطَّبِيبُ وَآخَرُونَ : « هَذَا كَلَامٌ فَارِغٌ ! »

بَلْ إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ - عَلَى مَا رَأَيْتُ - صَدَقَ  
الْمَلِكُ .

وَبَدَعُوا التَّحْقِيقَ الْعَامَ ، فَجَعَلُوا الْمَلِكَ يَسْرُدُ قِصَّتَهُ ، كَمَا طَلَبُوا  
مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِحِكَايَتِهِ .

وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ مِنَ الْحُضُورِ ، عَدَا الْحَمْقَى  
مِنْهُمْ ، أَنَّ الْمَلِكَ يُلْفَقُ أَكَاذِبَ وَأَنَّ الشَّيْخَ يَقُولُ الصَّدَقَ .

قَالَ الدُّكْتُورُ : « لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا هُنَا مِنَ الْبِدَايَةِ ، يَالَيْفِي  
بَلْ ... »

صَاحَ الْمَلِكُ مُقَاطِعًا : « مَاذَا ؟ أ هَذَا صَدِيقُ أَخِي الْمِسْكِينِ  
الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ لِي عَنْهُ كَثِيرًا ؟ »

وَتَصَافَحَ الْمُحَامِي وَالْمَلِكُ ، وَتَحَادَثَا هَيْهَاتَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ .

قَالَ الْمُحَامِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : « هَذَا سَيُوضَّحُ كُلُّ شَيْءٍ  
سَاضَاهِي خُطُوطِكُمْ بِالْخُطُوطِ الْمَكْتُوبِ بِهَا الرِّسَالِ الَّتِي مَعِيَ ،  
وَعِنْدَيْدِ سَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . »

وَأَحْضَرُوا وَرَقَةً وَقَلَمًا ، وَجَلَسَ الْمَلِكُ وَدَوَّنَ شَيْئًا ، ثُمَّ أَعْطَا  
الْقَلَمَ لِلدُّوقِ فَكَتَبَ . وَاسْتَدَارَ الْمُحَامِي إِلَى الشَّيْخِ وَقَالَ لَهُ :

« مِنْ فَضْلِكَ اكْتُبْ أَنْتَ وَأَحْوِكَ سَطْرًا أَوْ اثْنَيْنِ ، وَوَقِّعَا  
بِاسْمَيْكُمَا . »

وَكَتَبَ الشَّيْخُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَقْرَأَ مَا كَتَبَ ، وَبَدَا  
الْمُحَامِي دَهْشًا جِدًّا وَقَالَ : « إِنَّ هَذَا يُحِيرُنِي . »

وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ الرِّسَالِ الْقَدِيمَةِ وَفَحَصَهَا ،  
وَفَحَصَ كِتَابَةَ الشَّيْخِ ، ثُمَّ كِتَابَةَ الْآخَرِينَ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ :

« هَذِهِ الرِّسَالُ مُرْسَلَةٌ مِنْ هَارُفِي وَلَكِسَ ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ تُوضِّحُ  
لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ أَنَّهُمَا لَمْ يَكْتُبَا هَذِهِ الرِّسَالِ . »

وَبَدَتْ الْبَلَاهَةُ عَلَى الْمَلِكِ وَالِدُّوقِ ، فَقَدْ أَوْقَعَهُمَا الْمُحَامِي فِي  
الشَّرِكِ .

وَوَاصَلَ الْمُحَامِي قَوْلَهُ : « هَا هُوَ ذَا خَطُّ هَذَا الشَّيْخِ الْوَقُورِ وَمِنْهُ  
يَتَضَحُّ لَكُمْ ، وَيَكُلُّ سَهْوَةً ، أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبِ الرِّسَالِ . بَلْ إِنَّ هَذَا  
النَّفْسَ الَّذِي صَنَعَهُ لَيْسَ كِتَابَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

قَالَ الشَّيْخُ : « مِنْ فَضْلِكَ دَعْنِي أَشْرَحَ لَكَ الْأَمْرَ . لَا يَسْتَطِيعُ

أَحَدٌ أَنْ يَقْرَأَ مَا أَكْتُبُ سِوَى أَخِي الْوَاقِفِ هُنَاكَ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْسَخُ مَا أَكْتُبُ ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الرِّسَالِ الْتِي مَعَكَ مَكْتُوبَةٌ بِخَطِّهِ هُوَ وَلَيْسَ بِخَطِّي أَنَا .

قَالَ الْمُحَامِي : « حَسَنًا ، هَذَا يَضَعُ الْأَمْرَ فِي نِصَابِهِ . إِنَّ مَعِيَ بَعْضًا مِنْ رِسَالِ وَلِيمٍ أَيْضًا ، فَإِذَا مَا جَعَلْتَهُ يَكْتُبُ سَطْرًا أَوْ سَطْرَيْنِ نَسْتَطِيعُ أَنْ ... »

قَاطَعَهُ الشَّيْخُ قَائِلًا : « إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْتُبَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى . وَلَوْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْتُبَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى الْآنَ لَأَدْرَكْتَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَتَبَ رِسَالَهُ وَرِسَائِلِي . وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى مَجْمُوعَتِي الرِّسَالِ فَسَتَجِدُ أَنَّهُمَا مَكْتُوبَتَانِ بِنَفْسِ الْخَطِّ . »

قَالَ الْمُحَامِي بَعْدَ أَنْ نَظَرَ فِي الرِّسَالِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا تَقُولُ . حَسَنَ حَسَنَ ، أَعْتَقِدُ أَنَّ فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْعُثُورِ عَلَى حَلٍّ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَجْعَ تَمَامًا ، وَلَكِنْ عَلَى آيَةِ حَالٍ لَقَدْ ثَبَتَ أَمْرٌ وَاحِدٌ ، هُوَ أَنَّ هَذَيْنِ الْاِثْنَيْنِ لَيْسَا مِنْ عَائِلَةٍ وَلَكْسَ . » وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ نَحْوَ الْمَلِكِ وَالِدَوَقِ .

مَاذَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّ يَكُونُ رَدُّ فِعْلِ الْمَلِكِ ؟ لَمْ يَسْتَسْلِمِ هَذَا الْأَحْمَقُ الْعَجُوزُ ، بَلْ قَالَ إِنَّ هَذَا امْتِحَانٌ غَيْرُ عَادِلٍ ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ

الْوَقُورُ : « لَقَدْ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا . هَلْ يَوْجَدُ هُنَا أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ سَاعَدُوا فِي إِعْدَادِ أَحَدٍ ... أَقْصِدُ فِي إِعْدَادِ بَيْتَرٍ وَلَكْسَ لِلدَّقْنِ . »

قَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ : « نَعَمْ ، لَقَدْ قُمْنَا أَنَا وَأَبُ تَرَنْزِرٍ بِذَلِكَ . »

قَالَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَسْتَدِيرُ نَحْوَ الْمَلِكِ : « رُبَّمَا يَسْتَطِيعُ هَذَا السَّيِّدُ أَنْ يُخْبِرَنِي مَا هِيَ الْعَلَامَةُ الْمَوْجُودَةُ عَلَى صَدْرِ بَيْتَرٍ . »

شَحَبَ وَجْهَ الْمَلِكِ قَلِيلًا ، وَسَادَ الصَّمْتُ لَحِظَةً ، وَحَمَلِقُ الْحَاضِرُونَ فِيهِ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : الْآنَ سَيَسْتَسْلِمُ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ، بَلْ قَالَ :

« آه .. نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْبِرَكَ . إِنَّهُ سَهْمٌ صَغِيرٌ رَفِيعٌ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَاهُ عَنْ قُرْبٍ إِذَا لَمْ تُدَقِّقِ النَّظَرَ فِيهِ . »

مَا رَأَيْتُ فِي حَيَاتِي شَخْصًا فَقَدْ بَرَّقَعَ الْحَيَاءُ مِثْلَ هَذَا الْوَعْدِ الْعَجُوزِ . وَاسْتَدَارَ الشَّيْخُ الْجَدِيدُ نَحْوَ أَبِي تَرَنْزِرٍ وَشَرِيكِهِ وَقَالَ : « هَا لَمْ سَمِعْتُمَا مَا قَالَهُ .. هَلْ كَانَتْ تَوْجَدُ مِثْلَ هَذِهِ الْعَلَامَةِ عَلَى صَدْرِ بَيْتَرٍ وَلَكْسَ ؟ »

قَالَ الرَّجُلَانِ : « لَا ، لَمْ نَرِ مِثْلَ هَذِهِ الْعَلَامَةِ . »

قَالَ الشَّيْخُ الْوَقُورُ : « حَسَنًا ، إِنَّ مَا رَأَيْتُمَا بِالْفِعْلِ عَلَى صَدْرِهِ



هُوَ حَرْفًا « ب » و « ت » ، وَالْحَرْفُ الثَّانِي هُوَ أَوَّلُ حَرْفٍ مِنْ اسْمٍ  
نَادِرًا مَا يُسْتَعْمَلُ ، ثُمَّ حَرْفُ « و » . وَفَصْلٌ بَيْنَ كُلِّ مِنْ هَذِهِ  
الْحُرُوفِ شَرْطَةٌ .

وَقَامَ بِكِتَابَةِ هَذِهِ الْحُرُوفِ عَلَى قِطْعَةٍ وَرَقٍ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي قَالَهَا ،  
ثُمَّ تَسَاءَلَ : « أَلَيْسَ هَذَا هُوَ مَا رَأَيْتُمَاهُ ؟ »

قَالَ الرَّجُلَانِ : « لَا لَمْ نَرِ هَذِهِ الْحُرُوفَ ، بَلْ لَمْ نَرِ آيَةَ عِلَامَةٍ  
عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

وَاسْتَوَلَتِ الْحَيْرَةُ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، وَصَاحُوا : « إِنَّهُمْ جَمِيعًا  
عِصَابَةٌ مِنَ الْمُحْتَالِينَ ، دَعَوْنَا نَقْتُلَهُمْ ! »

صَاحَ الْمُحَامِي : « أَيُّهَا السَّادَةُ ، أَيُّهَا السَّادَةُ . لَا تَزَالُ ثُمَّ  
طَرِيقَةٌ لِنَتَأَكَّدَ بِهَا ، دَعَوْنَا نَذْهَبُ وَنُخْرِجَ الْجُثْمَانَ مِنَ الْقَبْرِ ،  
وَنَنْظُرَ . » فَصَاحَ الْحَاضِرُونَ مُهَلِّلِينَ وَمُؤَافِقِينَ .

صَدَّقُونِي ، لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى الرُّعْبِ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، فَقَدْ  
أَمْسَكُوا بِنَا جَمِيعًا ، وَسَاقُونَا مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْمَقْبَرَةِ وَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ  
كَالْقِطَاطِ الْمُتَوَحِّشَةِ .

وَمِمَّا زَادَ فِي رُغْبِي أَنْ السَّحَابَ غَطَّى السَّمَاءَ وَبَدَأَ الْبَرْقُ  
يَتَوَهَّجُ ، وَأَخَذَتِ الرِّيحُ تَزَارُّ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ . وَكَانَتْ هَذِهِ أخطر

مِحْنَةٍ أَوَاجِهُهَا وَأَكْثَرُهَا رُغْبًا ، فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَحُولُ  
الآنَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَوْتِ سِوَى تِلْكَ الْعِلَامَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْهَا ...

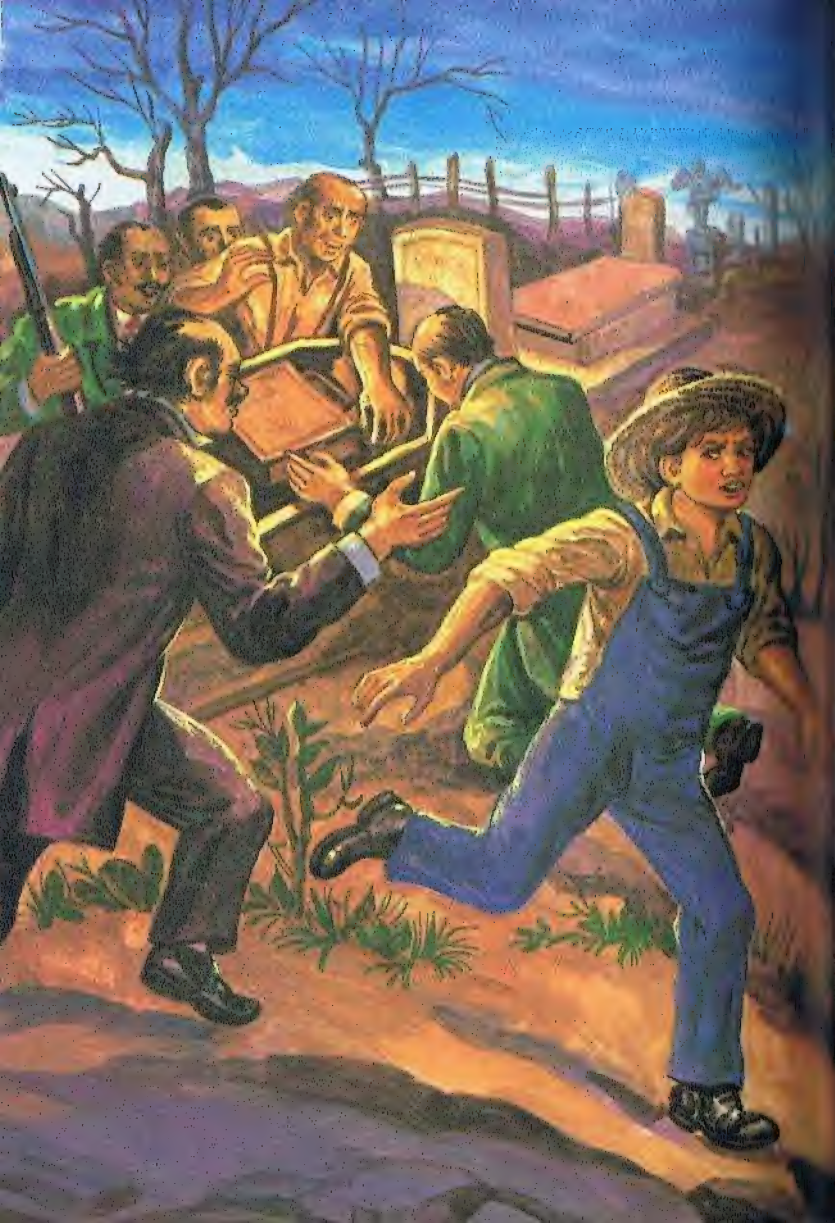
أَخَذْتُ حُلْكَةَ اللَّيْلِ تَرْدَادُ ، وَهُوَ وَقْتُ يَصْلُحُ لِلْهَرَبِ مِنْ بَيْنِ  
هَذَا الْحَشْدِ ، وَلَكِنْ شَخْصًا ضَخْمًا يُدْعَى هَايْنَزَ كَانَ يُمَسِّكُ بِي مِنْ  
مِعْصَمِي .

وَاحْتَشَدَ النَّاسُ فِي الْمَقْبَرَةِ ، وَمَعَهُمْ مِثَالُ الْمَاعُولِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ  
يُحْضِرُوا مَعَهُمْ فَنُوسًا ، فَأَرْسَلُوا رَجُلًا لِيَسْتَعِيرَ وَاحِدًا . وَبَدَءُوا  
الْحَقَرَ عَلَى ضَوْءِ الْبَرْقِ الْخَافِتِ .

كَانُوا يَخْفِرُونَ مِثْلَ الْمَجَانِينِ ، وَازْدَادَ اللَّيْلُ عَمَمَةً ، وَانْصَبَّ الْمَطَرُ  
مِدْرَارًا ، وَاشْتَدَّ الْبَرْقُ وَهَيْجًا ، وَقَصَفَ الرَّعْدُ . وَفِي لَحْظَةٍ كَانَ  
مُمْكِنًا أَنْ تَرَى كُلَّ شَيْءٍ ، وَكُلَّ وَجْهِ فِي هَذَا الْحَشْدِ الْهَائِلِ ،  
وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ يَعُمُّ الظُّلَامُ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى شَيْئًا عَلَى  
الْإِطْلَاقِ .

وَأَخِيرًا وَصَلُوا إِلَى التَّابُوتِ ، وَأَخَذُوا يَنْزِعُونَ مَسَامِيرَ الْغِطَاءِ .  
وَفَجَاةَ بَرْقِ الْبَرْقِ بَوْمِيضٍ مُبْهِرٍ .. وَصَرَخَ أَحَدُهُمْ : « يَا اللَّهُ ! هَا  
هِيَ ذِي حَقِيَّةِ الذَّهَبِ عَلَى صَدْرِهِ . »

وَأَطْلَقَ هَايْنَزُ صَرْخَةً مِثْلَ الْآخَرِينَ ، وَأَطْلَقَ مِعْصَمِي ، وَالْتَمَى



بِنَفْسِهِ لِلْأَمَامِ لِيَحْظِيَ بِنَظَرَةٍ .

وَسَنَحَتْ لِي الْفُرْصَةُ ، فَطَرْتُ مُبْتَعِدًا ، وَرَكَضْتُ عَلَى الطَّرِيقِ وَسَطَ الظُّلَامِ . وَعَلَى ضَوْءِ أَوَّلِ وَمِضِ الْبَرْقِ رَأَيْتُ قَارِبًا غَيْرَ مَرْبُوطٍ بِالضَّفَّةِ فَأَمْسَكْتُ بِهِ ، وَدَفَعْتُهُ بَعِيدًا . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقْفِزُ عَلَى سَطْحِ الرِّمْتِ أَخَذْتُ أَنَادِي : « أَطْلِقْهُ ، يَا جِيم ، لَقَدْ تَخَلَّصْنَا مِنْهُمَا » .

وَقَفَزَ جِيمٌ ، وَاتَّجَهَ نَحْوِي وَذِرَاعَاهُ مَفْتُوحَتَانِ ، وَقَدْ عَمَرَهُ الْفَرْحُ لِعَوْدَتِي ، وَلَكِنِّي مَا إِنِ ابْصَرْتُهُ عَلَى ضَوْءِ الْبَرْقِ حَتَّى قَفَزَ قَلْبِي مِنْ فَمِي رُعْبًا ، وَسَقَطْتُ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ الرِّمْتِ فِي الْمَاءِ عَلَى ظَهْرِي ، لَقَدْ نَسِيتُ أَنَّهُ كَانَ مُرْتَدِيًا مَلَأَيْسَ الْمَلِكِ لِير ، وَمَلَأَيْسَ الْغَرِيقِ . وَقَدْ أَرَعَيْتَنِي مَنَظَرُهُ حَتَّى الْمَوْتِ .

وَلَكِنَّ جِيمَ أَخْرَجَنِي مِنَ الْمَاءِ ، وَكَانَ مَوْشِكًا أَنْ يَحْضِنَنِي وَأَنْ يُبَارِكَنِي إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، فَقَدْ كَانَ فَرِحًا بِعَوْدَتِي ، مَعَ تَخَلُّصِنَا مِنَ الْمَلِكِ وَالذُّوقِ .. وَلَكِنِّي قُلْتُ لَهُ :

« لَيْسَ الْآنَ ، دَعْ هَذِهِ الْأُمُورَ حَتَّى طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، وَأَنْطَلِقُ بِنَا » .

وَلِذَلِكَ لَمْ تَمُرْ ثَانِيَتَانِ حَتَّى كُنَّا نَبْتَعدُ مُبْحَرِينَ فِي عَرْضِ النَّهْرِ .

وَلَكِنِّي سَمِعْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ صَوْتًا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا ، وَرَأَيْتُ عَلَى ضَوْءِ



البرق - حين ومض - الملك والدوق يتحيان على مجدافيهما .  
وبذلت أقصى ما يمكنني من جهد حتى لا أصرخ . وعندما صعدا  
إلى سطح الرمث أخذ الملك بخناقني وجعل يهزني ويصيح بي :  
« نحاول أن نفعل منا أيها الوغد ! »

قلت : « لا ، يا صاحب الجلالة ، لم نحاول ذلك . أرجوك  
ألا ... »

قال : « إذا أسرع وأخيرنا ماذا كنت تفعل وإلا نزعت روحك  
من جسدك . »

قلت : « سأخبرك بكل شيء ، وبكل أمانة . سأخبرك ،  
يا صاحب الجلالة . عندما وجدوا الذهب ، همس الرجل الذي  
يُمسكني قائلاً : اجر من هنا وإلا فإنهم سيقتلونك ، فجزيت . لم  
أكن أريد أن أشتق ! »

قال الملك : « آه ، نعم ، مُحتمل جداً . »

وأخذ يهزني مرة أخرى ، فقال الدوق : « أطلق الغلام . هل  
سألت أنت عنه حين أطلق سراحك ؟ ، إنني شخصياً لم أتذكره . »  
وهكذا أطلقني الملك ، وبدأ بلعن تلك المدينة وكل من فيها ،  
فقال الدوق : « من الأفضل أن تلعن نفسك أنت ! إنك لم تفعل

شيئاً له معنى منذ البداية ، عدا ما لفقته عن تلك العلامة الخيالية .  
لقد كانت فكرة السهم الأزرق فكرة جيدة أنقذتنا من الموت ،  
فلولا تلك الفكرة لأمسكوا بنا حتى يحضروا أمتعة الرجلين  
الإنجليزيين ، ثم نُساق إلى السجن . ولكن تلك الحيلة ساقطتهم إلى  
المقبرة ، كما أن الذهب أسدى لنا معروفاً أكبر ، لأنه لو لم يُطلق  
الحمقى سراحنا من شدة الانفعال الذي استولى عليهم لالتفت  
الحيال حول عنقينا هذه الليلة . »

وبعد قليل عندما أخذنا للنوم أخبرت جيم بكل شيء .

يُطْفِئُونَ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَرَاحَا يُمْنِنَانِ الْفِكَرَ ، وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِمَا الْهَمُّ  
وَالْخَوْفُ .

## الفصل الثالث عشر

« أَيْنَ جِيم ؟ »

سِرْنَا أَيَّامًا وَأَيَّامًا دُونَ أَنْ نَجْسُرَ عَلَى التَّوَقُّفِ ، وَكُنَّا فِي ذَلِكَ  
الْوَقْتِ نَتَّجِهْ نَحْوَ الْجَنُوبِ حَيْثُ يَزْدَادُ الْجَوُّ دِفْئًا ، وَقَدْ ابْتَعَدْنَا عَنْ  
مَوْطِنِنَا مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً .

وَ مَا كَادَ يُحِسُّ الْمُحْتَالَانِ بِابْتِعَادِهِمَا عَنِ الْخَطَرِ حَتَّى بَدَأَ مَرَّةً  
أُخْرَى يَلْعَبَانِ حِيلَهُمَا عَلَى الْقُرَى الَّتِي كُنَّا نَمُرُّ بِهَا .

فِي إِحْدَى الْقُرَى أَلْقَيَا مَوْعِظَةً عَنْ مَضَارِّ التَّدْخِينِ ، وَفِي قَرْيَةٍ  
أُخْرَى أَنْشَأَا مَدْرَسَةً لِتَعْلِيمِ الرُّقْصِ ، رَغِمَ أَنْهُمَا لَمْ يَكُونَا يَعْرِفَانِ  
عَنِ الرُّقْصِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُهُ الْحِمَارُ ! وَقَدْ طَرَدَهُمَا الْأَهَالِي خَارِجَ  
الْقَرْيَةِ . ثُمَّ حَاوَلَا مُمَارَسَةَ الطَّبِّ ، وَالتَّنَبُّؤَ بِالْحَظِّ ، إِلَّا أَنَّ الْحَظَّ  
لَمْ يُحَالِفْهُمَا .

وَأَخِيرًا فَرَعَتْ جَعَبَتُهُمَا مِنَ التَّفُودِ ، فَرَقَدَا عَلَى الرَّمْثِ ، وَهَوَّ

وَذَاتَ صَبَاحٍ ، وَكَانَ الْوَقْتُ مُبَكَّرًا ، خَبَّانَا الرَّمْثَ فِي مَكَانٍ  
أَمِينٍ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنْ قَرْيَةٍ تُدْعَى بَايَكْسْهِيلَ ، وَطَلَبَ  
مِنَا الْمَلِكُ أَنْ نَبْقَى مُخْتَبَيْنِ حَتَّى يَذْهَبَ فَيَرَى إِذَا كَانَ فِي هَذِهِ  
الْقَرْيَةِ مَنْ سَمِعَ عَنْ عَرَضِ « نُحْفَةِ مَلَكِيَّةٍ » ، وَقَالَ إِنَّهُ إِذَا لَمْ يَرْجِعْ  
حَتَّى الظُّهْرِ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُوَاصِلَ سِيرَنَا .

وَقَدْ سُرِرْتُ حِينَ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَلَمْ يَظْهَرْ الْمَلِكُ ، فَلَا أَنْ يُمَكِّنَنَا  
أَنْ نُغَيِّرَ مِنْ أَوْضَاعِنَا . وَهَكَذَا انْطَلَقْتُ أَنَا وَالذُّوقُ إِلَى الْقَرْيَةِ ، إِلَّا  
أَنَّا سَرَعَانَا مَا وَجَدْنَا الْمَلِكَ يَتَرَنُّحُ وَلَا يَكَادُ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ ، فَصَبَّ  
الذُّوقُ عَلَيْهِ لَعْنَاتِهِ وَوَصَفَهُ بِالْأَحْمَقِ الْعَجُوزِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ  
بِصِفَاتٍ وَنَعُوتٍ أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ .

وَبَيْنَمَا كَانَا يَبَادِلَانِ السَّبَابَ تَسَلَّلْتُ أَنَا مِنْ بَيْنَهُمَا وَرَحْتُ أَعْدُو  
فِي طَرِيقِ النَّهْرِ فِي سُرْعَةِ الْوَعْلِ ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ فِيمَا حَدَثَ فُرْصَتَنَا  
لِلْخَلَاصِ مِنْهُمَا . وَقَدْ صَمَّمْتُ عَلَى أَلَا يَرَيَانِي أَنَا وَجِيمٌ مَرَّةً أُخْرَى .  
وَ وَصَلْتُ إِلَى الرَّمْثِ وَقَدْ انْقَطَعَتْ مِنِّي الْأَنْفَاسُ ، وَأَخَذْتُ

أَصِيحُ : « أَطْلِقْهُ يَا جِيم ، لَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنْهُمَا » .



غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتْلُقْ جَوَابًا ؛ لَقَدْ ذَهَبَ جِيم . وَأَخَذْتُ أَعْدُو فِي  
الغَابَةِ هُنَا وَهُنَاكَ وَأَنَا أَصْرُخُ وَأَصِيحُ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى ؛ لَقَدْ  
ذَهَبَ جِيمُ الْعَجُوزِ . وَعِنْدَيْهِ جَلَسْتُ ، وَعَلَيْنِي الْبُكَاءُ ، فَبَكَيْتُ .

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَبْقَى سَاكِناً فِتْرَةً طَوِيلَةً ، فَسِرْتُ فِي الطَّرِيقِ أَفْكَرَ  
فِيمَا يَجِبُ عَلَيَّ فِعْلُهُ . وَقَابَلْتُ غُلَامًا فَسَأَلْتُهُ عَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى  
زَنْجِيًّا غَرِيبًا يَلْبَسُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَجَابَ :

« نَعَمْ ، إِنَّهُ الْآنَ فِي بَيْتِ سَايلاس فِيلِيسَ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ  
كِيلُومِترَاتٍ مِنْ هُنَا . إِنَّهُ عَبْدٌ هَارِبٌ وَقَدْ أُمْسَكُوا بِهِ ، وَهُنَاكَ جَائِزَةٌ  
قَدَرُهَا مِثْلُ دُولَارٍ لِمَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ . »

سَأَلْتُهُ : « مَنْ أُمْسَكَ بِهِ ؟ »

رَدَّ : « رَجُلٌ عَجُوزٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ بَاعَ نَصِييَهُ فِي الْجَائِزَةِ بِمِثْلِ  
أَرْبَعِينَ دُولَارًا ؛ لِأَنَّهُ مُضْطَرٌّ لِلسَّفَرِ فِي النَّهْرِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْتِظَارَ . »

ذَهَبْتُ إِلَى الرَّمْثِ وَجَلَسْتُ فِي الْمَأْوَى أَفْكَرَ .. أَوْ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ  
الرَّحَلَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَبَعْدَ كُلِّ مَا فَعَلْنَا مِنْ أَجْلِ هَذَيْنِ الْوَعْدَيْنِ ، يَضِيعُ  
كُلُّ شَيْءٍ ؟ لَقَدْ طَاوَعَهُمَا قَلْبَاهُمَا وَلَعَبَا عَلَى جِيمِ تِلْكَ الْخُدْعَةِ  
الْقَدِيرَةِ وَبَاعَاهُ لِلْغُرَبَاءِ فِي مُقَابِلِ أَرْبَعِينَ دُولَارًا حَقِيرَةً .

وَرَحْتُ أَسْتَعْرِضُ فِي جِلْسَتِي مَا مَرَّ بِي وَبَجِيمٍ مِنْ أَحْدَاثٍ ،

فَفَكَّرْتُ فِي رَحَلَتِنَا فِي النَّهْرِ ، وَتَرَأَى لِي جِيمٌ طَوَالَ الْوَقْتِ ، فِي  
الَّيْلِ وَفِي النَّهَارِ ، تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَسَطَ الْعَوَاصِفِ ، عَلَى  
الرَّمْثِ سَابِحِينَ فِي النَّهْرِ ، تَتَحَدَّثُ وَتَغْنِي وَنَضْحَكَ .

وَتَرَأَى لِي جِيمٌ وَهُوَ يُوَاصِلُ الْحِرَاسَةَ دُونَ أَنْ يَوْقُظَنِي  
لِنَسْلَمَ ثَوْبَتِي فِي الْحِرَاسَةِ ؛ حَتَّى أَسْتَطِيعَ أَنْ أَسْتَعْرِقَ فِي نَوْمِي .  
وَتَذَكَّرْتُهُ وَقَدْ عَمَّرْتُهُ الْفَرَحَةَ بِعَوْدَتِي مِنْ حَيْثُ كَانَتْ نِيرَانُ الثَّارِ تَوُزُّ  
بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ الْمُتَحَارِبَيْنِ . وَتَذَكَّرْتُهُ وَهُوَ يَلَاظِفُنِي وَيُدَلِّلُنِي وَيُنَادِينِي  
دَائِمًا بِعِبَارَتِهِ اللَّطِيفَةِ : « يَا عَزِيزِي » .. وَتَذَكَّرْتُ كَيْفَ كَانَ يَفْعَلُ  
كُلَّ مَا يَوْسَعُهُ مِنْ أَجْلِي ، وَكُلَّ مَا يَظُنُّ أَنَّهُ فِي صَالِحِي .

وَأَخِيرًا تَذَكَّرْتُ الطَّرِيقَةَ الَّتِي أَنْقَذْتَهُ بِهَا عِنْدَمَا أَخْبَرْتُ الرَّجُلَيْنِ أَنَّ  
لَدَيْنَا مَرَضًا خَبِيثًا عَلَى سَطْحِ الرَّمْثِ ، وَرَرْتُ فِي أَذُنِي كَلِمَاتُهُ الَّتِي  
عَبَّرَ بِهَا عَنِ امْتِنَانِهِ ، وَقَوْلُهُ لِي إِنِّي أَفْضَلُ صَدِيقٍ فِي الْعَالَمِ لِجِيمِ  
الْعَجُوزِ ، بَلْ وَصَدِيقُهُ الْوَحِيدُ .

وَمَرَّ وَقْتُ وَأَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي هَذَا التَّفَكِيرِ الْعَمِيقِ ، وَقَدْ حَبَسْتُ  
أَنْفَاسِي ، ثُمَّ قُلْتُ : « سَالِجًا لِلشَّرِّ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَاجِعَةً سَبَبًا  
لِلْإِسْعَادَةِ جِيم . »

وَبِمَجَرَّدِ حُلُولِ الظَّلَامِ تَسَلَّلْتُ بِالرَّمْثِ إِلَى جَزِيرَةٍ كَثِيفَةٍ

الأشجارِ وَاسْتَعْرِقْتُ فِي النَّوْمِ . وَنَهَضْتُ قَبْلَ أَنْ تَشْرِقَ الشَّمْسُ بِضَوْئِهَا ، وَتَنَاوَلْتُ إِفْطَارِي ، وَارْتَدَيْتُ مَلَابِسِي ، وَرَبَطْتُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ فِي صُرَّةٍ ، وَأَخَذْتُ الزُّورَ وَأَبَحَرْتُ بِهِ ، ثُمَّ هَبَطْتُ مِنْهُ فِي مَكَانٍ قَدَرْتُ أَنَّ بِهِ مَنْزِلَ فِيلِبْسَ ، فَخَبَأْتُ صُرَّتِي فِي الْغَابَةِ ، ثُمَّ أَعْرِقْتُ الزُّورَ بِأَنْ مَلَأْتُهُ بِالْأَحْجَارِ .

وَسِرْتُ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَرَرْتُ بِمَنْجَرٍ ؛ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ « مَنْجَرُ فِيلِبْسَ » ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَظْرَةً ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ فِي سَبِيلِي نَحْوَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ أَرَاهُ فِيهَا هُوَ الدَّوْقُ . كَانَ يَقُومُ بِلِصْقِ إِعْلَانٍ عَنْ عَرَضٍ « تُحْفَةٌ مَلَكِيَّةٌ » لِمُدَّةِ لَيَالٍ ثَلَاثٍ ، فَقَالَ لِي وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ دَهْشًا : « مَرَجَبًا ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ أَيْنَ الرَّمْثُ ؟ أ هُوَ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ ؟ »

قُلْتُ : « مَاذَا ؟ هَذَا مَا كُنْتُ سَأَلُكَ عَنْهُ ، يَا صَاحِبَ السُّمُو » .

قَالَ : « وَمَا الَّذِي يَدْفَعُكَ لِسُؤَالِي عَنْهُ ؟ »

قُلْتُ : « حَسَنًا ، عِنْدَمَا رَأَيْتُ الْمَلِكَ أَمْسَ كَانَ يَتَرَنِّحُ ، حَتَّى إِنَّنِي قُلْتُ إِنَّنِي لَا يُمَكِّنُنِي إِحْضَارُهُ لِلرَّمْثِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ أَمَامِي بَضْعَ سَاعَاتٍ أَقْضِيهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَهَكَذَا فَعَلْتُ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الرَّمْثِ





بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ ، وَلَكِنِّي عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى هُنَاكَ وَجَدْتُ أَنَّ  
الرَّمْثَ قَدْ اخْتَفَى ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَقَدْ وَاجَهَا بَعْضُ الْمَتَاعِبِ  
وَاضْطُرًّا لِلرَّحِيلِ ، وَأَخَذَا مَعَهُمَا جِيم . وَجَلَسْتُ أَبْكِي ، وَنَمْتُ فِي  
الْغَايَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . وَلَكِنْ مَا الَّذِي حَدَثَ لِلرَّمْثِ ؛ وَمَا الَّذِي  
حَدَثَ لَجِيم ؟ جِيمُ الْمُسْكِينِ !

قَالَ الدَّوْقُ : « إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَاذَا حَدَثَ لِلرَّمْثِ ؛ فَعِنْدَمَا أَعَدْتُ  
هَذَا الْعَجُوزَ الْأَحْمَقَ لِلنَّهْرِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَجَدْتُ أَنَّ الرَّمْثَ قَدْ  
ذَهَبَ ، فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا الْوَعْدَ الصَّغِيرَ قَدْ سَرَقَ رَمْثًا وَأَنْطَلَقَ بِهِ فِي  
النَّهْرِ .

قُلْتُ : « مَا كَانَ لِي أَنْ أَهْرَبَ بِدُونِ جِيم .

قَالَ : « لَمْ أَفَكِّرْ إِطْلَاقًا فِي ذَلِكَ . هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ جِيمَ سَيَّشِي  
بِنَا ؟ سَنَسْلُخُ جِلْدَهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ .

سَأَلْتُهُ : « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشِي بِكُمَا ؟ أَلَمْ يَهْرَبْ ؟ »

رَدَّ : « نَعَمْ ، هَذَا الْعَجُوزُ الْأَحْمَقُ بَاعَهُ ، وَأَتَّفَقَ الثَّمَنَ الَّذِي  
قَبِضَهُ فِيهِ .

قُلْتُ : « بَاعَهُ ! » وَبَدَأْتُ أَبْكِي وَأَنَا أَقُولُ : « أَيْنَ هُوَ ؟ أَيْنَ جِيم ؟  
أَنَا أُرِيدُ جِيم .

قَالَ الدَّوْقُ : « لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ ، نَحْنُ سَنَبْقَى هُنَا ثَلَاثَةَ  
أَيَّامٍ ، فَإِذَا وَعَدْتَنِي بِأَلَّا تُخَيِّرَ أَحَدًا عَنَّا ، وَلَا تَجْعَلَ جِيمَ يَشِي بِنَا  
فَسَادُّكَ عَلَى مَكَانِهِ .

قُلْتُ لَهُ : « أَعِدْكَ بِذَلِكَ .

قَالَ : « مُزَارِعٌ يُدْعَى أَبْرَاهَامَ فَوْسْتَرُ هُوَ الَّذِي أَخَذَ جِيمَ ، وَهُوَ  
يَعِيشُ فِي الرَّيفِ عَلَى بَعْدِ سِتِّينَ كِيلُومِتْرًا ، فِي الطَّرِيقِ إِلَى  
لَافَايِت .

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَكْذِبُ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ ابْتِعَادِي عَنْ  
طَرِيقِهِ طِيلَةَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ .

قُلْتُ لَهُ : « حَسَنًا ، سَابَدُ الرَّحِيلَ إِلَيْهِ الْآنَ .

وَسِرْتُ مُبَاشَرَةً فِي طَرِيقِ الرَّيفِ مَسَافَةً كِيلُومِتْرًا ، ثُمَّ عَمَدْتُ  
عَائِدًا فِي طَرِيقِي إِلَى مَنْزِلِ فِيلِيس .

اتَّجَهَتِ الْمَرْأَةُ نَحْوَ الْبَيْتِ وَهِيَ تَقْدُونِي مِنْ يَدَي ، وَالْأَطْفَالُ يَقْتَفُونَ أَثَرَهَا . وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا أَجْلَسْتَنِي فِي أَحَدِ الْكَرَاسِيِّ ، وَجَلَسْتُ هِيَ عَلَى مَقْعَدٍ قِبَالَتِي ، وَأَمْسَكَتْ بِيَدَي وَقَالَتْ : « وَالْآنَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتِيَّ عَلَيْكَ نَظْرَةً فَاحْصَةً . لَقَدْ كُنَّا نَنْتَظِرُكَ . مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَتَأَخَّرُ ؟ هَلْ جَنَحَتِ السَّفِينَةُ ؟ »

قُلْتُ : « لَقَدْ تَعَطَّلَتِ الْمَحَرَّكَاتُ ، يَا سَيِّدَتِي . »

قَالَتْ : « لَا تَقُلْ يَا سَيِّدَتِي ، قُلْ يَا خَالَتِي سَالِي . عَمَّكَ يَذْهَبُ كُلُّ يَوْمٍ لِلْمَدِينَةِ تَلَمُّسًا لِاحْضَارِكَ .. وَقَدْ ذَهَبَ الْيَوْمُ مِنْذُ سَاعَةٍ . لَا بَدْ أَنْكَ قَابِلَتَهُ فِي الطَّرِيقِ .. رَجُلٌ عَجُوزٌ وَكَلَهُ ... »

قَاطَعْتُهَا قَائِلًا : « لَا ، لَمْ أَقَابِلْ أَحَدًا ، يَا خَالَتِي سَالِي . »

أَخَذَ الْقَلْقُ يُسَاوِرُنِي لِلدَّرَجَةِ أَنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْغِي إِلَيْهَا جِدًّا ، فَقَدْ كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَخْلُوَ بِالْأَوْلَادِ وَأَعْرِفَ مِنْهُمْ مَنْ أَكُونُ أَنَا ، وَلَكِنَّ الْفُرْصَةَ لَمْ تَسْنَحْ لِي ؛ فَقَدْ كَانَتْ السَّيِّدَةُ فِيلِيسُ تَتَحَدَّثُ دُونَ انْقِطَاعٍ . وَقَدْ أَخَذَتِ الرُّعْدَةُ الْبَارِدَةَ تَسْرِي فِي أَعْضَائِي حِينَ قَالَتْ : « وَلَكِنَّكَ لَمْ تُخْبِرْنِي شَيْئًا عَنْ أُخْتِي وَعَنْ الْبَاقِينَ . سَأُرِيحُ لِسَانِي قَلِيلًا ، لِتَتَحَدَّثَ أَنْتَ ، أَخْبِرْنِي كَيْفَ حَالُهُمْ ؟ مَا الَّذِي قَالُوهُ لَكَ

## الفصل الرابع عشر

### توم وسيد يَصِلَان

عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَنْزِلِ فِيلِيسُ كَانَ السُّكُونُ يَسُودُ الْمَكَانَ وَكَانَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْعُطْلَةِ الْأَسْبُوعِيَّةِ ، فَقَدْ ذَهَبَ الْعُمَالُ إِلَى الْحُقُولِ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِالْبَيْتِ . وَتَسَلَّقْتُ السُّورَ وَاتَّخَذْتُ طَرِيقِي نَحْوَ الْمَطْبِخِ ، وَتَرَكْتُ لِلْحَظِّ أَنْ يُلْهِمَنِي بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي يَبْغِي أَنْ أَقُولَهَا عِنْدَمَا يَحِينُ الْوَقْتُ لِذَلِكَ .

وَأَنْطَلَقْتُ مِنَ الْبَيْتِ امْرَأَةً تَعْدُو ، وَفِي إِثْرِهَا يَعْدُو بَعْضُ الْأَطْفَالِ . كَانَتْ الْمَرْأَةُ فِي نَحْوِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَكَانَتْ تَبْتَسِمُ مِنْ مَنِيَّتِ شَعْرِهَا إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهَا ، وَقَالَتْ لِي : « أَخِيرًا جِئْتُ . » وَأَمْسَكَتْ بِي ، وَضَمَمْتَنِي إِلَيْهَا بِشِدَّةٍ ثُمَّ عَادَتْ تَقُولُ : « إِنَّكَ لَا تُشَبِّهُ أَمَّكَ كَثِيرًا ، كَمَا كُنْتُ أَظُنُّ ، لَكِنِّي لَا أَعْبَأُ بِهَذَا . إِنَّنِي مَسْرُورَةٌ لِرُؤْيَاكَ . يَا أَوْلَادُ ، هَذَا ابْنُ خَالَتِكُمْ توم .. حَيَّوهُ . »

وَلَكِنَّ الْأَطْفَالَ وَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَتَوَارَوْا خَلْفَ



لِتُخْبِرَنِي بِهِ ؟»

فيليس ، وأُخْرِجْتَنِي مِنْ وَرَاءِ الْفِرَاشِ . وَعِنْدَمَا اسْتَدَارَ السَّيِّدُ الْعَجُوزُ  
كَانَتْ هِيَ تَقِفُ هُنَاكَ وَقَدْ أَضَاءَ وَجْهُهَا فَرَحًا ، وَأَنْفَرَجَتْ شَفَتَاهَا  
إِسْهَامًا ؛ عَلَى حِينٍ كُنْتُ أَقِفُ بِجَوَارِهَا ذَلِيلًا ، أَنْصَبُّ عَرَقًا .  
وَحَمَلْتُ السَّيِّدَ الْعَجُوزَ وَصَاحَ مُتَسَائِلًا : « مَاذَا ؟ مِنْ هَذَا ؟ »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ فِيلِيسُ : « إِنَّهُ تَوْمٌ سَوِيرٌ . »

كَدْتُ أَغُوصُ فِي الْأَرْضِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَبَضَ فِيهِ السَّيِّدُ  
الْعَجُوزُ عَلَى يَدَيَّ يَهْزُهَا وَيَهْزُهَا مُصَافِحًا ، عَلَى حِينٍ كَانَتْ الْمَرْأَةُ  
تَرْفُصُ حَوْلَنَا ، وَتَضْحَكُ ، وَتَصِيحُ . ثُمَّ أَطْلَقَ الْاِثْنَانِ سَيْلًا مِنَ الْأَسْئَلَةِ  
عَنْ سَيِّدٍ وَمَارِي وَبَقِيَّةِ الْعَائِلَةِ .

وَلَمْ يَكُنْ شُعُورُهُمَا بِالسُّرُورِ يَتَسَاوَى مَعَ مَا أَحْسَسْتُ بِهِ مِنْ  
سَعَادَةٍ حِينَ اكْتَشَفْتُ مَنْ أَكُونُ . لَقَدْ أَحْسَسْتُ أَنَّي وَلِدْتُ مِنْ  
جَدِيدٍ . وَقَدْ جَعَلَانِي أَتَحَدَّثُ لِمُدَّةِ سَاعَتَيْنِ مُتَوَاصِلَتَيْنِ ، فَأَخْبِرْتُهُمَا  
الكَثِيرَ عَمَّا حَدَثَ لِعَائِلَتِي - أَقْصِدُ عَائِلَةَ سَوِيرٍ - وَذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا  
يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ لِسِتِّ عَائِلَاتٍ مِنْ مِثْلِ عَائِلَةِ سَوِيرٍ .

وَقَدْ ظَلَّتِ الْأُمُورُ تَسِيرُ سَهْلَةً بَعْدَ أَنْ أَضْفَيْتُ عَلَيَّ شَخْصِيَّةَ تَوْمِ  
سَوِيرٍ ، إِلَى أَنْ سَمِعْتُ صَوْتَ بَاخِرَةٍ آتِيَةٍ فِي النَّهْرِ ، فَقُلْتُ فِي  
نَفْسِي : « مَاذَا لَوْ أَنَّ تَوْمَ سَوِيرٍ قَدْ جَاءَ عَلَيَّ هَذِهِ الْبَاخِرَةُ ؟ وَمَاذَا لَوْ  
جَاءَ يَخْطُو إِلَى هَذَا الْمَنْزِلِ وَنَادَانِي بِاسْمِي ؟ لَا بُدَّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَى

لَقَدْ وَقَفَ الْحَظُّ بِجَانِبِي حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، إِلَّا أَنَّنِي أَشْعُرُ الْآنَ  
أَنَّي سَقَطْتُ مِنْ حَالِقٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَفَتَحْتُ فَمِي لِأَقُولَ شَيْئًا ،  
وَلَكِنَّهَا أَسْرَعَتْ وَخَبَّاتْنِي خَلْفَ الْفِرَاشِ وَهِيَ تَقُولُ :

« هَا هُوَ قَدْ جَاءَ . لَا تَدَعُهُ يَعْرِفُ أَنَّكَ هُنَا . سَمِّزْهُ مَعَهُ . »

وَلَمْ أَرَ السَّيِّدَ الْعَجُوزَ إِلَّا لِثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ، ثُمَّ حَالَ الْفِرَاشُ  
بَيْنِي وَبَيْنَ رُؤْيَاهُ جِدًّا . وَسَأَلْتُهُ السَّيِّدَةُ فِيلِيسُ : « هَلْ جَاءَ ؟ »  
فَأَجَابَهَا قَائِلًا : « لَا ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَوَّرَ مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ  
قَدْ حَدَثَ لَهُ . إِنَّنِي قَلِقٌ جِدًّا . »

صَاحَتِ السَّيِّدَةُ فِيلِيسُ قَائِلَةً : « لَا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ ، وَأَنْتَ لَمْ  
تَتَبَّعِيهِ فِي الطَّرِيقِ . أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا هُوَ مَا حَدَثَ . شَيْءٌ فِي نَفْسِي  
يُخْبِرُنِي بِذَلِكَ . »

قَالَ زَوْجُهَا : « مَاذَا تَقُولِينَ ، يَا سَالِي ؟ إِنَّنِي لَا يُمْكِنُنِي أَنْ  
أُحْطِئَهُ ، وَأَنْتَ تَعْرِفِينَ ذَلِكَ . »

قَالَتْ زَوْجَتُهُ : « سَايَاس ، أَنْظِرْ هُنَاكَ فِي الطَّرِيقِ . أَلَيْسَ هُنَاكَ  
شَخْصٌ قَادِمٌ ؟ »

فَقَرَّ السَّيِّدُ فِيلِيسُ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ جَدَّبَتْنِي السَّيِّدَةُ

وهكذا أُخْبِرْتُ العائِلَةُ أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِإِحْضَارِ  
أُمْتِعَتِي ، فَاسْتَعَدَّ السَّيِّدُ الْعَجُوزَ لِلذَّهَابِ مَعِي ، وَلَكِنِّي أَخْبَرْتُهُ أَنِّي  
بِاسْتِطَاعَتِي قِيَادَةَ الْحِصَانِ بِمُقَرَّدِي ، وَأَنِّي أَفْضَلُ أَلَّا يَتَعَبَ نَفْسُهُ  
مَعِي .

وهكذا سَرَعْتُ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْعَرَبَةِ ، وَعِنْدَمَا  
أَصْبَحْتُ فِي مُتْتَصِفِ الطَّرِيقِ رَأَيْتُ عَرَبَةً قَادِمَةً .. وَخَمَنْتُ أَنَّهُ تَوْمُ  
سَوِيرَ ؛ فَانْتَظَرْتُ حَتَّى حَازَانِي ، وَقُلْتُ لَهُ : « تَوَقَّفْ ! » فَفَعَّرَ فَاهُ ،  
وَابْتَلَعَ رِيقَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كَأَنَّمَا جَفَّ حَلْقُهُ ، وَقَالَ لِي :  
« أَنَا لَمْ أَسَبِّبْ لَكَ أَذًى . وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ، فَلِمَاذَا تَعُودُ  
وَتُضَايِقُنِي ؟ »

قُلْتُ : « أَنَا لَمْ أَعُدْ لِأَنَّنِي لَمْ أَذْهَبْ . »

قَالَ : « بِكُلِّ أَمَانَةٍ ، أَلَسْتَ الْآنَ سَبَحًا ؟ أَلَمْ تَقْتُلْ ؟ »

أَجَبْتُهُ قَائِلًا : « نَعَمْ ، لَقَدْ خَدَعْتَهُمْ جَمِيعًا . أَذُنُ مِنِّي وَالْمِسْنِي  
إِذَا لَمْ تُصَدِّقْنِي . »

وَفَعَلَ كَمَا أَخْبَرْتُهُ ، وَافْتَنَعَ يَقُولِي ، وَتَمَلَّكَ السُّرُورُ لِرُؤْيَايَ  
لِدَرَجَةٍ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَهَا مَاذَا يَفْعَلُ . وَارَادَ أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَا

حَدَّثَ مَرَّةً وَاحِدَةً ؛ لِإِحْسَاسِهِ بِأَنَّهَا كَانَتْ مُغَامَرَةً عَظِيمَةً وَغَامِضَةً .  
وَلَكِنِّي أَخْبَرْتُهُ أَنَّنِي سَأَسْرُدُ عَلَيْهِ الْحِكَايَةَ فِيمَا بَعْدُ .

وَسَرَحْتُ لَهُ الْمَوْقِفَ الصَّعْبَ الَّذِي وَجَدْتُ نَفْسِي فِيهِ ، وَسَأَلْتُهُ  
عَنْ أَفْضَلِ شَيْءٍ يُمَكِّنُنَا فِعْلَهُ ، فَفَكَّرَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ  
وَجَدْتُهَا ! خَذْ صُنْدُوقِي ، وَادَّعِ أَنَّهُ صُنْدُوقُكَ ، وَتَمَهَّلْ فِي الْعُودَةِ  
إِلَى الْبَيْتِ ، وَسَاكُونُ هُنَاكَ بَعْدَ رُبْعِ سَاعَةٍ مِنْ وُصُولِكَ . وَيُمْكِنُكَ  
أَنْ تَتَظَاهَرَ فِي الْبِدَايَةِ بِعَدَمِ مَعْرِفَتِي . »

قُلْتُ : « حَسَنًا ، وَلَكِنْ اانْتَظِرْ .. ثَمَّةَ شَيْءٍ آخَرَ - شَيْءٍ لَا يَعْرِفُهُ  
سِوَايَ . ثَمَّةَ زَنْجِيٍّ أَحَاوِلُ أَنْ أُسْرِفَهُ وَأَحْرَرَهُ - جِيمَ الْعَجُوزِ خَادِمُ  
الْأَيْسَةِ وَاطْسُنْ . »

صَاحَ تَوْمُ سَوِيرَ : « مَاذَا ؟ جِيم ! »

قُلْتُ : « أَعْرِفُ مَا سَتَقُولُهُ ، سَتَقُولُ إِنَّهُ عَمَلٌ حَفِيرٌ ، وَلَكِنِّي  
سَأَسْرِفُهُ ، وَلَا أُرِيدُكَ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا عَنْهُ . »

لَمَعْتُ عَيْنَا تَوْمَ وَقَالَ : « سَأَسَاعِدُكَ فِي سَرِقَتِهِ . »

كَانَ هَذَا أَعْرَبَ كَلَامٍ سَمِعْتُهُ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْدُقَ أَذُنِي .  
تَوْمُ سَوِيرَ يَسْرِقُ عَبْدًا أَبَقَا !

وَضَعْنَا الصُّنْدُوقَ فِي عَرَبَتِي ، وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ وَسَرْتُ فِي طَرِيقِي .



وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ وَصَلَتْ عَرَبَةٌ تَوْمَ عِنْدَ الْبَوَابَةِ الْخَارِجِيَّةِ ، وَرَأَتْهَا  
السَّيِّدَةُ سَالِي مِنَ النَّافِذَةِ ، وَانْدَفَعَ كُلُّ مَنْ فِي الْبَيْتِ نَحْوَ الْبَابِ  
الْخَارِجِيِّ ، وَكَانَ تَوْمَ قَدْ دَخَلَ مِنَ الْبَوَابَةِ ، وَأَتَجَهَّ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ  
نَحْوَ الْبَيْتِ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا رَفَعَ قُبْعَتَهُ بِرِشَاقَةٍ وَسَأَلَ : « هَلْ هَذَا  
بَيْتُ السَّيِّدِ أَرْشِيَالْد نيكولز ؟ »

رَدَّ السَّيِّدُ فِيلِيسُ : « لَا ، يَا وَلَدِي . مَنْزِلُ نيكولزَ عَلَى بُعْدِ  
خَمْسَةِ كِيلُومِترَاتٍ مِنْ هُنَا . تَفَضَّلْ بِالْدُّخُولِ وَتَنَاوَلْ مَعَنَا الْعِشَاءَ ،  
وَبَعْدَهَا سَأَصْحَبُكَ إِلَى مَنْزِلِ نيكولز . »

شَكَرَهُمْ تَوْمَ بِكُلِّ أَدَبٍ ، وَتَظَاهَرَ بِالْإِفْتِنَاعِ بِمَا قَالَهُ السَّيِّدُ  
فِيلِيسُ ، وَدَلَفَ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّهُ غَرِيبٌ مِنْ مَدِينَةِ هيكسكيل بِوِلَايَةِ  
أُوهايو ، وَإِنَّ اسْمَهُ هُوَ وِلِيمُ تومبسون ، ثُمَّ انْحَنَى مَرَّةً أُخْرَى .

وَاحِدٌ يَثْرَثُ وَيَثْرَثُ ، وَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عَنْ مَدِينَةِ هيكسكيل وَعَنْ  
كُلِّ شَخْصٍ فِيهَا . وَبَيْنَمَا كَانَ يُتَابِعُ حَدِيثَهُ ، ذَهَبَ نَحْوَ الْحَالَةِ  
سَالِي وَقَبَّلَهَا ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي حَدِيثِهِ . وَلَكِنَّهَا قَفَزَتْ مِنْ مَكَانِهَا ،  
وَمَسَحَتْ شَفَتَيْهَا بِظَهْرِ يَدَيْهَا ، وَصَاحَتْ : « أَنْتَ أَيُّهَا الْوَعْدُ  
الصَّغِيرُ ! »

قَالَ تَوْمَ وَقَدْ بَدَأَ وَكَأَنَّهُ جَرَحَ مِنْ كَلَامِهَا : « إِنَّنِي دَهْشْتُ مِنْكَ ،  
يَا سَيِّدَتِي ! »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ سَالِي : « أَنْتَ مَنْ ؟ لِمَاذَا ؟ مَنْ تَظُنُّنِي أَكُونُ ؟  
إِنَّ لَدَيَّ عَقْلًا وَاعِيًا - مَاذَا تَقْصِدُ بِتَقْبِيلِكَ إِيَّاي ؟ »

قَالَ تَوْمَ وَهُوَ يَبْدُو مُتَوَاضِعًا : « لَمْ أَكُنْ أَقْصِدُ شَيْئًا ، يَا سَيِّدَتِي .  
لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُحِبِّينَ ذَلِكَ . »

وَبَدَأَ وَاضِحًا أَنَّ السَّيِّدَةَ سَالِي كَانَتْ تُحَاوِلُ جَاهِدَةً إِبْقَاءَ يَدَيْهَا  
بَعِيدَةً عَنْهُ ، وَصَاحَتْ : « أَيُّهَا الْأَحْمَقُ ! مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَظُنُّ أَنَّني  
أُحِبُّ ذَلِكَ ؟ »

قَالَ تَوْمَ : « لَا أَعْرِفُ . إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَخْبَرُونِي أَنَّني يَجِبُ أَنْ  
أَفْعَلَ ذَلِكَ . »

قَالَتْ : « هُمْ أَخْبَرُوكَ ؟ مَنْ هُمْ ؟ »

قَالَ : « مَاذَا ؟ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، كُلُّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ . »

قَالَتْ : « مَنْ هُوَ كُلُّ وَاحِدٍ هَذَا ؟ صَرِّحْ بِأَسْمَائِهِمْ وَلَا فَإِنَّ  
عَدَدَ الْحَقِّقِيِّ فِي الْعَالَمِ سَيَنْقُصُ وَاحِدًا ! »

قَالَ تَوْمَ : « لَقَدْ قَالُوا كُلُّهُمْ قَبْلَهَا ، وَقَالُوا إِنَّهَا تُحِبُّ ذَلِكَ .  
وَلَكِنِّي اعْتَذَرْتُ لَكَ ، يَا سَيِّدَتِي . لَنْ أَكْرَرَهَا مَرَّةً أُخْرَى حَتَّى تَطْلُبِي  
مِنْهُ ذَلِكَ . »

صَاحَتِ السَّيِّدَةُ سَالِي : « حَتَّى أَطْلُبَ مِنْكَ ؟ لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ

هَذَا فِي حَيَاتِي !

أَدَارُ تَوْمَ عَيْنِيهِ فِيمَا حَوْلَهُ ، كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ تَلْتَقِيَ عَيْنَاهُ عَيْنَيْنِ  
تَحْمِلَانِ وِدًّا ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِعَيْنَيْهِ عَلَيَّ .

قال : « توم ، أَلَا تَعْتَقِدُ أَنَّ الْخَالَهَ سَالِي سَتَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا مَرَحِبَةً  
بِسَيِّدِ سُوَيْرٍ ؟ »

قَاطَعَتُهُ الْخَالَهَ سَالِي قَائِلَةً : « لِيُبَارِكَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْوَعْدُ الصَّغِيرُ !  
تَضَحْكُ عَلَيَّ بِهَذَا الشَّكْلِ . » وَأَتَجَهَّتْ نَحْوَهُ لِتَحْتَضِنَهُ وَلَكِنَّهُ أَبْعَدَهَا  
عَنْهُ قَائِلًا :

« لَا ، لَيْسَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَنِي مِنِّي ذَلِكَ أَوَّلًا . » فَطَلَبَتْ مِنْهُ ذَلِكَ ،  
وَأَحْتَضَنَتْهُ ، وَقَبَلَتْهُ مِرَارًا وَهِيَ تَقُولُ : « يَا عَزِيزِي ، لَمْ تَكْتُبْ لِي  
أَخْبَتِي عَنْ قُدُومِ شَخْصٍ آخَرَ . »

أَجَابَهَا : « كَانَ تَوْمٌ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي سَيَّأَتِي ، غَيْرَ أَنَّهُا تَرَكَتْنِي  
أَتِي مَعَهُ فِي آخِرِ لِحْظَةٍ . وَقَدْ فَكَّرْنَا أَنَا وَتَوْمٌ أَنَّهَا رَبُّمَا تَكُونُ مُفَاجَأَةً  
مُدْهِشَةً لَوْ أَنَّهُ حَضَرَ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَغْفَبَهُ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَتَظَاهَرُ بِأَنِّي  
غَرِيبٌ . وَلَكِنْ ، يَا خَالَتِي سَالِي ، هَذَا لَيْسَ اسْتِيقْبَالًا طَيِّبًا لِغَرِيبٍ . »

قَالَتْ : « أَنْتَ عَلَى صَوَابٍ ، يَا سَيِّدُ . كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُصَفِّعَ  
عَلَيَّ حَدِيدَكَ ! لَقَدْ أَرْعَجْتَنِي . »

وَدَارَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ عَلَى الْغَدَاءِ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ  
تَصْدُرْ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً عَنْ عَبْدِ هَارِبٍ ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَ الْأَوْلَادِ  
الصَّغَارِ تَسَاءَلَ ، وَنَحْنُ نَتَنَاوَلُ الْعِشَاءَ ، عَمَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ  
أَنْ يَذْهَبَ هُوَ وَتَوْمٌ وَسَيِّدٌ لِمُشَاهَدَةِ الْعَرْضِ ، فَرَدَّ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ :  
« لَا ، لَقَدْ أَخْبَرْنَا الْعَبْدَ الْهَارِبَ - أَنَا وَبِيرَتُونَ - بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا  
الْعَرْضِ الْأَحْمَقِ . وَقَالَ بِيرَتُونَ إِنَّهُ سَيُخَيِّرُ النَّاسَ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي  
أَعْتَقِدُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قَامُوا الْآنَ بِطَرْدِ الْوَعْدَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ . »

إِذَا هَكَذَا الْأَمْرُ ! وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْنَعَ نَفْسِي عَنْ مُسَاعَدَتِهِمَا .  
وَكَانَ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ نَنَامَ أَنَا وَتَوْمٌ فِي عُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الطَّابِقِ  
الثَّانِي ، فَصَعِدْنَا إِلَيْهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ ، ثُمَّ تَسَلَّلْنَا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَهَبَطْنَا  
عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ ، وَاتَّخَذْنَا طَرِيقَنَا صَوْبَ الْمَدِينَةِ سَرِيعًا ؛ لِأَنِّي إِذَا  
لَمْ أُسْرِعْ وَأَحْذَرُ الْمَلِكَ وَالِدُوقَ فَإِنَّهُمَا سَيَقْعَانِ فِي مَتَاعِبٍ جَمَّةٍ .  
وَفِي الطَّرِيقِ أَخْبَرْتُ تَوْمَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ رَفِيقِي فِي عَرْضِ « نُحْفَةِ  
مَلَكِيَّةٍ » ، كَمَا أَخْبَرْتَهُ عَنْ رِحْلَةِ الرَّمْثِ قَدَرًا مَا سَمَحَ الْوَقْتُ بِذَلِكَ .

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى وَسْطِ الْمَدِينَةِ كَانَ هُنَاكَ جَمْعٌ حَاشِدٌ مِنَ  
النَّاسِ يَنْدَفِعُونَ نَحْوَنَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْمَشَاعِلَ ، وَيَصْرُخُونَ ، وَيَقْرَعُونَ  
الْمَقَالِي الصَّفِيحَ ، وَيَنْفُخُونَ فِي الْأَبْوَابِ . وَرَأَيْتُ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الدُّوقَ  
وَالْمَلِكَ يَجْلِسَانِ عَلَى قَضِيبٍ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَقَدْ غَطَوْهُمَا بِالْقَارِ وَرِيشِ



الطيور . واجتأحتني حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى هَدَيْنِ الصَّاحِبَيْنِ ؛ فَقَدْ كَانَ  
مَنْظَرُهُمَا يَدْعُو لِلرَّثَاءِ . مَا أَقْسَى الْإِنْسَانَ عَلَى أَخِيهِ الْإِنْسَانِ !

لَقَدْ تَأَخَّرْنَا كَثِيرًا فَلَمْ يَعُدْ يُوَسِّعُنَا أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ، وَمِنْ ثَمَّ اتَّخَذْنَا  
طَرِيقَنَا عَائِدِينَ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِالْمَرَحِ كَمَا كُنْتُ مِنْ  
قَبْلُ ، بَلْ انْخَفَضَتْ رُوحِي الْمَعْنَوِيَّةُ ، وَأَحْسَسْتُ بِاللُّومِ رَغْمَ أَنَّي لَمْ  
أَقْصِرْ فِي شَيْءٍ .

### الفصل الخامس عشر « سَنَحْفِرُ الْأَرْضَ لِنُخْرِجَ جِيمَ »

تَوَقَّفْنَا عَنِ الْحَدِيثِ وَبَدَأْنَا فِي التَّفَكُّيرِ ، وَقَالَ تَوْمٌ آخِرًا : « أَنْظُرْ  
هُنَاكَ ، يَا هَكَ . يَا لَنَا مِنْ أُحْمَقَيْنِ ! لِمَاذَا لَمْ نَتَفَكَّرْ فِي هَذَا مِنْ  
قَبْلُ ؟ أَنَا أَعْرِفُ مَكَانَ جِيمِ . إِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْكُوخِ الْمُجَاوِرِ لِلْمَطْبَخِ .  
عِنْدَمَا كُنَّا نَتَنَاوَلُ الْغَدَاءَ ، أَلَمْ تُلَاحِظْ رَجُلًا يَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ وَمَعَهُ  
بَعْضُ الطَّعَامِ ؟ »

قُلْتُ : « بَلَى . »

قَالَ : « لِمَنْ تَعْتَقِدُ كَانَ هَذَا الطَّعَامُ ؟ »

قُلْتُ : « لِكَلْبٍ . »

قَالَ : « وَكَذَلِكَ كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَا ، وَلَكِنَّ الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ مَعَ  
الرَّجُلِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَدَّمَ لِكَلْبٍ . »

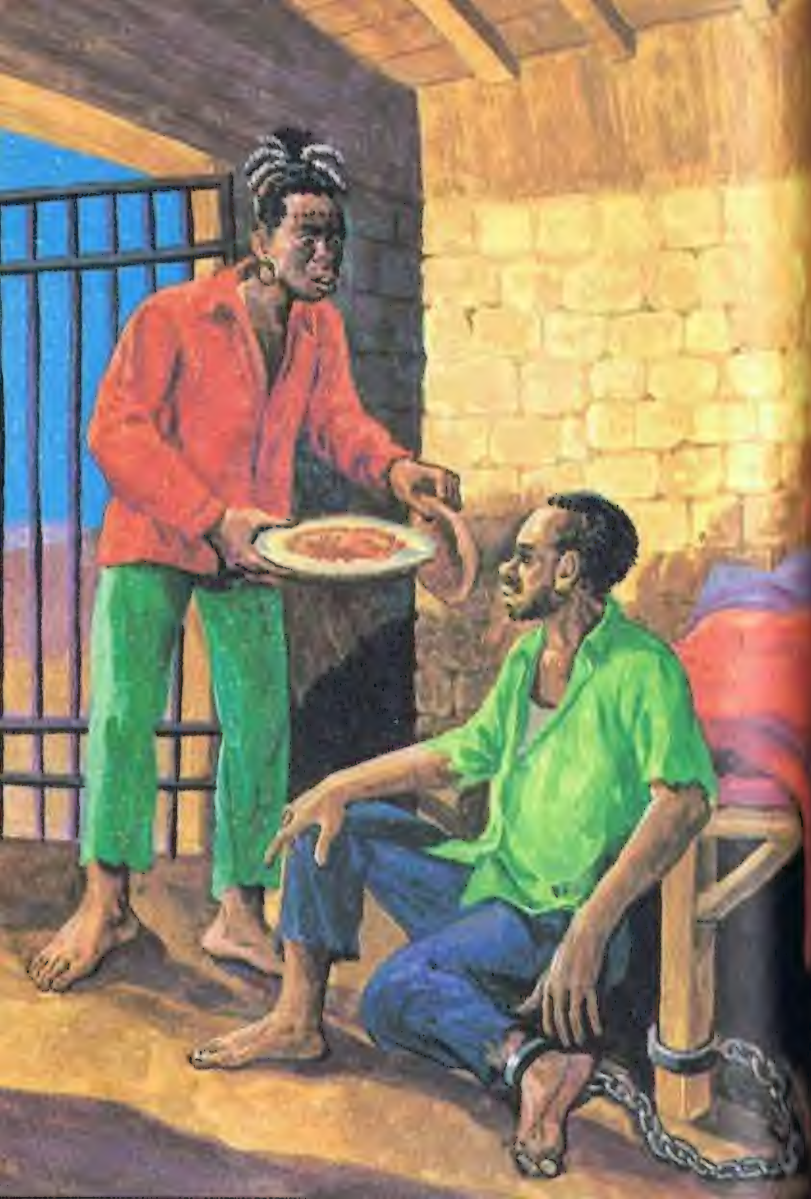
قُلْتُ : « لِمَاذَا ؟ »

قال : « لَأَنْ جُزءًا مِنْهُ كَانَ فَاكِهَةً . »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، كَانَ كَذَلِكَ . لَقَدْ لَاحَظْتُهَا . وَلَكِنْ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي أَنَّ الْكِلَابَ لَا تَأْكُلُ الْفَاكِهَةَ . إِنَّ هَذَا يُوضَحُ كَيْفَ أَنَّ الْمَرْءَ يَرَى وَلَا يَرَى فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ . »

قال توم : « إِنَّ الرَّجُلَ فَتَحَ الْبَابَ حِينَ دَخَلَ ، وَأَغْلَقَهُ بِالْمِفْتَاحِ عِنْدَمَا خَرَجَ ، وَأَحْضَرَ إِلَى عَمِّي مِفْتَاحًا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ الَّذِي كُنَّا نَنْهَضُ فِيهِ مِنْ عَلَى الْمَائِدَةِ . إِنَّهُ الْمِفْتَاحُ نَفْسُهُ الَّذِي أَعْلَقَ بِهِ الْبَابَ وَأَرَاهُنَّ عَلَى ذَلِكَ . الْفَاكِهَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ إِنْسَانًا ، وَالْقُفْلُ يَقُولُ إِنَّهُ سَجِينٌ ، وَجِيمٌ هُوَ السَّجِينُ ، وَالْآنَ سَأُضِيعُ خُطَّةً لِتَحْرِيرِهِ . »

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ أَخْبَرَنِي توم بِخَطِّئِهِ ، فَتَمَعَّنْتُهَا لِمُدَّةٍ دَقِيقَةٍ ، ثُمَّ أَدْرَكْتُ أَنَّ خُطِّئَهُ رُبَّمَا تَنَجَّحَ فِي تَحْرِيرِ جِيمٍ إِلَّا أَنَّهُ - بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ - قَدْ تَسَبَّبَ فِي قَتْلِنَا . شَيْءٌ وَاحِدٌ فَقَطْ فِي هَذِهِ الْخُطَّةِ كَانَ مُؤَكَّدًا ، وَهُوَ أَنَّ توم كَانَ جَادًّا ، وَكَانَ عَازِمًا بِالْفِعْلِ عَلَى تَخْلِيسِ جِيمٍ . يَا إِلَهِي ! غَلَامٌ مِنْ عَائِلَةٍ مُحْتَرَمَةٍ .. حَسَنَ التَّرْبِيَةِ ، يَتَوَرَّطُ فِي هَذَا الْعَمَلِ ، وَيَجْلِبُ الْعَارَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَسْرَتِهِ قَبْلَ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ ؟ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْهَمَ ذَلِكَ . كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ صَدِيقَهُ الْمَخْلُصَ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ عَلَيَّ أَنْ أَبْعِدَهُ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ ، وَأَنْقِذَهُ مِنَ التَّوَرَّطِ فِيهِ . وَرَحْتُ أَخْبِرُهُ بِذَلِكَ ،





وَلَكِنَّهُ أَسَكَّتَنِي قَائِلًا : « هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أَعْرِفُ مَا أَفْعَلُ ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّنِي سَوْفَ أَسَاعِدُكَ فِي سَرِقَةِ جِيم ؟ »

قُلْتُ : « بَلَى . »

قَالَ : « حَسَنًا ، إِذَا . »

وَهَبَطْنَا إِلَى الْكُوخِ عَنْ طَرِيقِ الْمَطْبِخِ لِنَعَايِنَهُ . وَكَانَتْ الْكِلَابُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْفِنَاءِ تَعْرِفُنَا ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَمْ تُطْلِقْ بُبَاحَهَا عَلَيْنَا . وَالْقَيْنَا نَظْرَةً عَلَى الْكُوخِ مِنْ وَاجِهَتِهِ وَمِنْ جَانِبِهِ ، فَوَجَدْنَا عَلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ نَافِذَةً مُرْتَفِعَةً مُسَمَّرًا عَلَيْهَا بِعَرْضِهَا لَوْحٌ سَمِيكٌ ، فَقُلْتُ لِتَوْم : « هَذِهِ الْفَتْحَةُ كَبِيرَةٌ ، تَكْفِي لِكُنْيِ يَخْرُجُ مِنْهَا جِيمٌ لَوْ نَزَعْنَا اللَّوْحَ . »

قَالَ تَوْم : « هَذَا أَمْرٌ سَهْلٌ . وَلَكِنِّي أَمَلْتُ فِي أَنْ أَجِدَ طَرِيقَةً أَكْثَرَ تَعْقِيدًا مِنْ هَذِهِ ، يَا هَكَذَا فَن . »

قُلْتُ : « حَسَنًا إِذَا ، مَاذَا لَوْ نَشَرْنَا الْكُوخَ لِنُخْرِجَهُ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي فَعَلْتَهَا أَنَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَ . »

قَالَ تَوْم : « هَذَا يُشْبِهُ مَا أَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ طَرِيقَةٌ غَامِضَةٌ وَشَاقَّةٌ وَجَيِّدَةٌ ، وَلَكِنِّي أَرَاهُنَّ أَنَّنِي سَأَجِدُ طَرِيقَةً أَطْوَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَرَّتَيْنِ ! »

كَانَتْ ثَمَّةٌ بَيْنَ الْكُوخِ وَالسِّيَاحِ سَقِيفَةٌ تَتَّصِلُ بِالْكُوخِ مِنْ السُّطْحِ ، وَكَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنَ الْأَوْحِ الْخَشَبِ ، وَتَسَاوَى مَعَ الْكُوخِ فِي طُولِهَا ، إِلَّا أَنَّهَا أَقْلُ مِنْهُ عَرْضًا ، فَعَرَضُهَا يَبْلُغُ مِثْرَيْنِ فَقَطْ ، وَكَانَ بِأُهَا فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ ، وَهُوَ مُغْلَقٌ بِالْقُفْلِ .

إِنْتَعَدَ تَوْمٌ قَلِيلًا ، وَحِينَ عَادَ كَانَتْ مَعَهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَدِيدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْسِرَ بِهَا الْقُفْلَ ، فَسَقَطَتِ السَّلْسِلَةُ ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَفْتَحَ الْبَابَ ، وَأَنْ نَدْخُلَ وَنُغْلِقَ الْبَابَ خَلْفَنَا . وَعِنْدَمَا أَشْعَلْنَا عَوْدَ ثِقَابٍ رَأَيْنَا أَنَّ السَّقِيفَةَ مُقَامَةً عَلَى الْكُوخِ ، وَكَانَتْ أَرْضِيَّتُهَا عَارِيَةً ، وَلَا يَوْجَدُ بِهَا سِوَى بَعْضِ آلَاتٍ قَدِيمَةٍ خَاصَّةٍ بِالْحَدِيقَةِ . وَأَنْطَفَأَ عَوْدُ الثِقَابِ فَخَرَجْنَا ، وَأَعَدْنَا الْقُفْلَ إِلَى الْبَابِ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ .

كَانَ تَوْمٌ مُسْرُورًا جَدًّا ، وَقَالَ : « إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . سَنُخْرِجُ لِنُخْرِجَ جِيمَ ، وَسَيَسْتَعْرِقُ ذَلِكَ أَسْبُوعًا عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ . »

وَتَوَجَّهْنَا إِلَى الْبَيْتِ ، فَدَخَلْتُ أَنَا مِنَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ - إِذْ لَمْ يَكُونُوا يُغْلِقُونَ الْأَبْوَابَ لَيْلًا - أَمَّا تَوْمٌ سَوِيْرٌ فَقَدْ تَسَلَّقَ عَمُودَ الْإِنَارَةِ ، فَلَمِستُ هُنَاكَ طَرِيقَةً أُخْرَى تَتَنَاسَبُ مَعَ أَفْكَارِهِ . وَقَدْ اسْتَيْقَظْنَا فَجْرًا ، وَهَبَطْنَا لِنَقُومَ بِمُلاَظَفَةِ الْكِلَابِ ، وَتَوَدَّدَ إِلَى الزَّنْجِيِّ الَّذِي يَأْخُذُ الطَّعَامَ إِلَى جِيمَ ، وَكَانَ فِي هَذَا الْوَقْتِ يَمْلَأُ طَبَقًا بِالْخَبْزِ وَاللَّحْمِ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى .

كَانَتْ تَرْتَسِمُ عَلَى سَحْنَةِ هَذَا الرَّتْجِي - وَاسْمُهُ نَات - مَسْحَةً  
مِنَ الطَّبِيبَةِ . وَكَانَ يَرْبُطُ شَعْرَهُ بِخَيْطٍ عَلَى هَيْئَةِ عُنَاقِيدَ حَتَّى يُبْعِدَ  
عَنْهُ أَعْمَالُ السَّحَرِ . وَقَدْ قَالَ إِنَّ السَّاحِرَاتِ سَبَبٌ لَهُ رُغْبًا فِي اللَّيَالِي  
الْمَاضِيَةِ ، وَجَعَلْنَهُ يَرَى كُلَّ الْأَشْكَالِ الْغَرِيبَةِ ، وَأَنْ يَسْمَعَ جَمِيعَ  
الْكَلِمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ الشَّاذَةِ .

وَسَأَلَهُ توم : « طَعَامٌ مِنْ هَذَا ؟ »

إِبْتَسَمَ نَات وَقَالَ : « هَلْ تَوَدُّ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ وَتَرَى بِنَفْسِكَ ؟ »

قَالَ توم : « أَجَلٌ . »

وَدَهَبَا مَعَهُ ، رَغْمَ أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَرُقْ لِي كَثِيرًا . وَهَنَّاكَ وَجَدْنَا  
جِيمَ فَصَاحَ حِينَ رَأَانَا : « مَنْ ؟ هَكَ .. يَا إِلَهِي ! أَلَيْسَ هَذَا هُوَ  
السَّيِّدَ توم ؟ كَانَ هَذَا هُوَ مَا أَنْتَظَرُهُ ، فَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَاذَا أَفْعَلُ . »

قَالَ نَات : « يَا رَبِّي الرَّحِيمَ ، هَلْ يَعْرِفُكُمَا أَيُّهَا السَّيِّدَانِ ؟ »

نَظَرَ توم إِلَيْهِ بِنَبَاتٍ ، وَقَدْ تَصَنَّعَ الدَّهْشَةَ ، وَقَالَ : « مَنْ هُوَ الَّذِي  
يَعْرِفُنَا ؟ »

قَالَ نَات : « مَاذَا ؟ هَذَا الْعَبْدُ الْهَارِبُ الَّذِي يَجْلِسُ هُنَا . »

قَالَ توم : « لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَعْرِفُنَا . »

قَالَ نَات : « أَلَمْ يَصْرَحِ الْآنَ بِأَنَّهُ يَعْرِفُكُمَا ؟ »

نَظَرَ إِلَيْهِ توم وَقَدْ عَلَنَتْهُ الْحَيْرَةُ وَقَالَ : « هَذَا غَرِيبٌ جِدًّا . مَنْ هَذَا  
الَّذِي صَرَحَ بِذَلِكَ ؟ وَبِمَاذَا صَرَحَ ؟ »

وَأَسْتَدَارَ نَحْوِي وَقَالَ بِهَدْوٍ شَدِيدٍ : « هَلْ سَمِعْتَ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ  
الْآنَ ؟ »

قُلْتُ : « لَا ، لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَتَقَوَّمُ بِشَيْءٍ . »

وَأَسْتَدَارَ توم إِلَى جِيمَ وَنَظَرَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ قَطُّ مِنْ قَبْلُ وَقَالَ :  
« هَلْ تَكَلَّمْتَ ؟ »

قَالَ جِيمَ : « لَا ، يَا سَيِّدِي ، لَمْ أَقُلْ شَيْئًا . »

قَالَ توم : « هَلْ رَأَيْتَنَا مِنْ قَبْلُ ؟ »

قَالَ جِيمَ : « لَا ، يَا سَيِّدِي ، لَمْ أَرَكُمَا ، وَلَا أَعْرِفُ مَنْ  
تَكُونَانِ . فَاسْتَدَارَ توم نَحْوَ نَات ، وَكَانَ آنَذَاكَ يَدُو مُرْتَبِكًا ، وَسَأَلَهُ :  
« مَا الَّذِي حَدَّثَ لَكَ ، يَا نَات ؟ »

رَدَّ نَات : « لَا بُدَّ أَنَّهُنَّ السَّاحِرَاتُ الْمَلْعُونَاتُ ، يَا سَيِّدِي .  
أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَلَّا تُخَيِّرَ أَحَدًا بِذَلِكَ ، وَإِلَّا وَبَخَنِي السَّيِّدُ سَايِلَاسُ ؛ لِأَنَّهُ  
لَا يَعْتَقِدُ فِي وُجُودِ السَّاحِرَاتِ . »



أَعْطَاهُ تَوْمَ قِطْعَةٍ مِنَ النَّقُودِ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ لَنْ يُخِيرَ أَحَدًا . وَبَيْنَمَا  
كَانَ نَاتٌ يَخْطُو نَحْوَ الْبَابِ وَيَنْعِمُ النَّظَرَ فِي قِطْعَةِ النَّقُودِ ، وَيَعْصُهَا  
بِأَسْنَانِهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا غَيْرُ مَزْيِفَةٍ ، هَمَسَ تَوْمٌ فِي أُذُنِ جِيمٍ يَقُولُهُ :  
« تَظَاهَرُ بِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُنَا ، وَإِذَا سَمِعْتَ أَصْوَاتَ حَفَرٍ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ  
فَاعْلَمْ أَنَّنَا نَحْنُ اللَّذَانِ نَحْفِرُ . سَنُخْرِجُكَ مِنْ هُنَا ، وَنُطْلِقُ سَرَاحَكَ . »

## الفصل السادس عشر

### ابتداء المصاعب

كَانَتْ لَا تَزَالُ أَمَامَنَا سَاعَةً حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدُ الْإِفْطَارِ ، وَلِذَلِكَ  
ذَهَبْنَا إِلَى الْغَايَةِ ؛ لِلْبَحْثِ عَنْ مَصْدَرِ اللَّضْوِ نَحْفِرُ عَلَى هَذَا ،  
لَأَنَّنَا لَوْ أَحْضَرْنَا فَانُوسًا فَإِنَّ نُورَهُ الْقَوِيَّ سَيَسَبِّبُ لَنَا الْمَتَاعِبَ . وَفِي  
الْغَايَةِ جَمَعْنَا حَزْمَةً مِنْ ذَلِكَ النَّبَاتِ الْفُطْرِيِّ الْمُسَمَّى سِرَاجِ الْغُولَةِ ،  
وَهُوَ نَبَاتٌ يَنْبُعُ مِنْهُ وَمِيزُ فِي الظَّلَامِ . وَخَبَأْنَا هَذِهِ الْحَزْمَةَ ،  
ثُمَّ جَلَسْنَا نَسْتَرِيحُ .

قَالَ تَوْمٌ : « اللَّعْنَةُ ! إِنَّ الْأَمْرَ بِرُمْتِهِ سَهْلٌ وَتَافٍ ، وَهَذَا لَا يَدْفَعُكَ  
لِوَضْعِ خُطْطٍ صَعْبَةٍ . كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَوْجَدَ حَارِسٌ عَلَى بَابِ الْكُوخِ  
الْمُسَجُونِ فِيهِ جِيمٌ حَتَّى نَضَعُ لَهُ مُخَدَّرًا لِيَنَامَ ؛ بَلْ إِنَّهُ لَا يَوْجَدُ حَتَّى  
كَلَبٌ لِنَجْعَلَهُ يَصُمْتُ عَنْ النَّبَاحِ . أَمَّا جِيمٌ فَإِنَّهُ مُقَيَّدٌ مِنْ رَجُلٍ  
وَاحِدَةٍ بِسِلْسِلَةٍ مَرْبُوطَةٍ فِي قَائِمَةِ فِرَاشِهِ . وَكُلُّ مَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ  
هُوَ أَنْ تَرْفَعَ الْفِرَاشَ فَتَنْزِلَ السِّلْسِلَةُ ، كَمَا أَنَّ الْعَمَّ سَايِلَاسَ يَثْقُ  
بِأَيِّ شَخْصٍ ، وَيُرْسِلُ الْمِفْتَاحَ إِلَى نَاتٍ وَلَا يُرْسِلُ خَلْفَهُ مَنْ يُرَاقِبُهُ .

لِمَاذَا ؟ هَذَا أَمْرٌ مُخِيبٌ لِلْأَمَالِ ، يَا هَكَ ! إِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَبْتَدِعَ  
جَمِيعَ الْمَصَاعِبِ . حَسَنًا ، سَنَبْدُلُ أَقْصَى مَا نَسْتَطِيعُ بِمَا تَوْفَّرَ لَنَا وَبِمَا  
أَحْضَرْنَا مِنْ مَوَادِّ وَآلَاتٍ . وَالآنَ ، وَبَيْنَمَا أَنَا أَفَكِّرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ،  
هَيَّا بِنَا نُفَتِّشْ عَنْ شَيْءٍ نَصْنَعُ مِنْهُ مِشْأَرًا .

قُلْتُ : وَفِيمَ تُرِيدُ الْمِشْأَرَ ؟

قَالَ مُتَعَجِّبًا : « فِيمَ أُرِيدُ الْمِشْأَرَ ؟ ! أَلَنْ نَنْشُرَ قَائِمَةً سَرِيرِ جِيم  
حَتَّى تَسْقُطَ السَّلْسِلَةُ ؟ »

قُلْتُ : « لَقَدْ قُلْتَ مِنْذُ قَلِيلٍ إِنَّ مَا عَلَى الْمَرْءِ سِوَى أَنْ يَرْفَعَ  
الْفِرَاشَ فَتَسْقُطَ السَّلْسِلَةُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهَا . »

قَالَ : « مَاذَا ، يَا هَكَ فِنْ ؟ أَلَمْ تَقْرَأْ آيَةَ كُتِبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؟  
مَنْ سَمِعَ عَنْ إِطْلَاقِ سَجِينٍ بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الطُّفُولِيَّةِ ؟ لَا . إِنَّ  
الطَّرِيقَةَ الَّتِي يَتَّبِعُهَا جَمِيعُ الْخُبَرَاءِ هِيَ نَشْرُ قَائِمَةِ السَّرِيرِ إِلَى  
قِطْعَتَيْنِ ، وَابْتِلَاعُ نُشَارَةِ الْخَشَبِ حَتَّى لَا يُعَثِّرَ عَلَيْهَا ، وَوَضْعُ  
بَعْضِ الشَّعْمِ وَالْقَاذوراتِ حَوْلَ الْجُزْءِ الْمُنشُورِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدُ  
الْحِرَاسِ أَنْ يَرَى آيَةَ عِلَامَةٍ لِلنَّشْرِ ، وَيَحْسَبَ أَنَّ قَائِمَةَ السَّرِيرِ سَلِيمَةٌ  
صَحِيحَةٌ .. وَمَا عَلَيْكَ ، فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا جَاهِزًا  
لِلْهَرَبِ ، سِوَى أَنْ تَضْرِبَ الْقَائِمَةَ بِرِجْلِكَ فَتَنْهَارَ ، فَتَسْقُطَ

السَّلْسِلَةُ وَتَتَحَرَّرَ . وَمَا عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تُثَبِّتَ سَلَمَ الْجِبَالِ فِي  
أَعْلَى الْجِدَارِ ، وَتَسْلُلَ عَلَيْهِ هَابِطًا لِأَسْفَلِ ، فَتَكْسِرَ رِجْلَكَ فِي  
الْخَنْدَقِ لِأَنَّ سَلَمَ الْجِبَالِ كَمَا تَعْرِفُ قَصِيرٌ ، يَبْلُغُ طَوْلُهُ سِتَّةَ أَمْتَارٍ  
فَقَطْ - وَهَنَّاكَ سَتَجِدُ جِيَادَكَ وَخَدَمَكَ الْمُخْلِصِينَ فِي انْتِظَارِكَ ،  
فَيَنْتَشِلُونَكَ وَيُلْقُونَ بِكَ عَلَى سَرَجِ الْجَوَادِ ، فَيَنْطَلِقُ بِكَ بَعِيدًا إِلَى  
حَيْثُ مَوْطِنُكَ فِي لَانْعِدُوكِ أَوْ نَافَارَ ، أَوْ إِلَى حَيْثُمَا كَانَ هَذَا الْمَوْطِنُ .  
إِنَّهُ عَمَلٌ عَظِيمٌ ، يَا هَكَ . أَتَمْنَى لَوْ كَانَ ثَمَّ خَنْدَقٌ حَوْلَ هَذَا  
الْكُوخِ . لَوْ تَبَسَّرَ لَنَا وَقْتُ فَسَنَحْفِرُ خَنْدَقًا فِي لَيْلَةِ الْهَرَبِ . »

قُلْتُ : « وَفِيمَ تُرِيدُ الْخَنْدَقَ إِذَا كُنَّا سَنَسْرِقُهُ مِنْ تَحْتِ الْكُوخِ ؟ »  
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْني إِطْلَاقًا ، فَقَدْ كَانَ يَتَطَلَّعُ بِعَيْنَيْهِ نَحْوَ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ .  
وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَنَهَّدَ وَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : « لَا ، لَنْ يَصْلَحَ ، لَيْسَ ضَرُورِيًّا  
عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

قُلْتُ : « مَا هُوَ ؟ »

قَالَ : « أَنْ تَنْشُرَ رَجُلَ جِيمِ . »

صَحْتُ فِيهِ : « يَا إِلَهِي ! بِالطَّبَعِ لَيْسَ ضَرُورِيًّا . وَلِمَاذَا تُرِيدُ نَشْرَ  
رَجُلِهِ ؟ »

قَالَ : « بَعْضُ الْخُبَرَاءِ فَعَلَهَا ؛ فَقَدْ قُتِلَ فِي إِسْقَاطِ السَّلْسِلَةِ



فَقَطَعَ يَدَهُ وَأَنْطَلَقَ هَارِبًا . وَقَطَعَ الرَّجُلُ أَفْضَلَ مِنْ قَطْعِ الْيَدِ ، وَلَكِنْ جِئَ لَنْ يَفْهَمَ أَسْبَابَ ذَلِكَ ، وَلَنْ يَفْهَمَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْعَادَةُ الْمُتَّبَعَةُ فِي أَوْرُبَا ، وَلِذَلِكَ لَنْ تَفْعَلَهَا . غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا وَاحِدًا - لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ سَلْمٌ مِنَ الْحِجَالِ . نَسْتَطِيعُ أَنْ نُمَزِّقَ قُمْصَانَنَا وَنَصْنَعَ لَهُ وَاحِدًا بِكُلِّ سَهْوَةٍ ، ثُمَّ نُرْسِلَهُ لَهُ فِي إِحْدَى الْقَطَائِرِ .. هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا إِرْسَالُ السَّلْمِ فِي الْغَالِبِ ، وَلَقَدْ أَكَلْتُ قَطَائِرَ أَسْوَأَ مِنْ هَذِهِ بِكَثِيرٍ .

قُلْتُ : « عَمَّ تَحَدَّثُ ! يَا توم سَوِير ؟ إِنَّ جِئَ لَنْ يَسْتَفِيدَ إِطْلَاقًا مِنْ سَلْمِ الْحِجَالِ .

قَالَ سَاخِرًا : « عَمَّ أَتَحَدَّثُ ؟ مِنَ الْأَوَّلَى أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا . يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ سَلْمٌ مِنَ الْحِجَالِ ؛ فَالْكُلُّ يَفْعَلُ هَذَا .

سَأَلْتَهُ : « بِإِلَهِ مَاذَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ ؟ »

قَالَ سَاخِرًا : « يَفْعَلُ بِهِ ! يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَبِّئَهُ فِي فِرَاشِهِ . أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟ كُلُّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ . لِنَفَرٍ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا ، أَوْ لَنْ يَمُوتُوا عَلَيْهِ فِي فِرَاشِهِ بَعْدَ أَنْ يَهْرَبَ ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى هُرُوبِهِ ؟ وَأَنْتَ ، أَوْ لَا تَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ لِأَدَلَةٍ تَرُدُّهُمْ إِلَيْهِ ؟ بِالطَّبَعِ سَيَحْتَاجُونَ .

قُلْتُ : « حَسَنًا ، يَا توم ، وَلَكِنَّا إِذَا مَزَّقْنَا قُمْصَانَنَا فَإِنَّا سَنَدْخُلُ فِي مَتَاعِبٍ مَعَ الْخَالَةِ سَالِي . دَعْنِي أَتَشْتَلُ مَلَاعَةً سَرِيرٍ مِنْ عَلَى حَبْلِ الْغَسِيلِ .

وَأَفَقَ عَلَى اقْتِرَاحِي ، كَمَا أَنَّ هَذَا الْاِقْتِرَاحَ أَوْحَى إِلَيْهِ بِفِكْرَةٍ أُخْرَى ، فَقَالَ : « ائْتَشِلْ قَمِيصًا أَيْضًا ، يَا هَكَ .

قُلْتُ : « وَفِيمَ تُرِيدُ الْقَمِيصَ ، يَا توم ؟ »

قَالَ : « حَتَّى يَسْجَلَ عَلَيْهِ جِئَ ذِكْرِيَانِهِ .

قُلْتُ : « جِئَ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ .

قَالَ : « يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ عِلَامَاتٍ عَلَى الْقَمِيصِ ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لَوْ صَنَعْنَا لَهُ رِيشَةً لِلْكِتَابَةِ مِنْ إِحْدَى الْمَلَاعِقِ الْقَدِيمَةِ ، أَوْ مِنْ أَقْطَعَةٍ حَدِيدٍ قَدِيمَةٍ ؟ »

قُلْتُ : « وَلَمْ كُلُّ هَذَا ، يَا توم ؟ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْزِعَ لَهُ رِيشَةً مِنْ أَحَدِ الطُّيُورِ فَتُصْبِحَ رِيشَةً كِتَابِيَّةً أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي تَفْتَرِحُهَا ، وَفِي وَقْتٍ أَسْرَعَ أَيْضًا .

قَالَ : « السُّجْنَاءُ لَيْسَ لَدَيْهِمْ طُيُورٌ تَطِيرُ حَوْلَهُمْ حَتَّى يَنْزِعُوا رِيشَهَا ، أَيُّهَا الْعَبِيُّ ! إِنَّهُمْ يَصْنَعُونَ رِيشَ الْكِتَابَةِ دَائِمًا مِنْ شَمْعِدَانٍ نَحَاسِيٍّ قَدِيمٍ ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ شَبِيهِ بِهِ . وَهُمْ يَسْتَعْرِقُونَ شُهُورًا وَشُهُورًا

فِي تَشْكِيلِهَا - وَهُمْ مُضْطَرُونَ لِذَلِكَ - فَيَشْكُلُونَهَا بِحِكْمِهَا عَلَى  
الْجِدَارِ . وَحَتَّى لَوْ وَجَدُوا رِيثَةً طَائِرٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهَا ؛ لِأَنَّ هَذَا  
غَيْرُ مَأْلُوفٍ .

قُلْتُ : « حَسَنًا ، وَلَكِنْ مِمَّ سَنَصْنَعُ لَهُ الْحَبِيرَ ؟ »

قَالَ : « الْكَثِيرُ مِنَ السُّجْنَاءِ يَصْنَعُونَهُ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ مُذَابًا فِي  
دُمُوعِهِمْ . وَلَكِنَّ هَذَا هُوَ النَّوعُ الشَّائِعُ الَّذِي تَصْنَعُهُ النِّسَاءُ . أَمَّا  
الْخَبْرَاءُ فَيَسْتَعْمِلُونَ دِمَاءَهُمْ ، وَبِاسْتِطَاعَةِ جِيمٍ أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَهُمْ ،  
فَعِنْدَمَا يُرِيدُ أَنْ يُرْسِلَ رِسَالَةً مِنْ تِلْكَ الرِّسَائِلِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي تَنْسِمُ  
بِالْغُمُوضِ ، لِكَيْ يَجْعَلَ الْعَالَمَ يَعْرِفُ مَكَانَ سِجْنِهِ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَكْتُبَهَا بِشَوْكَةٍ عَلَى قَعْرِ طَبَقٍ مِنَ الصَّفِيحِ ، وَيُلْقِيَهُ مِنَ النَّافِذَةِ .  
لَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ الْفِنَاءُ الْحَدِيدِيُّ . وَهِيَ طَرِيقَةٌ رَاضِيَةٌ . »

قُلْتُ لَهُ : « جِيمٌ لَيْسَ لَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الصَّفِيحِ . »

قَالَ : « هَذِهِ لَيْسَتْ مُشْكِلَةً . نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحْضِرَ لَهُ بَعْضَ  
الْأَطْبَاقِ . »

قُلْتُ : « لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْرَأَ أَطْبَاقَهُ . »

قَالَ : « هَذَا لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْأَمْرِ ، يَا هَلْكَ فِنْ . كُلُّ مَا عَلَيْهِ أَنْ  
يَفْعَلَهُ هُوَ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى الطَّبَقِ ، وَيُلْقِيَهُ خَارِجًا . وَلَا عَلَيْكَ إِذَا

كُنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى قِرَائَتِهِ ، فَأَنْتَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقْرَأَ نِصْفَ مَا  
يُدُونُهُ السُّجْنَاءُ عَلَى الْأَطْبَاقِ ، أَوْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ . »

قُلْتُ : « إِذَا مَا الْفَائِذَةُ وَمَا الْمَغْزَى مِنْ تَضْيِيعِ الْأَطْبَاقِ ؟ »

قَالَ : « اللَّعْنَةُ ! إِنَّهَا لَيْسَتْ أَطْبَاقَ السُّجْنِ . »

قُلْتُ : « وَلَكِنَّهَا أَطْبَاقُ شَخْصٍ آخَرَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ : « لِنَفَرٍ أَنَّهَا كَذَلِكَ ، فَمَاذَا يُهْمُّ السُّجْنِ أَنْ تَكُونَ  
مِلْكًا ... »

وَتَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ فَجَاءَتْ لَأَنَّا سَمِعْنَا نَفِيرَ طَعَامِ الْإِفْطَارِ يَنْطَلِقُ ،  
فَأَسْرَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ .

وَفِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ انْتَشَلْتُ مَلَاةَ سَرِيرٍ وَمَمِصًا أَيْضًا مِنْ عَلَى  
حَبْلِ الْغَسِيلِ ، وَوَضَعْتُهُمَا فِي حَقِيَّةٍ قَدِيمَةٍ . وَدَهَبْنَا نَبْحَثُ عَنْ  
نَبَاتِ سِرَاجِ الْغَوْلَةِ ، وَكَمَا وَجَدْنَاهُ وَضَعْنَاهُ فِي الْحَقِيَّةِ الْقَدِيمَةِ  
أَيْضًا . وَانْتَظَرْنَا حَتَّى أَصْبَحَ الْفِنَاءُ شَاغِرًا ، ثُمَّ حَمَلْنَا تَوَمَ الْحَقِيَّةِ إِلَى  
السَّقْفَةِ ، عَلَى حِينٍ كُنْتُ أَنَا أَرَاقِبُ الْمَكَانَ .

قَالَ تَوَمٌ حِينَ غَادَرَ السَّقْفَةَ : « كُلُّ شَيْءٍ الْآنَ عَلَى مَا يُرَامُ ،  
عَدَا الْأَدَوَاتِ الَّتِي سَنَحْفِرُ بِهَا لِنُخْرِجَهُ . »



سَأَلَتْهُ : « أَلَيْسَتْ الْأَدَوَاتُ الْقَدِيمَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي السَّقِيفَةِ كَافِيَةً  
لِهَذَا الْغَرَضِ ؟ »

قَالَ : « هَكَذَا فَنَ ، هَلْ سَمِعْتَ فِي حَيَاتِكَ عَنْ سَجِينٍ لَدَيْهِ  
مَعَاوِلٌ وَمَجَارِفُ ؟ إِذَا كَانَ مِنَ الْأَجْدَرِ أَنْ يُعْطَوْهُ مِفْتَاحَ زَنْزَانَتِهِ ! »  
قُلْتُ : « حَسَنًا إِذَا ، إِذَا لَمْ نَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِلْمَعَاوِلِ وَالْمَجَارِفِ  
فِيمَاذَا نَحْفِرُ ؟ »

قَالَ : « بِسِكِّينَتَيْنِ . »

قُلْتُ : « اللَّعْنَةُ ! هَذَا هُوَ الْحُمُقُ بَعِيْنِهِ ، يَا تَوْم ! »

قَالَ : « لَا يُهِمُّ إِذَا كَانَ هَذَا حُمُقًا أَوْ لَا ، وَلَكِنْهُمْ يَحْفِرُونَ  
بِالسُّكَاكِينِ ، وَلَا يَحْفِرُونَ فِي الْأَرْضِ ، بَلْ يَحْفِرُونَ فِي الصَّخْرِ  
الْأَصْمِّ . وَيَسْتَعْرِقُ مِنْهُمْ هَذَا الْعَمَلُ أَسَابِيعَ وَأَسَابِيعَ . لِمَاذَا  
نَذْهَبُ بَعِيدًا ؟ أَنْظِرْ إِلَى أَحَدِ هَؤُلَاءِ السُّجَنَاءِ ؛ لَقَدْ كَانَ مَسْجُونًا  
فِي قَلْعَةٍ « دِيف » فِي مِينَاءِ مَارِسِيلِيَا ، وَخَرَجَ مِنْهَا عَنْ طَرِيقِ الْحَقْرِ  
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ . كَمْ تَظُنُّ اسْتَعْرِقَ مِنْهُ هَذَا الْحَقْرُ ؟ »

قُلْتُ : « لَا أَعْرِفُ . رَبِّمَا شَهْرًا وَنِصْفًا ؟ »

قَالَ : « سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً - وَقَدْ خَرَجَ فِي الصَّبَنِ . هَذَا هُوَ  
الْعَمَلُ . أَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَلْعَةُ - أَقْصِدُ هَذَا الْكُوْحُ - مَبْنِيَّةً

عَلَى صَخْرٍ أَصَمِّ . »

قُلْتُ : « جِيم لَا يَعْرِفُ أَحَدًا فِي الصَّبَنِ . »

قَالَ : « وَمَا عِلَاقَةُ هَذَا بِالْأَمْرِ ؟ وَلَا الشَّخْصُ الْآخَرُ كَانَ يَعْرِفُ  
أَحَدًا هُنَاكَ . »

قُلْتُ : « حَسَنًا ، يَا تَوْم ، لَا يُهِمُّنِي الْمَكَانُ الَّذِي سَيَخْرُجُ فِيهِ  
جِيمٌ مَادَامَ سَيَخْرُجُ مِنْ هُنَا . غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا وَاحِدًا : جِيمٌ عَجُوزٌ  
جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْفَرَ بِالسُّكِّينِ ؛ إِنَّهُ لَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا لِيُوَاصِلَ  
الْحَقْرَ . »

قَالَ : « بَلْ سَيَعِيشُ وَسَيُوَاصِلُ الْحَقْرَ . وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ  
الْحَقْرَ سَيَسْتَعْرِقُ مِنْهُ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . »

قُلْتُ : « إِذَا كَمْ سَيَسْتَعْرِقُ ؟ »

قَالَ : « لَنْ يَمُرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى يَسْمَعَ الْعَمُّ سَايْلَاسَ فِي مَدِينَةِ  
نِيو أَوْلِيَانِزَ أَنَّ جِيمَ لَيْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . عِنْدَيْدِ سَيَعْلُنَ عَنْ هُرُوبِ  
جِيمَ ، أَوْ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . وَلِذَلِكَ لَا نَسْتَطِيعُ الْمُخَاطَرَةَ  
بِالْحَقْرِ قِتْرَةً طَوِيلَةً لِكَيْ نَخْرِجَهُ ، كَمَا كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ .  
وَالَّذِي أَتَّصَحُّ بِهِ هُوَ أَنْ نَحْفَرَ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُنَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَدَّعِي  
لِأَنْفُسِنَا أَنَّنَا اسْتَعْرِقْنَا فِي الْحَقْرِ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَبِهَذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ

نُخْرِجُهُ مِنَ الْكُوخِ فِي أَوَّلِ فُرْصَةٍ تَلُوْحُ فِيهَا الْمَتَاعِبُ .

قُلْتُ : « هَذَا مَعْقُولٌ ، فَأَنَا لَا يُهْمُنِي أَنْ نَدْعِيَ أَنَّ الْحَفَرَ اسْتَعْرِقَ مِنَّا مِئَةً وَخَمْسِينَ عَامًا . سَأَذْهَبُ الْآنَ لِأَحْضِرَ سِكِّينَتَيْنِ . »

قَالَ : « بَلْ أَحْضِرْ ثَلَاثًا ؛ لِأَنَّا سَنَحْتَاجُ وَاحِدَةً لِنَصْنَعَ مِنْهَا مِشَارًا . »

قُلْتُ : « تَوْم ، إِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا مُخَالِفًا لِلنِّظَامِ وَلِلدِّينِ ، فَإِنِّي اسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ هُنَاكَ مِشَارٌ قَدِيمٌ صَدِيقٌ بِجَوَارِ السِّيَاحِ . »

تَنَهَّدَ تَوْمُ بِعُمُقٍ وَقَالَ : « لَا فَائِدَةَ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَعْلِيمِكَ أَيِّ شَيْءٍ ، يَا هَكَ . اجْرِ الْآنَ وَأَحْضِرِ السَّكَاكِينِ - ثَلَاثَ سَكَاكِينِ . »

وَفَعَلْتُ مَا يُرِيدُ .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَبِمَجْرَدِ أَنْ قَدَرْنَا أَنْ كُلَّ مَنْ فِي الْبَيْتِ قَدْ اسْتَسْلَمَ لِلتَّوْمِ ، هَبَطْنَا عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ ، وَحَسَبْنَا أَنْفُسَنَا فِي السَّقِيفَةِ ، وَأَخْرَجْنَا كَوْمَةَ نَبَاتِ سِرَاجِ الْعَوْلَةِ وَشَرَعْنَا فِي الْعَمَلِ ، فَظَلَفْنَا كُلُّ مَا كَانَ فِي طَرِيقِنَا لِمَسَافَةِ مِثْرَيْنِ حَوْلَ مُنْتَصَفِ الْجَذَعِ الْأَسْفَلِ وَبَدَأْنَا الْحَفَرَ بِالسِّكِّينَتَيْنِ ، وَأَخَذْنَا نَحْفِرُ وَنَحْفِرُ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ تَقْرِيْبًا . وَبَدَأَ الْكِلَالُ يَفْهَرُنَا ، وَتَوَرَّمَتْ أَيْدِينَا ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَبْدُ أَنَّنَا تَقْدَمْنَا خُطْوَةً .

قُلْتُ : « هَذَا عَمَلٌ لَنْ يَسْتَعْرِقَ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا فَقَطْ ، بَلْ ثَمَانِيَةَ وَثَلَاثِينَ ، يَا تَوْمُ سَوِّرْ ! »

قَالَ : « لَا جَدْوَى مِنْ ذَلِكَ ، يَا هَكَ ؛ فَلَوْ قَضَيْنَا لَيْلَةً أُخْرَى نَعْمَلُ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةَ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَقَّفَ أَسْبועًا حَتَّى تُشْفَى أَيْدِينَا . »



قُلْتُ : « إِذَا مَاذَا سَنَفْعَلُ ، يَا توم ؟ »

قال : « سَأُخْبِرُكَ ، رَغْمَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ صَوَابًا ، وَلَيْسَ أَخْلَاقِيًّا ، وَلَا أُرِيدُهُ أَنْ يُعْرَفَ ، وَلَكِنْ لَا تَوْجَدُ أَمَامَنَا سِوَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ أَنْ نَحْفِرَ بِالْمَعُولِ حَتَّى نُخْرِجَ جِيمَ ، وَنَدْعِي لَأَنْفُسِنَا بِأَنَّا نَحْفِرُ بِالسُّكَاكِينِ . »

قُلْتُ : « الْآنَ تَتَحَدَّثُ الصُّوَابَ ، أَنَا لَا أَهْتُمُّ أَذْنَى أَهْتِمَامٍ بِأَخْلَاقِيَّةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ . إِذَا كَانَ الْمِعُولُ هُوَ الْأَدَاةُ الْمُنَاسِبَةُ لِهَذَا الْأَمْرِ فَسَوْفَ أَحْفِرُ بِهِ لِأَخْرِجَ جِيمَ . »

قال : « حَسَنًا ، ثُمَّ عَذُرَ لاسْتِخْدَامِ الْمَعُولِ وَالْإِدْعَاءِ فِي حَالَةٍ مِثْلِ حَالَتِنَا هَذِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأَلْجَأَ إِلَيْهَا وَأَسْكُتُ وَأَنَا أَرَى الْقَوَاعِدَ وَالنُّظُمَ تُنْتَهَكُ . أَعْطِنِي سِكِّينًا . »

كَانَتْ سِكِّينُهُ بِجَوَارِهِ ، وَلَكِنِّي نَاولْتُهُ سِكِّينِي ، فَرَمَاهَا وَصَاحَ : « أَعْطِنِي سِكِّينًا . »

لَمْ أَعْرِفْ مَا الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيَّ فَعِلُهُ ، ثُمَّ فَكَّرْتُ قَلِيلًا ، وَأَخَذْتُ أَبْحَثُ بَيْنَ الْأَدَوَاتِ الْقَدِيمَةِ حَتَّى وَجَدْتُ مِعُولًا ، فَنَاولْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَخَذَهُ وَشَرَعَ فِي الْعَمَلِ دُونَ أَنْ يَنْبِسَ بِكَلِمَةٍ .

وَهَكَذَا أَحْضَرْتُ مِجْرَفَةً ، وَتَنَاوَيْنَا الْحَفْرَ بِهَا وَبِالْمِعُولِ ، وَجَعَلَ

الْتَرَابُ يَتَطَايَرُ مِنْ حَوْلِنَا ، وَلَزِمْنَا الْعَمَلَ لِمُدَّةِ نِصْفِ سَاعَةٍ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي اسْتَطَعْنَا فِيهِ أَنْ نَطِيقَ الْعَمَلَ . وَلَكِنَّا بَعْدَ نِصْفِ السَّاعَةِ تِلْكَ وَجَدْنَا أَنَّنَا حَفَرْنَا حُفْرَةً وَاسِعَةً ، تَتَّفِقُ وَمَا بَدَلْنَا مِنْ جَهْدٍ . وَعِنْدَمَا صَعِدْتُ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ تَطَلَّعْتُ مِنَ النَّافِذَةِ ، فَرَأَيْتُ تومَ يُحَاوِلُ جَهْدَهُ أَنْ يَتَسَلَّقَ عَمُودَ الْإِنَارَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ ، فَقَدْ كَانَتْ يَدَاهُ مُتَوَرِّمَتَيْنِ . وَأَخِيرًا قَالَ : « لَا فَائِدَةَ ، لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَسْلُقَهُ . مَاذَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ فِي رَأْيِكَ ، يَا هَكَ ؟ أَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ ؟ »

قُلْتُ : « اسْتَطِيعُ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ قَانُونِي . إِصْعَدِ الدَّرَجَ ، وَادْعِ لِنَفْسِكَ أَنْتَ تَتَسَلَّقُ عَمُودَ الْإِنَارَةِ . »  
فَفَعَلَ مَا أَسَرْتُ بِهِ عَلَيْهِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي سَرَقَ تومَ مِلْعَقَةً وَشَمْعِدَانًا نَحَاسِيًّا لِيَصْنَعَ مِنْهُمَا رِيشًا لِلْكَتَابَةِ ، كَيْ يَسْتَخْدِمَهَا جِيمَ . كَمَا سَرَقَ سِتَّ شَمْعَاتٍ ، وَسَرَقْتُ أَنَا ثَلَاثَةَ أَطْبَاقٍ مِنَ الصَّفِيحِ ، فَقَالَ تومَ إِنَّهَا غَيْرُ كَافِيَةٍ ، فَأَقْنَعْتُهُ بِأَنْ أَحْدَا لَنْ يَرَى الْأَطْبَاقَ الَّتِي سَلَقْتُهَا جِيمَ ؛ لِأَنَّهَا سَتَسْقُطُ فِي الْحَشَائِشِ الْمَوْجُودَةِ تَحْتَ النَّافِذَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَعِيدَهَا وَنُعْطِيهَا لِجِيمَ ، فَيَسْتَغْمِلُهَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَقْنَعْتُ بِمَا قُلْتُ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ هَبَطْنَا عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ بَعْدَ الْعَاشِرَةِ بِقَلِيلٍ ،

سَمِعَتْ بِهَا .

وَلَكِنَّهُ لَمْ يُلْقِ بِالْأَيِّ ، وَكَانَتْ هَذِهِ طَرِيقَتَهُ عِنْدَمَا يُصَمِّمُ عَلَى رَأْيٍ مُعَيَّنٍ . وَهَكَذَا أَخْبَرَ جِيمُ بِأَنَّهُ سَيُرْسِلُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ نَاتِ فَطِيرَةَ بِهَا سُلَّمٌ مِنَ الْجِبَالِ ، وَأَشْيَاءٌ أُخْرَى ، وَعَلَى جِيمٍ أَلَّا يَجْعَلَ نَاتِ يَرَاهُ وَهُوَ يَفْتَحُ الْفُطِيرَةَ . وَقَالَ لَهُ إِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرْبِطَ أَشْيَاءَ فِي نِطَاقِ مِثْرَى الْخَالَةِ سَالِي ، أَوْ نَضَعَهَا فِي جُيُوبِ الْمِثْرَى إِذَا سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ . لِذَلِكَ ، وَسَنُخْبِرُهُ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَفِيمَا يَسْتَعْمِلُهَا . وَأَخْبَرَهُ تومُ أَيْضًا عَنْ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُسَجِّلُ بِهَا خَوَاطِرَهُ بِدَمِهِ عَلَى الْقَمِيصِ .. إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ تومُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَرَغْمَ أَنَّ جِيمَ لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَفْهَمَ أَيَّ مَغْزَى لِمُعْظَمِ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ تومُ إِلَّا أَنَّهُ أَجَابَ بِأَنَّهُ سَيَفْعَلُ مَا يَقُولُ لَهُ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ زَحَفْنَا خَارِجِينَ مِنَ الْحُقْرَةِ ، ثُمَّ تَسَلَّلْنَا إِلَى الْبَيْتِ ، وَمِنَهُ إِلَى فِرَاشِنَا . وَقَدْ ارْتَفَعَتْ مَعْتَوِيَّاتُ تومُ ، وَقَالَ إِنَّ هَذِهِ لِأَجْمَلِ مُغَامَرَةٍ فِي حَيَاتِهِ ، وَإِنَّهَا كَانَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى عَقْلِ مُدَبِّرٍ يَخْطِطُ لَهَا ، فَإِذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُدَبِّرَهَا جَيِّدًا فَإِنَّا سَتَدْكُرُّهَا طِيلَةَ حَيَاتِنَا ، ثُمَّ نَتْرُكُ لَأَوْلَادِنَا أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلْنَا ؛ فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ جِيمَ سَتَرْوِقُهُ هَذِهِ الْخُطَّةُ أَكْثَرَ فَكَثُرَ عِنْدَمَا يَتَأَدَّهَا . وَقَالَ إِنَّا بِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَمُدَّ فِي فِتْرَةٍ سَجْنِهِ لِمُدَّةِ ثَمَانِينَ عَامًا ، وَهَكَذَا سَتَجْعَلُنَا هَذِهِ الْخُطَّةُ

وَسَرَعْنَا فِي الْعَمَلِ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمَجَارِفِ . وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ وَنِصْفٍ تَقْرِيبًا كَانَ الْعَمَلُ قَدْ انْتَهَى ، فَزَحَفْنَا مِنْ خِلَالِ الْحُقْرَةِ حَتَّى وَصَلْنَا أَسْفَلَ فِرَاشِ جِيمِ ، وَهُنَاكَ خَرَجْنَا دَاخِلَ الْكُوخِ . وَأَشْعَلْنَا شَمْعَةً ، وَوَقَفْنَا أَمَامَ جِيمِ هُنَيْهَةً ، فَوَجَدْنَاهُ صَاحِبًا مُعَافًى يَغْطِي فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ، فَأَيَّقْنَاهُ بِرَفْقٍ . وَقَدْ سَرَّ عِنْدَ رُؤْيَيْنَا وَدَعَانَا بِعِزِّهِ ، وَبِكُلِّ أَسْمَاءِ التَّدْلِيلِ الَّتِي خَطَرَتْ بِإِلَهِ . وَطَلَبَ مِنَّا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ أَدَاةٍ نَكْسِرُ بِهَا السُّلْسِلَةَ مِنْ رِجْلِهِ فَوْرًا ، وَنَدَعَهُ يَخْرُجُ دُونَ إِضَاعَةِ وَقْتٍ ، وَلَكِنْ تومُ أَوْضَحَ لَهُ أَنَّ هَذَا ضِيْدُ النِّظَامِ . وَجَلَسَ تومُ وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ خُطَطِنَا ، وَكَيْفَ إِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَغْيِّرَهَا فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا لَزِمَ الْأَمْرُ ، وَأَنَّهُ لَا مَحَلَّ لِلْخَوْفِ أَبَدًا ؛ لِأَنَّا سَنَعْمَلُ عَلَى إِطْلَاقِ سَرَاحِهِ بِكُلِّ تَأَكِيدٍ ؛ فَافْتَنَعَ جِيمُ . ثُمَّ جَلَسْنَا مَعَهُ ، وَتَحَدَّثْنَا عَنْ آيَامِنَا الْخَوَالِي . وَسَأَلَهُ تومُ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً ، وَأَخْبَرَهُ جِيمُ أَنَّ الْعَمَّ سَالِيلاس يَأْتِيهِ كُلُّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ لِيُصَلِّيَ مَعَهُ ؛ وَأَنَّ الْخَالَةَ سَالِي تَأْتِي لِتَشْرُفَ عَلَى رَاحَتِهِ ، وَتُطَمِّنَ عَلَى أَنَّ لَدَيْهِ قَدْرًا كَافِيًا مِنَ الطَّعَامِ ؛ وَأَنَّ كِلَيْهِمَا يُسَيِّغَانِ عَلَيْهِ الْعَطْفَ ، وَيَرْفُقَانِ بِهِ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِمَا .

قَالَ تومُ : « الْآنَ أَعْرِفُ كَيْفَ أَدَبُ الْأَمْرِ . سَتُرْسِلُ لَكَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ عَنْ طَرِيقِهِمَا . »

قُلْتُ : « لَا تَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . إِنَّ هَذِهِ أَسْخَفُ فِكْرَةٍ



وفي الصباح ذهبنا إلى كومة الخشب ، وكسرتنا الشمعدان قطعاً يمكن إمساكها باليد ، و وضع توم هذه القطع مع الملعقة في جيبه ، ثم ذهبنا إلى المطبخ ، ودفع توم قطعة من الشمعدان وسط رغيف في طبق جيم عندما كان نائم غافلاً عنه ، ثم ذهبنا مع نات لنرى نتيجة هذا العمل . ولقد كانت النتيجة رائعة ، فعندما قصم جيم قصمة من الرغيف كادت تكسر معظم أسنانه ، وقال توم في نفسه لا شيء أفضل من هذا ؛ فجيم لن يقضم شيئاً بعد اليوم قبل أن يغرز فيه الشوكة مرتين أو ثلاث مرات .

وبينما كنا واقفين اندفع كلبان إلى داخل الكوخ من تحت فراش جيم ، ثم أخذت الكلاب تتدافع كلباً تلو الآخر حتى اكتمل عددها أحد عشر كلباً ، ولم يعد ثمة مكان في الكوخ لتلصق فيه أنفسنا ، والسبب في ذلك أننا نسينا أن نغلق باب السقيفة .

وصرخ نات : « الساحرات ! الساحرات ! » وركع على الأرض بين الكلاب ، وبدأ يئن كأنه سيموت . وفتح توم الباب ورمى بعيداً قطعة من اللحم أخذها من أمام جيم ، فاندفعت الكلاب إليها . ثم خرج توم نفسه ، وعاد مرة أخرى ، وأغلق الباب خلفه . وعرفت أنه ذهب وأغلق باب السقيفة أيضاً . ثم شرع توم في



اللَّعِبِ بِعَقْلِ نَات ، فَأَخَذَ يُوَاسِيهِ وَيُلَاطِفُهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ إِنْ كَانَ قَدْ  
تَخَيَّلَ رُؤْيَا شَيْءٍ مَرَّةً أُخْرَى ، فَوَقَفَ نَات وَنَظَرَ حَوْلَهُ بِقَلْقٍ وَقَالَ :  
« سَتَقُولُ عَنِّي إِنِّي أَحْمَقُ ، يَا سَيِّدُ سَيِّدُ ، وَلَكِنِّي إِنْ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ  
مَلِیُونَ كَلْبٍ أَوْ شَیْطَانٍ الْآنَ فَإِنِّي أَدْعُو اللَّهَ أَنْ یُمِیَّتَنِي هُنَا فِي  
مَكَانِي . لَقَدْ رَأَيْتَهَا .. أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ هَذَا ، يَا سَيِّدِي سَيِّدُ .. لَقَدْ  
شَعَرْتُ بِهَا .. تَحَسَّسْتُهَا .. لَقَدْ كَانَتْ كُلُّهَا قَوْفِي . أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّنِي  
وَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى إِحْدَى هَاتِيكَ السَّاحِرَاتِ ، مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطُّ .  
هَذَا هُوَ كُلُّ مَا أَطْلُبُهُ ، وَلَكِنِّي أَتَمَنَّى مُخْلِصًا أَنْ يَتْرَكُونِي وَشَأْنِي . »

سَأَلَهُ توم : « مَا الَّذِي جَعَلَهُنَّ يَأْتِينَ إِلَى هُنَا أَثْنَاءَ تَنَاوُلِ جِیمِ  
لِطَعَامِهِ ؟ لَا بُدَّ أَنَّهُنَّ جَائِعَاتٌ . اصْنَعْ لَهُنَّ فَطِيرَةً سِحْرِيَّةً ، فَهَذَا مَا  
يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَهُ . »

قَالَ نَات : « وَلَكِنْ ، يَا سَيِّدِي سَيِّدُ ، كَيْفَ اصْنَعُ لَهُنَّ هَذِهِ  
الْفَطِيرَةَ السِّحْرِيَّةَ ؟ أَنَا لَا أَعْرِفُ طَرِيقَةَ صَنْعِهَا ، وَلَمْ أَسْمَعْ عَنْ  
فَطِيرَةٍ سِحْرِيَّةٍ مِنْ قَبْلُ . »

قَالَ توم : « حَسَنًا إِذَا ، سَأَصْنَعُهَا لَكَ بِنَفْسِي . »

قَالَ نَات : « هَلْ سَتَصْنَعُهَا ، يَا عَزِيزِي ؟ هَلْ سَتَصْنَعُهَا ؟ إِنَّنِي  
سَأَقْبُلُ الْأَرْضَ الَّتِي تَسِيرُ عَلَيْهَا قَدَمَاكَ . »

قَالَ توم : « حَسَنًا ، حَسَنًا ، سَأَصْنَعُهَا مِنْ أَجْلِكَ لِأَنَّكَ رَجُلٌ  
طَيِّبٌ ، وَلَكِنْ احْذَرْ ! عِنْدَمَا نَأْتِي أَدِرْ لَنَا ظَهْرَكَ ، وَتَظَاهَرْ بِأَنَّكَ لَا  
تَرَى أَيَّ شَيْءٍ نَضَعُهُ فِي الطَّبَقِ . وَلَا تَنْظُرْ حِينَ يُفْرِغُ جِیمِ الطَّبَقِ ؛  
فَقَدْ يَحْدُثُ لَكَ شَيْءٌ . أَنَا لَا أَعْرِفُ مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ  
لَكَ . ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُمَسِكَ بِالْأَشْيَاءِ السِّحْرِيَّةِ . »

قَالَ نَات : « أَمْسِكُهَا ، يَا سَيِّدِي ؟ عَمَّ تَتَحَدَّثُ ؟ لَنْ أَضَعُ  
أَصْبَعًا فَوْقَهَا وَلَوْ فِي مُقَابِلِ مَلِیُونَ دُولَارٍ . لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا . »



وَقَالَتْ : « لَقَدْ فَتَشْتُ هُنَا وَهُنَاكَ فَلَمْ أَعَثِّرْ عَلَى قَمِيصِكَ الثَّانِي . »  
 قَالَ الْعَمُّ سَائِلَاسَ : « هَذَا أَمْرٌ غَرِيبٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَهُ ! أَنَا  
 وَاتِّقْ تَمَامًا بِأَنِّي خَلَعْتُهُ . »

قَالَتْ : « أَعْرِفُ أَنَّكَ خَلَعْتَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا عَلَى حَبْلِ  
 الْغَسِيلِ أَمْسَ . لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِنَفْسِي .. وَلَقَدْ اخْتَفَتْ مِلْعَقَةٌ أَيْضًا ..  
 كَانَ هُنَاكَ عَشْرُ مَلَاعِقَ ، أَمَّا الْآنَ فَلَا يَوْجَدُ سِوَى تِسْعَ . لِنَفْتَرِضْ  
 أَنَّ الْبَقْرَةَ أَكَلَتْ الْقَمِيصَ ، إِلَّا أَنَّهَا بِكُلِّ تَأْكِيدٍ لَا يُمْكِنُهَا أَخْذُ  
 الْمِلْعَقَةِ .. كَمَا أَنَّ هَذَا لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ . »

قَالَ الْعَمُّ سَائِلَاسَ : « مَاذَا ؟ هَلِ اخْتَفَى شَيْءٌ آخَرُ ؟ »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « سِتُّ شَمَعَاتٍ .. رُبَّمَا تَسْتَطِيعُ الْفِئْرَانُ أَنْ  
 اتْلَتَهُمَا الشَّمْعَ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ . وَإِنِّي لَا أَعْجَبُ إِذَا مَا  
 جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي تَسْتَوِلِي فِيهِ الْفِئْرَانُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَا دُمْتَ تَقُولُ  
 إِنَّكَ سَتَسُدُّ شُقُوقَهَا وَلَكِنَّكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا . غَيْرَ أَنَّنِي لَا أَتَّحِي  
 بِالْإِثْمَةِ عَلَى الْفِئْرَانِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمِلْعَقَةِ . »

قَالَ الْعَمُّ سَائِلَاسَ : « سَالِي ، لَنْ يَمُرَّ الْغَدُ دُونَ أَنْ أُسَدَّ نِلْكَ  
 الشُّقُوقَ . »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « أَنَا لَسْتُ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِي ، لَيْتَكَ

## الفصل الثامن عشر تِسْعُ مَلَاعِقَ أَمْ عَشْرُ ؟ وَفْطِيرَةُ سَلَمِ الْحَبَالِ

تَمَّ تَرْتِيبُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبْنَا إِلَى كَوْمَةِ الْقُمَامَةِ  
 الْمَوْجُودَةِ فِي الْفِنَاءِ الْخَلْفِيِّ ، حَيْثُ عَثَرْنَا عَلَى قِدْرٍ قَدِيمَةٍ مَصْنُوعَةٍ  
 مِنَ الصُّفْيَحِ ، تَصْلُحُ لِأَنْ نَخْزِزَ فِيهَا الْفْطِيرَةَ ، فَأَخَذْنَاهَا إِلَى الْقُبُوِ ،  
 وَمَلَأْنَاهَا بِالْدَّقِيقِ . وَوَجَدْنَا مِسْمَارَيْنِ كَبِيرَيْنِ ، قَالَ عَنْهُمَا تَوْمَ إِنَّهُمَا  
 مُنَاسِبَانِ لِلْسَّجِينِ كَيْ يَحْفَرَ بِهِمَا اسْمُهُ وَأَحْزَانُهُ عَلَى جَذْرَانِ السَّجْنِ .  
 وَقَدْ وَضَعْنَا أَحَدَهُمَا فِي جَيْبِ مِقْزَرِ الْخَالَةِ سَالِي ، الَّذِي كَانَ مُعْلَقًا  
 عَلَى أَحَدِ الْكُرَاسِيِّ ، وَرَبَطْنَا الْآخَرَ فِي شَرِيطِ قُبْعَةِ الْعَمِّ سَائِلَاسَ ،  
 الَّتِي كَانَتْ مَوْضُوعَةً عَلَى الْمَكْتَبِ ؛ لِأَنَّا سَمِعْنَا الْأَطْفَالَ يَقُولُونَ إِنَّ  
 وَالِدَيْهِمَا ذَاهِبَانِ إِلَى كُوخِ جِيمِ هَذَا الصَّبَاحِ ، ثُمَّ ذَهَبْنَا لِنَتَنَاوَلَ  
 طَعَامَ الْإِفْطَارِ . وَهُنَاكَ أَسْقَطَ تَوْمَ الْمِلْعَقَةَ فِي جَيْبِ مِعْطَفِ الْعَمِّ  
 سَائِلَاسَ . وَلَمْ تَكُنِ الْخَالَةُ سَالِي قَدْ وَصَلَتْ بَعْدَ ، وَلِذَلِكَ كَانَ  
 عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ قَلِيلًا . وَعِنْدَمَا جَاءَتْ كَانَتْ نَائِرَةً غَضْبَى سَيِّئَةِ الْمِزَاجِ ،

تُسَدُّهَا الْعَامَ الْقَادِمَ ! »

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ دَخَلَتِ الْخَادِمَةُ لِيْزَا وَقَالَتْ : « سَيِّدَتِي ، لَقَدْ اخْتَفَتُ إِحْدَى مُلَاءَاتِ السَّرِيرِ . »

صَاحَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « يَا إِلَهِي ! اخْتَفَتَ مُلَاءَةٌ سَرِيرٍ ! »

قَالَ الْعَمُّ سَايْلَاسُ وَهُوَ يَبْدُو آسِيفًا : « سَأَسُدُّ تِلْكَ الشُّقُوقَ الْيَوْمَ . »

صَاحَتُ فِيهِ الْخَالَةُ سَالِي قَائِلَةً : « صَهْ ! أَمْ تَظُنُّ أَنَّ الْفِرَّانَ اخْتَذَتِ الْمُلَاءَةَ ؟ أَيْنَ اخْتَفَتَ ، يَا لِيْزَا ؟ »

أَجَابَتْ لِيْزَا : « لَا أَعْرِفُ . لَقَدْ كَانَتْ عَلَى حَبْلِ الْغَسِيلِ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ هُنَاكَ الْآنَ . »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « أَعْتَقِدُ أَنَّ الْقِيَامَةَ أَقْتَرَبَتْ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا أَوْشَكَتْ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَا لَمْ أَرْ مِثْلَ هَذَا فِي حَيَاتِي . قَمِيصٌ ، وَمُلَاءَةٌ ، وَمِلْعَقَةٌ ، وَسِتٌّ سَمِعَ... »

وَقَاطَعَتْهَا خَادِمَةٌ صَغِيرَةٌ ، كَانَتْ قَدْ دَخَلَتْ لِتَوَّهَا ، يَقُولُهَا : « سَيِّدَتِي ، لَقَدْ اخْتَفَى شَمْعِدَانُ نَحَاسِي . »

صَرَخَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « أَغْرَبِي عَنْ وَجْهِي وَلَا جَلْدَتِكَ . »

اشْتَدَّ غَضَبُ الْخَالَةِ سَالِي حَتَّى بَلَغَتْ دَرَجَةَ الْهِيَاجِ ، وَفِي تِلْكَ

اللَّحْظَةِ أَخْرَجَ الْعَمُّ سَايْلَاسُ الْمِلْعَقَةَ مِنْ جَيْبِهِ وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ ، وَقَدْ ارْتَسَمَتِ الْبَلَاهَةُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « تَمَامًا كَمَا تَوَقَّعْتُ ، إِذَا فَهِيَ فِي جَيْبِكَ طِيلَةُ الْوَقْتِ ، وَرُبَّمَا تَكُونُ الْأَشْيَاءُ الْأُخْرَى مَعَكَ أَيْضًا . كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَيْكَ ؟ »

قَالَ الْعَمُّ سَايْلَاسُ مُعْتَذِرًا : « فِي الْحَقِيقَةِ لَا أَعْرِفُ ، يَا سَالِي ! »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « بِإِلَّهِ أَخْرِجُوا جَمِيعًا مِنْ هُنَا ، وَلَا تَعُودُوا قَبْلَ أَنْ أَسْتَعِيدَ هُدُوءَ أَعْصَابِي . »

فَمِنَّا لِنُخْرَجَ ، وَائْتِئَاءَ مَرُورِنَا بِحُجْرَةِ الْجُلُوسِ خَلَعَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ قُبْعَتَهُ ، فَسَقَطَ الْمِسْمَارُ مِنْهَا عَلَى الْأَرْضِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا سِوَى أَنْ التَّقَطَّهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمِنْضَدَةِ .

قَالَ تَوْم : « لَا فَائِدَةَ مِنْ إِرْسَالِ أَشْيَاءَ عَنْ طَرِيقِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَهُوَ شَخْصٌ لَا يُمَكِّنُ الْاعْتِمَادَ عَلَيْهِ . »

تَضَاقَبَ تَوْمَ كَثِيرًا بِخُصُوصِ الْمِلْعَقَةِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ إِنَّا يَجِبُ أَنْ نَحْصُلَ عَلَيْهَا . وَأَخَذَ يُفَكِّرُ قَلِيلًا ، وَعِنْدَمَا تَوَصَّلَ إِلَى خُطَّةِ أَخْبَرَنِي بِمَا سَنَفَعَلُهُ ، ثُمَّ دَهَبْنَا إِلَى الْمَطْبَخِ وَانْتَظَرُ هُوَ بِجِوَارِ سَلَةِ الْمَلَاعِقِ حَتَّى رَأَيْنَا الْخَالَةَ سَالِي قَادِمَةً ، وَهَنَا بَدَأَ تَوْمَ يَعُدُّ الْمَلَاعِقَ وَيَضَعُهَا جَانِبًا . وَأَخَذْتُ أَنَا وَاحِدَةً مِنْهَا وَدَسَسْتُهَا فِي جَيْبِي خُلْسَةً ، وَقَالَ تَوْم :



« خالتي سالي ، لا يوجد سوى تسع ملاعق فقط . »

قالت الخالة سالي : « اذهب والعَبْ بعيداً ، ولا تضايقني . أنا أعرف عددها جيداً . لقد عددتها بنفسِي . »

قال توم : « لقد عددتها مرتين ، يا خالتي ، ولا توجد سوى تسع ملاعق . »

بدأ أن الخالة سالي قد فرغ صبرها ، ولكنها جاءت بالطبع لتعدّ الملاعق ، ثم قالت : « يا إلهي الرحيم ! هنا تسع فقط . ما هذا ؟ ما الذي يحدث في العالم ؟ اللعنة على كل شيء ! سأعدها مرة أخرى . »

وعندئذ أعدت الملعقة التي كانت في جيبِي خلسة ، وحين فرغت الخالة سالي من العدّ قالت : « اللعنة على الشيطان ! هنا عشر الآن . » وبدت مهتاجة ومتضايقة .

قال توم : « لا أعتقد ، يا خالتي ، أنها عشر ملاعق . »

قالت : « أيها الأحمق ! ألم ترني وأنا أعدها ؟ »

قال توم : « أعرف ، ولكن ... »

قاطعت قائلة : « حسناً ، سأعدها مرة أخرى . »

وهنا اختلست ملعقة ، فكان العدد تسعة مثل المرة السابقة ، فاهتاجت الخالة سالي ، وأخذ جسمها يرتعد ، وصارت كالمجنونة ، ولكنها عدتها مرة ومرة ، واختلط عليها الأمر حتى إنها في بعض الأحيان كانت تعدّ السلة على أنها ملعقة . وهكذا كان العدد عشرة ثلاث مرات ، وتسعة في ثلاث آخر ، فألقت بالسلة عبر العُرقَة ، ورَفَسَتِ القِطَّة فأطارتها في الهواء ، وأمرتنا بالخروج ، وأن ندعها وحدها حتى تهدأ أعصابها ، وقالت إننا لو عدنا لمضايقتها مرة أخرى ، من الآن وحتى موعد العشاء ، فإنها ستسلخ جلودنا . وهكذا أخذنا الملعقة ، وأسقطناها في جيب مئزرها وهي تلقي لنا بأوامرها التي تطردنا بها . ثم اطمأن توم على وضع المسمار في رباط مئزرها قبل حلول الظهر .

وأعدنا الملاءة مرة أخرى إلى جبل الغسيل ، وسرقنا غيرها من دولابها . وظللنا نعيدها مكانها ونسرقها مرة أخرى أياماً عدة ، حتى باتت لا تعرف عدد الملاءات التي لديها ، وقالت إنها ما عادت تهتم بشأنها ، ولا بعددها ، ولكن تفلق نفسها بخصوصها بعد الآن ، ولكن تحصىها مرة أخرى .

وهكذا استتب الأمر لنا بالنسبة للقميص والملاءة والملعقة والشموع بمساعدة البقرة والفئران واضطراب العدد . أما فيما



يَتَعَلَّقُ بِالشُّمْعِدَانِ ، فَلَمْ يَكُنْ مُهَمًّا ، وَسَيِّئَ أَمْرُهُ مَعَ مَرُورِ الْأَيَّامِ .  
 وَلَكِنْ عَمَلَ هَذِهِ الْفَطِيرَةِ كَانَ ضَخْمًا وَشَاقًّا . إِلَّا أَنَّا رَغِمَ هَذَا  
 صَنَعْنَاهَا فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ . وَقَدْ اسْتَعْرَقَ صَنْعُهَا مِنَّا أَيَّامًا ، وَكَانَ  
 عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعْدِمَ ثَلَاثَةَ أَوَانٍ مَمْلُوءَةً بِالْذَّقِيقِ قَبْلَ أَنْ نَنْتَهِيَ مِنْهَا ،  
 وَقَدْ سَبَبَتْ لَنَا حُرُوقًا فِي أَجْسَامِنَا ، وَحُرُوقًا فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى ،  
 وَكَدْنَا نَصَابُ بِالْعَمَى مِنْ تَأْثِيرِ الدُّخَانِ ؛ لِأَنَّا ، كَمَا لَا بُدَّ وَأَنْ  
 تُدْرِكَ ، كُنَّا نُرِيدُ الْقِشْرَةَ الْخَارِجِيَّةَ فَقَطْ . وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنَا  
 أَنْ نَجْعَلَ هَذِهِ الْقِشْرَةَ مَتَمَاسِكَةً ، فَكَانَتْ تَغُوصُ مِنَّا دَائِمًا . ثُمَّ  
 اهْتَدَيْنَا - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - إِلَى الطَّرِيقَةِ الصَّحِيحَةِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ ،  
 وَهِيَ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَخْزِرَ الْفَطِيرَةَ وَنُسَلِّمَ الْجِبَالَ بِدَاخِلِهَا . وَمِنْ ثَمَّ قُمْنَا  
 بِزِيَارَةِ جِيمٍ فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ ، وَمَزَقْنَا الْمَلَاءَةَ إِلَى شَرَائِطٍ صَغِيرَةٍ  
 ضِفَرْنَاهَا مَعًا ، وَلَمْ يَطْلُعْ عَلَيْنَا النَّهَارُ إِلَّا وَكَانَ لَدَيْنَا حَبْلٌ جَمِيلٌ  
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تَشْنُقَ بِهِ رَجُلًا . وَقَدْ ادَّعَيْنَا لِأَنفُسِنَا أَنَّا صَنَعْنَاهُ فِي تِسْعَةِ  
 شُهورٍ !

وَفِي الصَّبَاحِ أَخَذْنَاهُ إِلَى الْغَابَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْفَطِيرَةِ ،  
 فَقَدْ كَانَ طَوِيلًا ؛ لِأَنَّا صَنَعْنَاهُ مِنْ مَلَاءَةٍ سَرِيرٍ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى  
 أَرْبَعِينَ فَطِيرَةً لِتَحْوِيهِ ، ثُمَّ يَبْقَى مِنْهُ جُزْءٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَضَعَهُ فِي  
 الْحَسَاءِ أَوْ فِي أَيِّ طَعَامٍ آخَرَ قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِكَ .



وَقَدْ أَخَذْنَا مِنْهُ مَا يَكْفِي الْفَطِيرَةَ فَقَطُّ ، ثُمَّ طَرَحْنَا الْبَاقِي . وَكَانَ لَدَى الْعَمِّ سَابِلَاسٌ مِدْقَاةٌ ضَخْمَةٌ لِفِرَاشِهِ ، مَصْنُوعَةٌ مِنَ النُّحَاسِ الْأَصْفَرِ ، وَقَدْ كَانَ يَعْتَزُّ بِهَا كَثِيرًا . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمِدْقَاةُ مَوْجُودَةً فِي الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ وَسَطَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى الْقَدِيمَةِ الْقِيَمَةِ ، فَأَخَذْنَاهَا ، وَمَلَأْنَاهَا بِعَجِينَةِ الْفَطِيرَةِ ، وَوَضَعْنَاهَا عَلَى النَّارِ ، وَحَشَوْنَاهَا بِالْحَبْلِ وَأَعْلَقْنَا الْفِطَاءَ وَوَضَعْنَا رَمَادًا سَاحِتًا أَعْلَاهَا ، وَوَقَفْنَا عَلَى مَبْعَدَةٍ مِثْرَيْنِ ، وَقَدْ أَمْسَكْنَا بِمِقْبَضِهَا الطَّوِيلِ ، وَكَانَ بَارِدًا وَمُرِيحًا . وَبَعْدَ خَمْسِ عَشْرَةِ دَقِيقَةٍ انْتَجَتْ لَنَا الْمِدْقَاةُ فَطِيرَةً جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ ، شَهِيَّةِ الطَّعْمِ .

وَعِنْدَمَا وَضَعْنَا الْفَطِيرَةَ السَّحْرِيَّةَ فِي صَحْنِ جِيمِ ، لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا نَاتٌ . وَقَدْ وَضَعْنَا أَيْضًا ثَلَاثَةَ أَطْبَاقٍ مِنَ الصَّفِيحِ فِي قَاعِ الصَّحْنِ تَحْتَ الطَّعَامِ . وَهَكَذَا وَصَلَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى جِيمِ حَسْبَمَا خَطَّطْنَا لَهُ . وَقَامَ جِيمٌ حِينَ اخْتَلَى بِنَفْسِهِ بِقِطْعِ الْفَطِيرَةِ وَإِخْرَاجِ سُلَمِ الْحِبَالِ ، ثُمَّ خَبَأَهُ دَاخِلَ حَشِيَّةِ الْقَشِّ . وَصَنَعَ بَعْضَ الْخُدُوشِ عَلَى أَحَدِ الْأَطْبَاقِ ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنَ النَّافِذَةِ .

## الفصل التاسع عشر

### عَمَلُ عَسِيرٍ لِلْغَايَةِ ، وَحَيَوَانَاتٌ مُدَلَّلَةٌ مِنْ أَجْلِ السَّجِينِ

كَانَ صَنَعُ رِيَشِ الْكِتَابَةِ ، وَكَذَلِكَ صَنَعُ الْمِنْشَارِ عَسِيرًا . وَكَانَ جِيمٌ يَعْتَقِدُ أَنَّ حَفَرَ الْمَذْكُرَاتِ عَلَى الْجُدْرَانِ لَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْأَعْمَالِ عُسْرًا . فَأَخْبَرَهُ تَوْمَ أَنْ كِتَابَةَ هَذِهِ الْمَذْكُرَاتِ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَكَلَّمَ سَجِينَ يُخَلِّفُ وَرَاءَهُ مَذْكُرَاتٍ . وَقَدْ كَتَبَ تَوْمَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَذْكُرَاتِ عَلَى فَرْخِ وَرَقٍ ، وَأَخَذَ يَقْرُوهَا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :

١- هُنَا قَبَعَ سَجِينٌ قَدْ انْفَطَرَ قَلْبُهُ حُزْنًا لِأَنَّ الْعَالَمَ نَسِيَهُ وَتَنَكَّرَ لَهُ أَصْدِقَاؤُهُ .

٢- هُنَا قَلْبٌ مُحْطَمٌ أَصَابَهُ الْمَرَضُ ، بَعْدَ أَنْ قَضَى فِي السَّجْنِ سَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ عَامًا .

٣- هُنَا قَضَى سَجِينٌ نَحْبَهُ غَرِيبًا شَرِيدًا ، لَا أَصْدِقَاءَ لَهُ ، يَجْرِي فِي عُرْوَةِ الدَّمِ الْمَلَكِيِّ ، بَعْدَ سَبْعَةِ وَثَلَاثِينَ عَامًا مِنَ الْمَعَانَةِ وَالْأَلَمِ .

كَانَ تَوْمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْمَذْكُرَاتِ بِصَوْتٍ مُرْتَعِشٍ يَكَادُ يَكُونُ هَمْسًا  
وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنَ الْقِرَاءَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ بَيْنِهَا مَا يَصْلَحُ  
لِكَيْ يَحْفَرَهُ جِيمٌ عَلَى الْجِدَارِ ؛ فَقَدْ كَانَتْ كُلُّهَا جَيِّدَةً ، فَقَرَّرَ فِي  
النِّهَايَةِ أَنْ يَدَعَ جِيمَ يَكْتُبُهَا كُلُّهَا ، فَقَالَ جِيمُ إِنَّ حَفَرَ هَذَا  
الْأَشْيَاءَ بِمِسمَارٍ عَلَى الْجُدُوعِ الْمَصْنُوعَةِ مِنْهَا جُذُرَانِ الْكُوخِ  
سَيَسْتَعْرِقُ مِنْهُ عَامًا كَامِلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ . فَقَالَ تَوْمُ إِنَّهُ  
سَيَرَسُمُهَا لَهُ بِالْقَلَمِ الرِّصَاصِ عَلَى الْجَذَعِ ، وَكُلُّ مَا عَلَيْهِ هُوَ أَنْ  
يَتَّبَعَ السُّطُورَ الْمَرْسُومَةَ فَقَطْ . وَقَالَ تَوْمُ : « سَاعِدُ التَّفَكُّيرِ فِي هَذَا  
الْأَمْرِ ، فَالْجُدُوعُ لَا تَصْلَحُ ، فَلَيْسَ فِي السُّجُونِ جُذُرَانِ مَصْنُوعَةٍ مِنْ  
جُدُوعِ الْأَشْجَارِ . يَجِبُ أَنْ تَحْفَرَ الْمَذْكُرَاتِ عَلَى صَخْرَةٍ . سَنَحْضِرُ  
صَخْرَةً . »

قَالَ جِيمُ : « إِنَّ الصَّخْرَةَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْجَذَعِ ، وَإِنْ حَفَرَ هَذِهِ  
الْمَذْكُرَاتِ عَلَيْهَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَقْضِي عُمُرَهُ كُلَّهُ فِي السُّجُونِ . »

وَلَكِنْ تَوْمُ قَالَ لَهُ إِنَّهُ سَيَجْعَلُنِي أَسَاعِدَهُ فِي الْكِتَابَةِ . وَنَظَرَ إِلَيْنَا  
تَوْمُ وَنَحْنُ نَصْنَعُ رِيشَ الْكِتَابَةِ . كَانَتْ الطَّرِيقَةُ الَّتِي نَسْتَخْدِمُهَا فِي  
ذَلِكَ بَطِيشَةً وَمُتَعَبَةً ، وَلَمْ تَتْرَكْ لِيَدَيَّ فُرْصَةً كَيْ تَشْفَى مِنَ الْفُرُوحِ  
الَّتِي أَصَابَتْهَا . وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّنَا لَا نَتَقَدَّمُ خُطْوَةً فِي هَذَا  
الْعَمَلِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَوْمُ : « أَنَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَصْنَعُهَا . نَسْتَطِيعُ أَنْ

لِصِفَادٍ عَصْفُورَيْنِ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ . هُنَاكَ مِسْنُ حَجَرِي عِنْدَ الْمَنْجَرِ .  
سَنَسْرِقُهُ وَنَحْفَرُ عَلَيْهِ الْمَذْكُرَاتِ ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ نَسْنُ عَلَيْهِ رِيشَ  
الْكِتَابَةِ وَالْمِنْشَارِ . »

قُمْنَا بِإِحْضَارِ الْمِسْنِ الْحَجَرِيِّ ، وَشَرَعْنَا فِي دَحْرَجَتِهِ إِلَى الْبَيْتِ .  
وَلَكِنَّهُ كَانَ عَمَلًا شَاقًّا عَلَيْنَا ، بَلْ إِنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَرَعْمَ مَا  
كُنَّا نَبْدُلُ مِنْ جَهْدٍ ، لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَمْنَعَهُ مِنَ السَّقُوطِ . وَكَانَ فِي  
كُلِّ مَرَّةٍ يَسْقُطُ فِيهَا يَوْشِكُ أَنْ يَسْحَقَنَا تَحْتَهُ . وَغَايَةُ مَا اسْتَطَعْنَا مَعَهُ  
هُوَ أَنَّنَا حَرَكْنَاهُ نَحْوَ مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ ، وَهَذَا بَلَغَ مِنَّا التَّعَبُ مُنْتَهَاهُ ،  
وَعَرَفْنَا فِي عَرَقْنَا ، وَرَأَيْنَا أَنْ لَا فَايِدَةَ مِنْ عَمَلِنَا ، وَأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نُحْضِرَ  
جِيمَ كَيْ يُسَاعِدَنَا . فَذَهَبْنَا إِلَيْهِ فَقَامَ عَلَى الْقَوْرِ بِرَفْعِ فِرَاشِهِ وَأَسْقَطَ  
السَّلْسِلَةَ الَّتِي كَانَ مُقَيِّدًا بِهَا مِنْ قَائِمَةِ الْفِرَاشِ وَلَقَّهَا حَوْلَ عُنُقِهِ  
فِي طَلَيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَزَحَفَ مَعَنَا إِلَى الْخَارِجِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى حَيْثُ  
الْمِسْنُ الْحَجَرِيِّ ، فَأَمْسَكْتُ أَنَا وَجِيمُ بِهِ وَدَحْرَجْنَاهُ بِكُلِّ سَهُولَةٍ ،  
عَلَى حِينٍ اكْتَفَى جِيمُ بِالتَّوْجِيهِ وَالْإِدَارَةِ ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ  
الْعَمَلُ الَّذِي يَتَّقَنَهُ ، بَلْ إِنِّي لَمْ أَرِ مِنَ الْأَوْلَادِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي  
هَذَا الْعَمَلِ .

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى الْحُفْرَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْكُوخِ وَجَدْنَا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ  
كَبِيرَةً بِحَيْثُ تَسَعُ الْمِسْنُ الْحَجَرِيَّ لِيَنْقُدَ مِنْ خِلَالِهَا ، فَقَامَ جِيمُ



يَتَوَسَّعُهَا بِالْمَعُولِ فَمَرَّ الْمِسْنُ مِنْ خِلَالِهَا بِكُلِّ سَهْوَةٍ . ثُمَّ قَامَ توم  
بِرَسْمِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْمِسْنِ مُسْتَعْدِمًا فِي ذَلِكَ مِسْمَارًا ، وَطَلَبَ  
مِنْ جيم أَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلَ فِي حَقْرِهَا بِاسْتِعْمَالِ الْمِسْمَارِ وَقِطْعَةٍ مِنْ  
الْحَدِيدِ فِي الطَّرْقِ ، وَأَنْ يَظْلَلَ يَعْمَلُ وَيَعْمَلُ حَتَّى تَدُوبَ الشَّمْعَةُ  
فَيَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ وَيُخْفِي الْمِسْنَ تَحْتَ حَشِيَّةِ الْقَشِّ ، وَيَنَامُ عَلَيْهِ . ثُمَّ  
سَاعَدْنَا جيم فِي تَثْبِيتِ السَّلْسِلَةِ بِقَائِمَةِ الْفِرَاشِ . وَتَاهَبْنَا نَحْنُ لِنَأْوِي  
إِلَى فِرَاشِنَا ، إِلَّا أَنْ فِكْرَةَ خَطَرَتْ لِنُومِ فَقَالَ : « هَلْ لَدَيْكَ عَنَاكِبُ  
هُنَا ، يَا جيم ؟ »

قَالَ جيم : « لَا ، وَأُحْمَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ، يَا سَيِّدُ توم . »

قَالَ توم : « سَنُحْضِرُ لَكَ بَعْضَ الْعَنَاكِبِ . »

قَالَ جيم : « وَلَكِنِّي ، يَا عَزِيزِي ، لَا أُرِيدُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ  
الْعَنَاكِبِ ، فَأَنَا أَخَافُ مِنْهَا ، وَأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَ حَوْلِي حَيَاتٍ وَلَا  
أَرَى هَذِهِ الْعَنَاكِبَ . »

اسْتَعْرِقَ توم فِي التَّفَكِيرِ لِحَفْظَةٍ ، وَأَخِيرًا صَاحَ : « إِنَّهَا فِكْرَةٌ  
جَيِّدَةٌ ، يَا جيم . أَلَيْنَ كُنْتُ تُخْفِيهَا ؟ »

قَالَ جيم : « أَخْفِي مَاذَا ، يَا سَيِّدُ توم ؟ »

قَالَ توم : « فِكْرَةُ الْحَيَاتِ . »

قَالَ جيم : « يَا إِلَهِي الرَّحِيمَ ! مَاذَا تَقُولُ ، يَا سَيِّدُ توم ؟ لَوْ  
دَخَلَتْ حَيَّةٌ هُنَا ، فَسَأَنْطَلِقُ خَارِجًا بِرَأْسِي مِنْ خِلَالِ هَذَا الْجِدْعِ . »

قَالَ توم : « لَا يُمْكِنُ أَنْ تَخَافَ مِنْهَا بِهَذَا الشَّكْلِ ، يَا جيم .  
كَمَا أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُوضَهَا بِقَلِيلٍ مِنَ الْوَقْتِ . »

صَاحَ جيم : « أَرُوضُهَا ! »

قَالَ توم : « نَعَمْ وَبِكُلِّ سَهْوَةٍ ، فَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ تُحِبُّ الرِّقَقَ  
وَالْتَدَلِيلَ ، وَلَا تُفَكِّرُ فِي إِيْذَاءٍ مِنْ بِلَاطِفِهَا . تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ ذَلِكَ  
مُدُونًا فِي الْكُتُبِ . لَنْ يَمُرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى تَجْعَلَ الثُّعْبَانَ يَحِبُّكَ ،  
وَيَنَامَ مَعَكَ فِي فِرَاشِكَ ، وَيَتْرَكَكَ تَلْفُهُ حَوْلَ عُنُقِكَ وَتَضَعُ رَأْسَهُ فِي  
قَمْلِكَ . »

قَالَ جيم : « أَرْجُوكَ ، يَا سَيِّدُ توم ، أَلَا تَتَفَوَّهَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ ،  
فَأَنَا لَا طَاقَةَ لِي عَلَى احْتِمَالِهِ . هَلْ سَيَتْرَكُنِي الثُّعْبَانُ أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي  
قَمِي ؟ ! أَعَرَفَانَا مِنْهُ بِالْجَمِيلِ ؟ وَهَلْ سَيَنْتَظِرُ طَوِيلًا جَدًّا ، يَا سَيِّدُ  
توم ، قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَهُ مِثْلَ هَذَا الصَّنِيعِ ؟ ! كَمَا أَنَّي لَا أُرِيدُهُ أَنْ يَنَامَ  
فِي فِرَاشِي . »

قَالَ توم : « حَسَنًا ، إِنْسَ هَذَا الْأَمْرَ إِذَا كُنْتُ لَا تُوَافِقُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ  
الصُّورَةِ . تَسْتَطِيعُ أَنْ نُحْضِرَ لَكَ بَعْضَ الثُّعَابِينَ غَيْرَ الضَّارَّةِ مِنْ تِلْكَ

الَّتِي تَعِيشُ فِي الْحَقُولِ . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرْبُطَ بَعْضَ الْأَزْوَارِ فِي ذَيْلِهَا  
وَتَدْعِي لِنَفْسِكَ أَنَّهَا مِنَ الْحَيَاتِ الْمَصْلُصَةِ . اْعْتَقِدْ أَنَّ هَذَا  
مُنَاسِبٌ .

قَالَ جِيم : « حَسَنًا ، يَا سَيِّدُ توم ، سَأَحْمِلُ هَذِهِ الثَّعَالَيْنِ ،  
وَلَكِنِّي اْعْتَقِدُ أَنَّي سَأَكُونُ أَحْسَنَ حَالًا بِدُونِهَا . لَمْ يَدْرُ بِخَلْدِي أَنَّ  
يَلَاقِي السَّجِينُ كُلَّ هَذِهِ الْمَضَامِقَاتِ . »

قَالَ توم : « إِنَّهُ يَلَاقِي أَشَدَّ مِنْ هَذَا ، عِنْدَمَا يَتِمُّ الْأَمْرُ بِشَكْلٍ  
صَحِيحٍ . هَلْ لَدَيْكَ هُنَا آيَةٌ فِئْرَانٍ ؟ »

قَالَ جِيم : « لَا ، يَا سَيِّدِي ، لَمْ أَرْ فِئْرَانًا هُنَا . »

قَالَ توم : « حَسَنًا سَنُحْضِرُ لَكَ بَعْضًا مِنْهَا . »

قَالَ جِيم : « لِمَاذَا ، يَا سَيِّدُ توم ؟ أَنَا لَا أُرِيدُ فِئْرَانًا ، إِنَّهَا أَسْوَأُ  
الْكائنَاتِ الَّتِي تُسَبِّبُ إِزْعَاجًا لِلْإِنْسَانِ . »

قَالَ توم : « وَلَكِنْ ، يَا جِيم ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ فِئْرَانٌ ،  
فَالسَّجَنَاءُ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ فِئْرَانٍ مَعَهُمْ ؛ لِيَقُومُوا بِتَدْرِيبِهَا وَتَدْلِيلِهَا ،  
وَتَعْلِيمِهَا الْقِيَامَ بِبَعْضِ الْحِيلِ ؛ فَتُصْبِحَ لَهُمُ الْفِئْرَانُ أَصْدِقَاءَ ، مِثْلُهَا  
مِثْلُ الدُّبَابِ . »

قَالَ جِيم : « سَأَفْعَلُ مَا تَقُولُهُ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَفْعَلَهُ . »

اِنْتَظَرَ توم قَلِيلًا ، وَرَاحَ يُفَكِّرُ فِيمَا إِذَا كَانَ قَدْ نَسِيَ شَيْئًا آخَرَ ، ثُمَّ  
قَالَ : « آه ، لَقَدْ نَسِيتُ . هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْرَعَ هُنَا زَهْرَةً ؟ »

قَالَ جِيم : « إِنَّ أَحَدَ تِلْكَ الْأَعْشَابِ الْكَبِيرَةِ الْمَوْجُودَةِ بِالْخَارِجِ  
قَدْ يَصْلُحُ لِأَنْ يَنْمُو هُنَا ، يَا سَيِّدُ توم . وَلَكِنَّهُ فِي رَأْيِي لَا يُسَاوِي  
نِصْفَ مَا سَيُذَلُّ مِنْ جَهْدٍ فِي زِرَاعَتِهِ . »

قَالَ توم : « أَنْتَ لَا تُؤْمِنُ بِذَلِكَ . عُمُومًا سَنُحْضِرُ لَكَ نَبْتَةً صَغِيرَةً  
وَعَلَيْكَ أَنْ تَغْرِسَهَا فِي هَذَا الرُّكْنِ ، وَتَرْعَاهَا . لَا تَدْعُوهَا عَشْبًا ، بَلْ  
أَطْلُقْ عَلَيْهَا اسْمَ « بَهْجَةِ السَّجِينِ » فَهَذَا هُوَ اسْمُهَا الصَّحِيحُ فِي  
السَّجْنِ ، وَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَرْوِيَهَا بِدُمُوعِكَ . »

قَالَ جِيم : « لِمَاذَا ؟ إِنَّ لَدَيَّ هُنَا كَثِيرًا مِنْ مِيَاهِ الْآبَارِ ، يَا سَيِّدُ  
توم . »

قَالَ توم : « أَنْتَ لَسْتَ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِيَاهِ الْآبَارِ ، إِذْ لَا بُدَّ لَكَ  
مِنْ أَنْ تَرْوِيَهَا بِدُمُوعِكَ ، فَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا  
السَّجَنَاءُ . »

قَالَ جِيم : « إِذَا سَتَمَوْتُ عَلَى يَدَيَّ . بِالتَّأَكِيدِ سَتَمَوْتُ لِأَنِّي لَا  
أُبْكِي إِلَّا نَادِرًا . »

بُهِتَ توم وَكَانَهُ قَدْ هَزِمَ . وَلَكِنَّهُ أَعَادَ التَّفَكِيرَ فِي الْأَمْرِ ، ثُمَّ قَالَ



إِنَّ عَلَى جِيمٍ أَنْ يَسْتَدِرَّ دُمُوعَهُ بِالْبَصَلِ ، وَوَعَدَ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى  
المَطْبَخِ فِي الصَّبَاحِ ، وَأَنْ يُسْقِطَ سِرًّا بَصَلَةً فِي بَرَادِ الْقَهْوَةِ الَّتِي  
سَيُرْسِلُونَهُ إِلَى جِيمٍ . فَقَالَ جِيمٌ إِنَّنَا لَوْ وَضَعْنَا تَبَعًا فِي قَهْوَتِهِ فَلَنْ  
يَكُونَ أَسْوَأَ مِنْ وَضْعِ الْبَصَلِ ، وَإِنَّهُ سَيَجِدُ فِي شَرْبِهَا مَشَقَّةً ، مِثْلَمَا  
سَيَجِدُ فِيمَا سَيَقُومُ بِهِ مِنْ جَهْدٍ وَمَا سَيَلَاقِيهِ مِنْ عَنَتٍ فِي زِرَاعَةِ هَذِهِ  
الْأَعْشَابِ ، وَفِي تَدْلِيلِ وَمُدَاعَبَةِ الْفِئْرَانِ وَالْثُعَابِينَ وَالْعَنَاكِبِ ، وَفَوْقَ  
كُلِّ هَذَا فِيمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ الْقِيَامُ بِهِ بِخُصُوصِ رِيَشِ الْكِتَابَةِ  
وَتَدْوِينِ الْمَذْكُورَاتِ . إِنَّ هَذَا يَزِيدُ مِنْ مَتَاعِيهِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ بِوَصْفِهِ سَجِينًا .  
وَذَلِكَ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا خَبِرَهُ فِي حَيَاتِهِ . وَعِنْدَئِذٍ نَفَدَ صَبْرُ تومٍ وَقَالَ  
إِنَّ أَمَامَ جِيمٍ قُرْصًا عَظِيمَةً ، أَعْظَمَ مِنْ أَيِّ سَجِينٍ آخَرَ فِي الْعَالَمِ ،  
قُرْصًا تَجْعَلُهُ مَشْهُورًا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْتَغْلِبُهَا .  
وَهَذِهِ الْقُرْصُ تَوْشِكُ أَنْ تَضِيْعَ مِنْهُ . وَهَنَا اعْتَدَرَ جِيمٌ قَائِلًا بِأَنَّهُ لَنْ  
يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى لِمِثْلِ هَذَا التَّصْرِفِ . وَعِنْدَئِذٍ اتَّخَذَتْ أَنَا وَتوم طَرِيقَنَا  
نَحْوَ الْفِرَاشِ .

## الفصل العشرون فِئْرَانٌ وَتُعَابِينُ وَرَسَائِلُ عُقْلٍ مِنَ التَّوْقِيعِ

فِي الصَّبَاحِ قُمْنَا بِشِرَاءِ مَصِيدَةٍ لِلْفِئْرَانِ مِنَ الْقَرْيَةِ ، وَفَتَحْنَا أَحَدَ  
شُقُوقِ الْفِئْرَانِ وَوَضَعْنَاهَا فِيهِ ، وَلَمْ تَمْضِ نِصْفُ سَاعَةٍ حَتَّى كَانَ  
لَدَيْنَا خَمْسَةٌ عَشَرَ قَارًا مِنْ أَضْحَمِ الْفِئْرَانِ . ثُمَّ قُمْنَا بِوَضْعِ الْمَصِيدَةِ  
تَحْتَ سُرِيرِ الْخَالَةِ سَالِي . وَهُنَاكَ عَثَرَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ توماس فرانكلين  
بِنِيَامِينَ جِيفرسون ألكسندر فِيلِيس ، وَفَتَحَ بِابِهَا لِيَرَى إِذَا مَا كَانَتْ  
الْفِئْرَانُ تَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْ مَصِيدَتِهَا أَوْ لَا ، وَلَمْ تُخَيِّبِ الْفِئْرَانُ  
ظَنَّهُ فَخَرَجَتْ . وَحِينَ عُدْنَا وَجَدْنَا الْخَالَةَ سَالِي وَاقِفَةً عَلَى السَّرِيرِ  
تَصْرُخُ رُعْبًا ، عَلَى حِينِ كَانَتْ الْفِئْرَانُ تَبْدُلُ أَقْصَى مَا فِي وَسْعِهَا  
لِتَسْلِيَتِهَا ، مِمَّا دَعَا الْخَالَةَ سَالِي إِلَى أَنْ تَضْرِبَنَا بِالْعَصَا . وَقَدْ قَضَيْنَا  
سَاعَتَيْنِ لِنَصْطَادَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَارًا أُخْرَى .

وَحَصَلْنَا عَلَى مَجْمُوعَةٍ رَاضِيَةٍ مِنْ مُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ الْعَنَاكِبِ  
وَالْحَشَرَاتِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْأُخْرَى . وَأَصْطَلَدْنَا حَوَالِي

العشرين من ثعابين الحُقُولِ وَثُعابينِ الْبَيْتِ ، وَتَرَكْنَاهَا فِي حَقِيصِهِ  
وَضَعْنَاهَا فِي عُرْفَتِنَا . وَحَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِيعَادُ الْعِشَاءِ ، وَلَمَّا  
كُنَّا قَدْ اسْتَعْلَنَّا فِي هَذَا الْيَوْمِ بِأَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ فَقَدْ كُنَّا فِي شِدَّةِ  
الْجُوعِ ، فَلَهَبْنَا لِلتَّكُلِ ، غَيْرَ أَنَّنَا عِنْدَمَا رَجَعْنَا بَعْدَ تَنَاوُلِ طَعَامِ  
الْعِشَاءِ لَمْ نَجِدْ فِي الْحَقِيصَةِ ثُعْبَانًا وَاحِدًا ؛ فَلَمْ يَكُنْ رِبَاطُنَا لِلْحَقِيصَةِ  
مُحْكَمًا ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَطَاعَتِ الثُّعَابِينَ أَنْ تَجِدَ لَهَا طَرِيقًا لِلخَارِجِ  
بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى . وَلَمْ نَهْتَمَّ بِالْأَمْرِ ، فَمَا دَامَتِ الثُّعَابِينَ مُخْتَفِيَةً  
فِي مَكَانٍ مَا بِالْمَنْزِلِ ، فَمِنْ ثَمَّ كَانَ فِي حُسْبَانِنَا أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ  
نَحْصَلَ عَلَى بَعْضِهَا مَرَّةً أُخْرَى ، إِلَّا أَنَّ الْأُمُورَ لَمْ تَجْرَ حَسَبِهَا  
قَدَرْنَا ؛ لَقَدْ انْتَشَرَتِ الثُّعَابِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِالْبَيْتِ زَمَنًا طَوِيلًا .  
وَكُنْتُ تَرَى الْبَعْضَ مِنْهَا يَتَسَاقَطُ مِنْ عَارِضَاتِ السَّقْفِ وَمِنْ أَمَاكِنِ  
أُخْرَى ، بَيْنَ الْفَيْتَةِ وَالْفَيْتَةِ . ثُمَّ إِنَّهَا بَوَّجَهُ عَامٌ كَانَتْ إِمَّا تَسْتَقِرُّ فِي  
الطَّبَقِ الَّذِي أَمَامَكَ تَتَنَاوَلُ مِنْهُ الطَّعَامَ وَإِمَّا تَرْحَفُ عَلَى ظَهْرِكَ مِنْ  
الْخَلْفِ ، فِي وَقْتٍ تَكُونُ فِيهِ غَيْرَ رَاغِبٍ فِيهَا أَوْ فِي رُؤُوسِهَا . كَانَتْ  
جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ ، مُرْقِشَةً الْجِلْدِ ، لَا تُسَبِّبُ أَدَى ، وَلَكِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ  
لِيُمَثِّلَ فَارَقًا جَوْهَرِيًّا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الثُّعَابِينَ الضَّارَّةِ فِي نَظَرِ الْخَالَةِ  
سَالِي ، فَالْثُّعَابِينَ بَوَّجَهُ عَامٌ تُمِيتُهَا رُغْبًا ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْتَمِلَهَا  
بِأَيِّ تَمَنٍّ . وَكَانَتْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَسْقُطُ عَلَيْهَا ثُعْبَانٌ تُلْقِي مَا فِي  
يَدِهَا مِنْ عَمَلٍ أَيًّا كَانَ ، وَتَصْرُخُ وَتُصِيبُهَا الرُّعْدَةُ ، وَلَمْ أَرْ فِي

حَيَاتِي امْرَأَةً مِثْلَهَا . كُنْتُ تَسْمَعُ صَرْخَتَهَا عَلَى بُعْدِ كِيلُومِتْرَاتٍ ،  
وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتَطَاعَتِكَ إِقْنَاعُهَا بِأَنْ تَلْتَقِطَ وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الثُّعَابِينَ  
عَلَى عَصَا . وَعِنْدَمَا كَانَتْ تَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِهَا وَتَجِدُ وَاحِدًا مِنْهَا رَاقِدًا  
فِي الْفِرَاشِ كَانَتْ تَقْفِرُ عَلَى قَدَمَيْهَا وَتُطْلِقُ صَرْخَةً مَدَوِيَّةً تَجْعَلُكَ  
عِنْدَ سَمَاعِهَا تَظُنُّ أَنَّ الْبَيْتَ قَدْ شَبَّتَ فِيهِ النَّيْرَانُ . وَرَغْمَ أَنَّهُ قَدْ  
انْقَضَى أَسْبُوعٌ عَلَى اخْتِفَاءِ آخِرِ ثُعْبَانٍ إِلَّا أَنَّ الْخَالَةَ سَالِي لَمْ تَكُنْ  
قَدْ تَغَلَّبَتْ عَلَى فَرَعِهَا بَعْدُ ، فَلَوْ أَنَّكَ جِئْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي  
أَفْكَارِهَا أَثْنَاءَ جُلُوسِهَا وَلَمَسْتَهَا عَلَى قَفَاها بِرِيْشَةِ طَائِرٍ فَإِنَّهَا سَتَقْفِرُ  
أَمْتَارًا لِأَعْلَى . كَانَ أَمْرُهَا غَرِيبًا ، وَلَكِنْ تَوَمَّ قَالَ لِي إِنَّ النِّسَاءَ  
جَمِيعَهُنَّ يُشَبِّهْنَ هَذِهِ الْمَرَأَةَ ، فَقَدْ خُلِقْنَ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ لِسَبَبٍ أَوْ  
لَاخَرٍ .

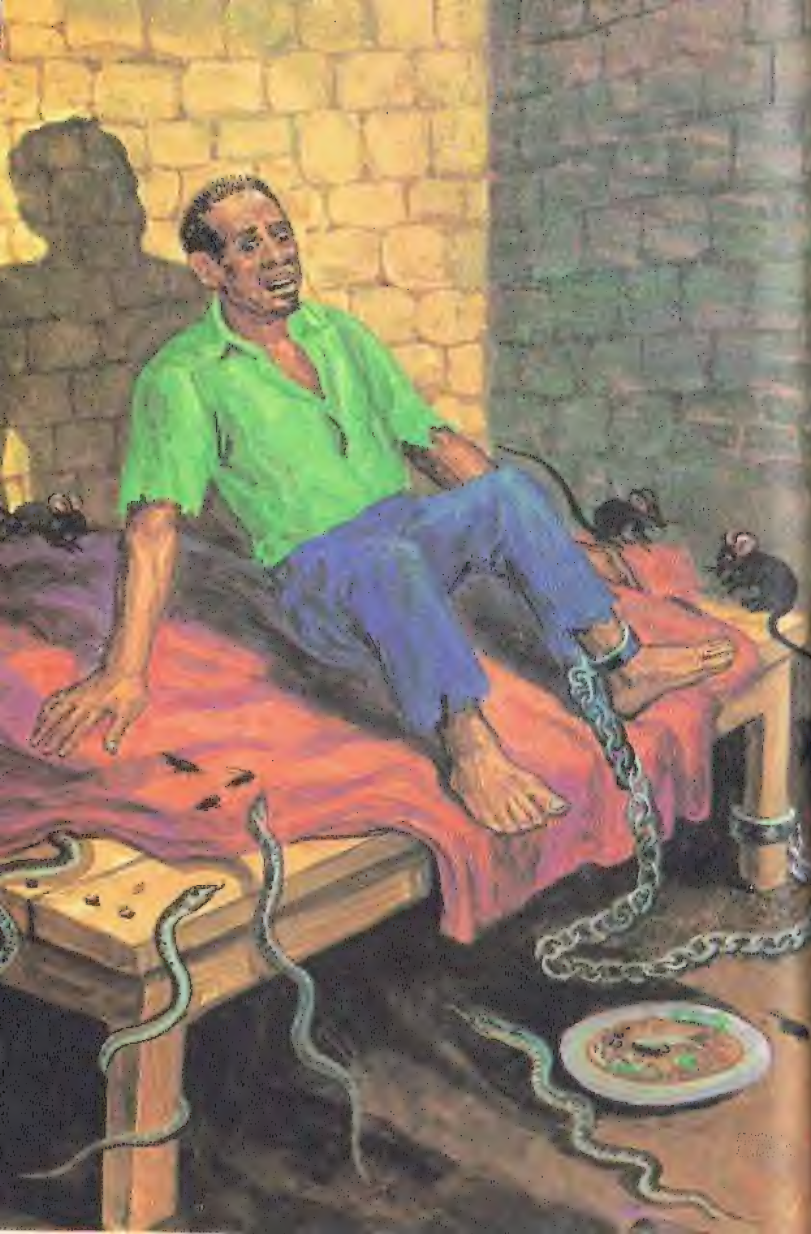
كَانَتْ الْخَالَةُ سَالِي تَجْلِدُنَا بِالسَّوْطِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهَا  
أَحَدُ الثُّعَابِينَ ، وَقَدْ أَعْلَنْتُ لَنَا أَنَّ هَذَا الْجِلْدَ لَيْسَ شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ لِمَا  
سَتَفْعَلُهُ فِينَا إِذَا مَلَأْنَا الْمَنْزِلَ مَرَّةً أُخْرَى بِالثُّعَابِينَ . وَلَمْ أَكُنْ أَهْتَمُّ  
بِهَذَا الْجِلْدِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُؤْذِينِي ، وَلَكِنْ مَا كَانَ يَهْمُنِي هُوَ  
الْمَشَقَّةُ الَّتِي سَنَلَاقِيهَا فِي جَمْعِ عَدَدٍ آخَرَ مِنَ الثُّعَابِينَ . عَلَى أَنَّنَا  
حَصَلْنَا عَلَيْهَا فِي آخِرِ الْأَمْرِ ، كَمَا حَصَلْنَا عَلَى الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى .  
وَكَمْ كَانَ مَنَظَرُ الْكُوحِ يُبْشِرُ الْبَهْجَةَ عِنْدَمَا بَدَأَتْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ



تَسَابَ نَحْوَ جِيم ! وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُحِبَّ جِيمَ الْعَنَاكِبَ وَلَمْ تُحِبَّ الْعَنَاكِبُ جِيمَ . وَقَدْ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَكَانَ لِفِرَاشِهِ بَيْنَ هَذِهِ الْفِئْرَانِ وَالْتُعَابِينَ وَالْمِسْنَ الْحَجَرِيِّ . وَقَالَ أَيْضًا إِنَّهُ لَوْ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هُنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ فَلَنْ يُوَافِقَ عَلَى أَنْ يَكُونَ سَجِينًا مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى وَلَوْ أُعْطُوهُ مَرَّتَيْنِ عَلَى ذَلِكَ .

وَمَا إِنْ انْقَضَتْ ثَلَاثَةُ أَسَابِيعَ حَتَّى كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَجْمَلِ صُورِهِ . وَكُنَّا قَدْ أَرْسَلْنَا لِجِيمِ الْقَمِيصَ فِي إِحْدَى الْفَطَائِرِ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى ، وَمِنْ هُنَا كَانَ كُلَّمَا عَضَّهُ أَحَدُ الْفِئْرَانِ يَنْهَضُ مِنْ مَرْقَدِهِ ، وَيَدُونُ مَا يُعَانِي مِنْ أَلَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ الْحِجْرُ الَّذِي صَنَعَهُ الْفَأْرُ بِعَضَّتِهِ . ثُمَّ إِنَّا كُنَّا قَدْ صَنَعْنَا رِيشَ الْكِتَابَةِ ، وَحَفَرَ جِيمَ ذِكْرِيَّاتِهِ عَلَى الْمِسْنِ الْحَجَرِيِّ ، وَنَشَرْنَا قَائِمَةَ الْفِرَاشِ وَأَكَلْنَا النُّشَارَةَ كُلَّهَا ، فَسَبَّبتْ لَنَا مَعْصًا فَظِيعًا ، ظَنَنَّا مَعَهُ أَنَّنَا سَنَمُوتُ ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ .

وَكَمَا قُلْتُ لَقَدْ تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ أَخِيرًا بَعْدَ أَنْ نَالَ مِنَ الْإِرْهَاقِ كُلِّ مَنَالٍ ، لَا سِيَّمَا جِيمَ . وَكَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ قَدْ كَتَبَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ إِلَى الْمُرْزَعَةِ الْكَائِنَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ نِيو أَوْرِلَانزٍ يَطْلُبُ مِنْ أَصْحَابِهَا أَنْ يَأْتُوا لِيَتَسَلَّمُوا عَبْدَهُمُ الْهَارِبَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَلَقَّ رَدًّا . وَذَلِكَ لِسَبَبٍ بَسِيطٍ هُوَ أَنَّ تِلْكَ الْمُرْزَعَةَ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُجُودٌ .



وَلِذَلِكَ فَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يُعْلِنَ عَنْ جِيَمٍ فِي صُحُفِ سَانَ لُوي ، ونيو  
أورليانز . وَقَدْ صَدِمَتْ عِنْدَمَا ذَكَرَ صُحُفَ سَانَ لُوي ، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ  
لَيْسَ لَدَيْنَا وَقْتُ لِنُضَيِّعَهُ .

قَالَ توم : « الْآنَ إِلَى الرَّسَائِلِ الْغُفْلِ مِنَ التَّوْقِيعِ . »

سَأَلَتْهُ : « وَمَا هِيَ هَذِهِ الرَّسَائِلُ ؟ »

قَالَ : « رَسَائِلٌ بِلا تَوْقِيعٍ ، تُحَذِّرُ النَّاسَ . وَلِهَذِهِ الرَّسَائِلُ طَرِيقَتَانِ  
فِي الْكِتَابَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ شَخْصٍ هُنَا أَوْ هُنَاكَ يَقُومُ  
بِإِبْلَاجِ مُحَافِظِ الْقَلْعَةِ بِهَرُوبِ السَّجِينِ . فَعِنْدَمَا كَانَ لُويِسُ  
السَّادِسُ عَشَرَ يُحَاطِطُ لِمُفَادَرَةِ قَصْرِ التَّوِيلِرِي قَامَتْ خَادِمَةٌ صَغِيرَةٌ  
بِالإِبْلَاجِ عَنْهُ . إِنَّهَا طَرِيقَةٌ جَيِّدَةٌ جِدًّا ، كَمَا أَنَّ الرَّسَائِلَ الْغُفْلَ مِنَ  
التَّوْقِيعِ تُمَثِّلُهَا فِي جُودَتِهَا ، وَسَتَسْتَعْمِلُ كُلُّنَا الطَّرِيقَتَيْنِ . وَكَذَلِكَ  
فَإِنَّهُ مِنَ الْمُعْتَادِ فِي حَالَاتِ هَرُوبِ السَّجَنَاءِ أَنْ تَتَبَادَلَ أُمُّ السَّجِينِ  
الْمَلَائِسَ مَعَهُ ، ثُمَّ تُمَكِّثُ هِيَ فِي السَّجْنِ عَلَى حِينٍ يَتَسَلَّلُ هُوَ  
خَارِجًا فِي مَلَائِسِهَا . وَسَفْعَلُ هَذَا أَيْضًا . »

قُلْتُ : « وَلَكِنْ اسْمِعْنِي ، يَا توم ، لِمَاذَا نُحَذِّرُهُمْ مِنْ هَرُوبِ  
جِيَمٍ ؟ دَعَهُمْ يَكْتَشِفُوا ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَهَذَا شَأْنُهُمْ . »

قَالَ توم : « نَعَمْ ، أَعْرِفُ ، وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَيْهِمْ ،

فَهُمْ بُلْهَاءُ ، وَيَتَقَوْنَ بِالْآخَرِينَ ، لِذَرَجَةِ أَنَّهُمْ لَا يُلَاحِظُونَ هَرُوبَهُ  
إِطْلَاقًا . وَكَذَلِكَ إِذَا لَمْ نُرْسِلْ لَهُمْ إِحْطَارًا فَلَنْ يَوْجَدَ مَنْ يَعْتَرِضُ  
طَرِيقَنَا . وَهَكَذَا بَعْدَ كُلِّ هَذَا الْعَمَلِ الشَّاقِّ الَّذِي قُمْنَا بِهِ ، وَبَعْدَ  
الْمُتَاعِبِ الَّتِي وَاجَهْنَاهَا سَتَيْتُمُ الْهَرُوبَ بِلا مَشَاكِلَ إِطْلَاقًا . سَيَكُونُ  
هَرُوبًا تَافَهُا ، لَا يُسَاوِي شَيْئًا . »

قُلْتُ : « وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِي ، يَا توم ، هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي  
أُحِبُّهَا . »

قَالَ وَهُوَ يَنْظُرُ مُشْمِئِرًا : « كَلَامُ فَارِغٍ . »

قُلْتُ : « وَلَكِنِّي لَنْ أَتَذَمَّرَ ، فَكُلُّ طَرِيقَةٍ تُنَاسِبُكَ فَإِنَّهَا تُنَاسِبُنِي .  
مَا الَّذِي سَتَفْعَلُهُ بِخُصُوصِ الْخَادِمَةِ الصَّغِيرَةِ ؟ »

قَالَ : « سَتَلْعَبُ أَنْتَ دَوْرَ هَذِهِ الْخَادِمَةِ ، فَلَتَسَلَّلُ فِي مُنْتَصَفِ  
الَّيْلِ وَتَسْرِقَ رِداءَ الْخَادِمَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدَّارِ . »

قُلْتُ : « وَلَكِنْ هَذَا سَيَسْبَبُ لَنَا الْمُتَاعِبَ فِي الصَّبَاحِ التَّالِي ،  
فَرُبَّمَا لَا تَمْلِكُ الْخَادِمَةُ سِوَى هَذَا الرِّدَاءِ . »

قَالَ : « أَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَسْتَعْمِلَ هَذَا الرِّدَاءَ إِلَّا لِمُدَّةٍ  
خَمْسَ عَشْرَةِ دَقِيقَةً فَقَطْ ، وَذَلِكَ حِينَ تَحْمِلُ الرِّسَالَةَ الْغُفْلَ مِنَ  
التَّوْقِيعِ وَتَدْفَعُهَا أَسْفَلَ الْبَابِ الْخَارِجِيِّ . »



قُلْتُ : « حَسَنًا ، سَأَقُومُ بِهَذَا الْعَمَلِ ، وَلَكِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْمِلَ  
الرَّسَالَةَ وَأَنَا مُرْتَدٍّ لِمَلَايْسِي . »

قَالَ : « وَلَكِنَّكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَنْ تُشْبِهَ الْخَادِمَةَ ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلَى ، وَلَكِنْ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَحَدٌ لِيرَى إِذَا كُنْتُ أَشْبَهُ  
الْخَادِمَةَ أَوْ لَا . »

قَالَ : « هَذَا لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْأَمْرِ ، فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُؤَدِّيَ وَاجِبَنَا ،  
وَلَا يُهِمُّ إِذَا كَانَ سَيْرَانَا أَحَدًا أَوْ لَا . »

قُلْتُ : « حَسَنًا ، لَنْ أَتَفَوَّهَ بِشَيْءٍ آخَرَ . سَأَقُومُ بِدَوْرِ الْخَادِمَةِ ،  
فَمَنْ سَيَقُومُ بِدَوْرِ أُمِّ جِيم ؟ »

قَالَ : « أَنَا سَأَقُومُ بِدَوْرِ أُمِّهِ . سَأَسْرِقُ أَحَدَ أُرْدِيَةِ الْخَالَةِ سَالِي . »

قُلْتُ : « إِذَا عَلَيْكَ أَنْ تَبْقَى فِي الْكُوخِ بَعْدَ أَنْ تُغَادِرَهُ أَنَا  
وَجِيم . »

قَالَ : « لَا ، سَأَحْشُو مَلَابِيسَ جِيمَ بِالْقَشِّ وَأَضَعُهَا فِي الْفِرَاشِ  
لِتَحُلَّ مَحَلَّ أُمِّهِ وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِأَنَّهَا جِيم . وَسَيَأْخُذُ جِيمُ الرِّدَاءَ مِنِّي  
وَيَرْتَدِيهِ ، وَسَتَهْرَبُ كُلُّنَا مَعًا . »

وَهَكَذَا كَتَبَ تَوْمَ الرِّسَالَةِ الْعُقْلَ مِنَ التَّوْفِيعِ ، وَقُمْتُ أَنَا بِسَرِقَةِ  
رِدَاءِ الْخَادِمَةِ ، وَارْتَدَيْتُهُ وَدَفَعْتُ بِالرِّسَالَةِ أَسْفَلَ الْبَابِ الْخَارِجِي .  
وَكَانَ نَصُّ الرِّسَالَةِ كَمَا يَلِي :

« احْذَرُوا ! الْمُتَاعِبُ أَمَامَكُمْ ! انْتَبِهُوا جِدًّا . »

صَدِيقٌ مَجْهُولٌ .

وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ أَلْصَقْنَا عَلَى الْبَابِ الْخَارِجِيِّ صُورَةَ جُمُجْمَةٍ  
وَعَظْمَتَيْنِ . كَانَ تَوْمَ قَدْ رَسَمَهَا بِالْدَّمِ . وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تَلِيهَا أَلْصَقْنَا  
صُورَةَ تَابُوتٍ عَلَى الْبَابِ الْخَلْفِيِّ .

لَمْ أَرْ فِي حَيَاتِي عَائِلَةً بِمِثْلِ هَذَا الرُّعْبِ ، فَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ  
الْبَيْتَ مَسْكُونٌ بِالْأَشْيَاحِ لَمْ يَكُنْ خَوْفُهُمْ مِنْهَا لِيَزِيدَ عَلَى الرُّعْبِ  
الَّذِي سَبَبَتْهُ لَهُمْ رُؤْيَا هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ .

وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِيِ أَعَدَدْنَا رِسَالَةً أُخْرَى ، وَقَدْ سَمِعْنَاهُمْ أَثْنَاءَ  
تَنَاوُلِ طَعَامِ الْعِشَاءِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ سَيُرْسِلُونَ خَادِمَيْنِ لِلْحِرَاسَةِ طَوَالَ  
الَّيْلِ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْبَابَيْنِ . وَهَبَطَ تَوْمَ عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ لِيَنْظُرَ  
فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ ، فَوَجَدَ أَنَّ الْخَادِمَ الْمَوْجُودَ عِنْدَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ نَائِمٌ ،  
فَأَلْصَقَ الرِّسَالَةَ عَلَى قَفَاهُ . وَكَانَتْ الرِّسَالَةُ تَقُولُ : « سَتَقُومُ عِصَابَةٌ  
مِنَ السَّفَاحِينِ بِخَطْفِ عَبْدِكُمْ الْهَارِبِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . وَلَقَدْ حَاولُوا أَنْ

يَثْوُوا فِي قُلُوبِكُمْ الرُّعْبَ حَتَّى يُفْقَوْكُمْ فِي الْبَيْتِ فَلَا تُضَايِقُوهُمْ  
إِنِّي وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ غَيْرَ أَنِّي ابْتَدَعْتُ عَنْ حَيَاةِ السَّلْبِ الَّتِي  
تَعِيشُهَا ، وَأَرْعَبُ فِي أَنْ أَعِيشَ حَيَاةَ شَرِيفَةٍ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنِّي سَأُبْرَحُ  
لَكُمْ بِخَطِّهِمْ الشَّرِيرَةِ : سَيَقْدِمُونَ مُتَسَلِّلِينَ مِنَ الشَّمَالِ حِينَ تَدُقُّ  
السَّاعَةُ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، وَيَسِيرُونَ بِمُحَاذَةِ السَّوْرِ ، وَيَفْتَحُونَ  
الْبَابَ بِمِفْتَاحٍ مُقْلَدٍ ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى كُوخِ الْعَبْدِ الْهَارِبِ لِيَأْخُذُوهُ  
وَقَدْ أَنَاطُوا بِي مُهِمَّةَ مُرَاقَبَةِ الطَّرِيقِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَسَأَتَأَخَّرُ عَنْهُمْ مَسَافَةٌ  
قَلِيلَةٌ ، وَأَنْفُخُ فِي النَّفِيرِ إِذَا رَأَيْتُ خَطَرًا ، إِلَّا أَنِّي بَدَلًا مِنْ أَنْ أَفْعَلَ  
ذَلِكَ سَأَمَأُمِي مِثْلَ الْخُرُوفِ بِمَجْرَدِ دُخُولِهِمُ الْمَنْزِلَ ، وَلَنْ أَنْفُخَ فِي  
النَّفِيرِ إِطْلَاقًا . فَإِذَا مَا سَمِعْتُمْ هَذِهِ الْمَأْمَاةَ ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَسَلَّلُوا إِلَى  
هُنَاكَ أَثْنَاءَ قِيَامِهِمْ بِفِكِّ السَّلْسِلَةِ ؛ فَتَحْسِبُوهُمْ وَتَقْتُلُوهُمْ بِالطَّرِيقَةِ  
الَّتِي تَرَوْنَهَا مُنَاسِبَةً لَكُمْ . افْعَلُوا تَمَامًا مِثْلَمَا أَخْبَرْتُكُمْ ؛ لِأَنَّكُمْ إِذَا  
لَمْ تَفْعَلُوا فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَرْتَابُوا فِيَّ وَيَفْشَلُ كُلُّ شَيْءٍ . أَنَا لَا  
أَطْلُبُ مَكَاافَةً لِنَفْسِي ، كُلُّ مَا أَبْغِيهِ هُوَ أَنْ أَقُومَ بِعَمَلِ الْخَيْرِ .

« صَدِيقٌ مَجْهُولٌ »

## الفصل الحادي والعشرون « جيم ، أَنْتَ حَرٌّ مَرَّةً أُخْرَى ! »

بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلْنَا طَعَامَ الْإِفْطَارِ غَمَرَنَا إِحْسَاسٌ بِالرُّضَا عَنْ النَّفْسِ ،  
فَدَهَبْنَا لِنَصْطَادَ فِي النَّهْرِ بِزُرْقِي ، وَأَخَذْنَا مَعَنَا عِدَاءَنَا . وَقَدْ قَضَيْنَا  
هُنَاكَ وَقْتًا طَيِّبًا ، وَأَطْمَأَنَّنَا عَلَى حَالَةِ الرَّمْثِ . وَعِنْدَمَا عُدْنَا إِلَى الْبَيْتِ  
مُتَأَخِّرِينَ عَنْ طَعَامِ الْعِشَاءِ وَجَدْنَاهُمْ ، كَمَا تَرَكْنَاهُمْ ، يَرْزَحُونَ  
تَحْتَ وَطْأَةِ الْقَلْقِ وَالرُّعْبِ ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ  
وَاقِفُونَ عَلَى رُعُوسِهِمْ أَمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ . وَمَا إِنْ تَنَاوَلْنَا عِشَاءَنَا حَتَّى  
أَرْعَمُونَا عَلَى الدَّهَابِ إِلَى فِرَاشِنَا قَوْرًا ، وَلَمْ يَقُولُوا لَنَا كَلِمَةً وَاحِدَةً  
عَنِ الرِّسَالَةِ ، وَمَا كُنَّا بِحَاجَةٍ لِأَنْ يُخْبِرُونَا ، فَكُنْ نَعْرِفُ أَكْثَرَ مِمَّا  
يَعْرِفُونَ .

وَبِمَجْرَدِ صُعُودِنَا إِلَى مُنْتَصَفِ الدَّرَجِ ، وَأَدَارَتْ لَنَا الْخَالَةُ سَالِي  
ظَهْرَهَا حَتَّى تَسَلَّلْنَا هَابِطِينَ إِلَى الْقَبْرِ ، وَأَعَدَدْنَا وَجِبَةً شَهِيَّةً مِنَ  
الطَّعَامِ ، وَأَخَذْنَاهَا إِلَى عُرْفَتِنَا ، ثُمَّ أَوَيْنَا إِلَى فِرَاشِنَا . وَفِي السَّاعَةِ



الحادية عشرة والنصف نهضنا ، وارتدى نوم رداء الخالة سالي الذي كان قد سرقه ، وبدأ في تناول الطعام ، وسألني قائلاً : « أين الزبدة ؟ »

أجبته : « لقد وضعتها على قطعة من الخبز . »

قال : « إنها ليست هنا . »

قلت : « نستطيع أن نستغني عنها . »

قال : « استغن أنت عنها ، أما أنا فلا . » ثم أضاف قائلاً : « تسلك إلى القبو وأحضرها ، ثم اهبط على عمود الإنارة وتعال فوراً إلى الكوخ . أما أنا فساذهب لأحشو ملايس نوم بالقش ؛ حتى تشبه أمه ، ثم أستعد لأثغو مثل الخروف ، ثم ننصرف بمجرد وصولك إلى هناك . »

هبطت إلى القبو فوجدت قطعة الزبدة موجودة حيث تركتها ، فأخذت الخبز والزبدة وأطقت الشمعة التي كانت معي . وما إن وصلت إلى الطابق الأرضي حتى وجدت الخالة سالي تدخل ويدها شمعة ، فوضعت الخبز والزبد بسرعة في قبعتي ووضعتها فوق رأسي . وفي تلك اللحظة رأتني الخالة سالي فسألتنى : « ما الذي جعلك تهبط إلى القبو في مثل هذه الساعة من الليل ؟ »

أجبت : « لا أعرف ، يا سيدتي . »

قالت : « لا تعرف ؟ ! أدخل فوراً إلى غرفة الجلوس تلك ، وابق هناك حتى آتيك . لقد نزلت تبحث عن شيء ، وسأكتشف أنا هذا الشيء قبل أن أبدأ التحقيق معك . »

فتحت باب غرفة الجلوس ودخلت ، فوجدت حسداً من الناس هناك - خمسة عشر مزارعاً - وفي يد كل منهم بندقيّة . وكان القلق والتوتر باديين على وجوههم رغم أنهم يحاولون إخفاءهما .

وتمنيت لو أن الخالة سالي جاءت ، وانتهت من سؤالي ، حتى أستطيع أن أذهب وأخير نوم بما رأيته ، فنوقف هذا الحمق الذي نفعله ، ونهرب مع جيم قبل أن ينفد صبر هؤلاء الصحاب ويهاجمونا .

وأخيراً جاءت الخالة سالي ، ووجهت إلي بعض الأسئلة ، غير أنني لم أحر جواباً ؛ فقد كنت في حالة يرثى لها ؛ لأن الرجال كانوا قد ازداد توترهم في تلك الآونة ، وكان البعض منهم يريد أن يذهب في الحال فيكمن للسفاحين ، فلم يبق سوى دقائق قليلة على منتصف الليل ، على حين كان الآخرون يطلبون منهم الانتظار حتى يسمعوا إشارة نغاء الخروف ، وفي هذه اللحظة كانت



الخالة سالي تسألني السؤالَ تلو الآخر ، على حين أخذ جسدي يرتد ويكاد يغوص في الأرض رعباً . وبعد قليل عندما سمعت أحدهم يقول : « إنني أريد الذهب فوراً والدخول إلى الكوخ أولاً ، حتى نقبض عليهم حين يأتون . » سقطت أرضاً ، وسالت الزبدة - التي كانت قد ذابت - على وجهي . وعندما رأت الخالة سالي الزبدة شحَبَ وجهها فصار في بياض ملاءة السرير ، وقالت : « يا إلهي ! ماذا جرى للولد ؟ إنه مُصاب بِحُمى شوكية ، أنا موقنة من هذا مثلكم أنا موقنة من أنني جالسة هنا . مَحَّة يخرج من رأسه . »

وجرى كُلُّ مَنْ كَانَ في الغُرَّة نحوي ليرى ، وقامت هي بخلع قُبعتي من فوق رأسي ، وهنا برز الخبز وما تبقى من الزبدة ، فاحتضنتني الخالة سالي وقالت : « لقد سببت لي قزعاً ، فعندما رأيت هذه الزبدة تسيل على وجهك ظننت أننا فقدناك ، فلَو الزبدة يشبه لوَنُ مُحْك ... يا عزيزي .. يا عزيزي ، لماذا لم تُخبرني بأن هذا هو الذي جعلك تهبط إلى القبو . اذهب إلى فراشك الآن ، ولا تجعلني أراك مرة أخرى حتى الصباح . »

صعدت إلى الطابق العلوي في ثانية ، وفي الثانية التالية كنت قد هبطت على عمود الإنارة ، وأخذت أعدو نحو السقيفة حتى وصلتُها ، فتسللت إلى الكوخ . لم أكن أستطيع إخراج الكلمات



مِنْ شِدَّةِ الْقَلْقِ الَّذِي انْتَابَنِي ، غَيْرَ أَنَّنِي أَخْبَرْتُ تومَ ، بِأَفْصَى مَا  
يُمْكِنُنِي مِنْ سُرْعَةٍ ، بِأَنَّهُ لَيْسَ أَمَامَنَا دَقِيقَةٌ لِنُضْبِعَهَا ، وَعَلَيْنَا أَنْ  
نَهْرَبَ قَوْرًا ، فَاْلْمَنْزِلَ مَمْلُوءَ بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ الْبِنَادِقَ .

لَمَعَتْ عَيْنَا تومَ وَقَالَ : « أَ هَذَا صَحِيحٌ ؟ أَلَيْسَ هَذَا شَيْئًا رَائِعًا ؟  
لَوْ أُتِيحَ لِي أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعْتَ مَرَّةً أُخْرَى فَإِنِّي بِاسْتَطَاعَتِي أَنْ أَحْضِرَ  
مِئَتِي رَجُلٍ . لَوْ كَانَ فِي إِمْكَانِنَا تَأْجِيلُ الْهَرَبِ حَتَّى ... »

قُلْتُ لَهُ مُقَاتِلًا : « أَسْرِعْ ، أَسْرِعْ ! أَيْنَ جِيم ؟ »

قَالَ : « إِنَّهُ بِجِوَارِكَ مُبَاشَرَةً ، مُرْتَدِيًا مَلَابِسَ أُمِّهِ . كُلُّ شَيْءٍ  
جَاهِزٌ . الْآنَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَسَلَّلَ ، وَنُطْلِقَ إِشَارَةَ ثَغَاءِ الْخُرُوفِ . »

وَلَكِنَّا سَمِعْنَا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ صَوْتَ أَقْدَامِ الرُّجَالِ وَهُمْ قَادِمُونَ  
صَوْبَ الْبَابِ ، وَسَمِعْنَاهُمْ وَهُمْ يَهْزُونَ الْقُفْلَ . وَقَالَ أَحَدُهُمْ :  
« لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّنَا تَعَجَّلْنَا ، فَهِيَ هُمْ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ ، وَهِيَ هِيَ الْبَابُ  
مُغْلَقٌ بِالْقُفْلِ . لِيَدْخُلَ بَعْضُكُمْ الْآنَ إِلَى الْكُوخِ ، وَأَعْلِقْ أَنَا الْبَابَ  
عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَارِجِ ، فَتَكْمُنُوا هُنَاكَ لَهُمْ فِي الظُّلَامِ حَتَّى يَأْتُوا ،  
فَنَقْتُلُوهُمْ ، عَلَى حِينٍ يَنْتَشِرُ الْآخَرُونَ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ يَتَسَمَّعُونَ  
مَجِيئَهُمْ . »

وَهَكَذَا دَخَلَ بَعْضُهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَبَيَّنُوا فِي الظُّلَامِ ، عَلَى

حِينَ أَسْرَعْنَا نَحْنُ فَتَزَلْنَا مِنْ تَحْتِ الْفِرَاشِ ، وَخَرَجْنَا مِنَ الْحُفْرَةِ فِي  
سُكُونٍ ، فَصَبَرْنَا فِي السَّقِيفَةِ . وَكُنَّا نَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْأَقْدَامِ فِي  
الْخَارِجِ وَهِيَ تَدْنُو مِنَّا . وَهَمَسَ تومَ قَائِلًا إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ فِي  
التَّسَلُّلِ خَارِجًا عِنْدَمَا يَدْفَعُنَا بِيَدِهِ ، وَسَيَكُونُ هُوَ آخِرَنَا فِي الْخُرُوجِ .  
وَرَأَحَ يَتَسَمَّعُ صَوْتَ الْأَقْدَامِ وَهِيَ تَضْرِبُ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي سِيرِهَا هُنَا  
وَهُنَاكَ . وَأَخِيرًا دَفَعَنَا بِرُفْقٍ ، فَانْسَلَلْنَا خَارِجِينَ ، وَتَسَلَّلْنَا نَحْوَ السُّورِ ،  
وَقَفَّزْنَاهُ أَنَا وَجِيمَ . أَمَّا تومَ فَقَدْ اسْتَبَكَ سِرْوَالَهُ فِي مِسْمَارٍ بِالسُّورِ ،  
وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ سَمِعَ صَوْتَ أَقْدَامٍ آتِيَةٍ ، فَاضْطُرَّ إِلَى أَنْ يَشُدَّ  
الْمِسْمَارَ لِيُخَلِّعَهُ ، فَأَحْدَثَ صَوْتًا ، فَصَاحَ أَحَدُهُمْ قَائِلًا : « مَنْ  
هُنَاكَ ؟ أَجِبْ وَلَا أَطْلُقْتُ عَلَيْكَ الرُّصَاصَ . »

وَلَكِنَّا لَمْ نَجِبْ ، بَلْ طَرْنَا مُبْتَعِدِينَ بِأَفْصَى سُرْعَةٍ ، فَأَعْقَبَ ذَلِكَ  
انْدِفَاعَ مِنَ الرُّجَالِ ، وَطَلَقَاتُ الرُّصَاصِ تَنْطَلِقُ مِنَ الْبِنَادِقِ وَتَصْفُرُ  
حَوْلَنَا ، وَسَمِعْنَاهُمْ يَتَصَايَحُونَ : « هَا هُمْ ، إِنَّهُمْ يَتَجَهَّوْنَ نَحْوَ النَّهْرِ .  
طَارِدُوهُمْ ، يَا أَوْلَادَ . أَطْلِقُوا الْكِلَابَ . »

وَتَقَدَّمُوا خَلْفَنَا . وَكُنَّا فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَنْجَرِ ، وَعِنْدَمَا أَصْبَحُوا  
قَابَ قَوْسَيْنِ مِنَّا اخْتَبَأْنَا خَلْفَ الْأَشْجَارِ ، وَتَرَكَنَاهُمْ يَمْرُونَ بِنَا ، ثُمَّ  
سَرْنَا خَلْفَهُمْ . وَكَانُوا قَدْ حَسَّوْا الْكِلَابَ جَمِيعَهَا ؛ حَتَّى لَا تُخِيفَ  
الْأُصُوصَ ، وَلَكِنَّ أَحَدَهُمْ أَطْلَقَهَا الْآنَ ، وَتَعَرَّعَتِ الْكِلَابُ عَلَيْنَا

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهَا عِنْدَمَا أَدْرَكْنَا تَمَسَّحَتْ بِنَا ، وَانْدَفَعَتْ قُدَمَا نَحْوَ الصَّبَاحِ وَالْهِجَاجِ . ثَمَّ عَدَوْنَا خَلْفَهُمْ حَتَّى أَوْشَكْنَا عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَنْجَرِ ، فَانْعَطَفْنَا إِلَى الْغَابَةِ ، إِلَى حَيْثُ زَوَّرَقِي فَقَفَزْنَا فِيهِ ، وَجَدْنَا مُتَعِدِينَ ، طَلَبًا لِلنَّجَاةِ بِحَيَاتِنَا الْغَالِيَةِ ، نَحْوَ مُتَنَصِّفِ النَّهْرِ ، ثَمَّ جَدَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى رَاحَتِنَا نَحْوَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِهَا الرَّمْثُ . وَكُنَّا نَسْمَعُهُمْ يَتَصَايَحُونَ عَلَى ضِيقَةِ النَّهْرِ ، فَلَمَّا تَوَعَّلْنَا بَعِيدًا اخْتَفَتْ أَصْوَاتُهُمْ .

قُلْتُ حِينَ صَعِدْنَا الرَّمْثَ : « وَالْآنَ ، يَا جِيم ، أَنْتَ حَرٌّ مَرَّةً أُخْرَى . »

قَالَ جِيم : « كَانَ عَمَلًا مُتَقَنًا ، وَكَانَ تَخْطِيطُهُ بَارِعًا وَتَنْفِيدُهُ بَارِعًا ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضَعَ خُطَّةً أَكْثَرَ تَعْقِيدًا وَرَوْعَةً مِنْ هَذِهِ الْخُطَّةِ . »

كُنَّا جَمِيعًا سَعْدَاءَ ، غَيْرَ أَنَّ تَوْمَ كَانَ يَفُوقُنَا سَعَادَةً لِأَنَّهُ أَصِيبَ بِرِصَاصَةٍ فِي رِجْلِهِ . وَعِنْدَمَا سَمِعْنَا أَنَا وَجِيمَ هَذَا لَمْ نَعُدْ نَشْعُرُ بِمَا كُنَّا نَشْعُرُ بِهِ مِنْ قَبْلُ مِنْ سَعَادَةٍ . كَانَ جُرْحُ تَوْمَ يَنْزِفُ ، وَيَسَبُّ لَهُ أَلَمًا ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّا أَرْقَدْنَاهُ فِي الْمَاوَى ، وَمَزَقْنَا قَمِيصًا مِنْ قُمُصَانِ الدُّوقِ لِنُضَمِّدَ بِهِ الْجُرْحَ ، غَيْرَ أَنَّ تَوْمَ أَخَذَ يَرْدُدُ : « أَعْطُونِي الضَّمَادَةَ فَإِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْبِطَ الْجُرْحَ بِنَفْسِي . لَا تَقِفْ هَكَذَا

كَالْأَحْمَقِ . قُلْ لِلرِّجَالِ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى الْمَجَادِيفِ وَيَقْكُوا حِبَالَ السَّفِينَةِ . أَيُّهَا الْأَوْلَادُ ، لَقَدْ أَنْجَزْنَا الْعَمَلَ بِإِتْقَانٍ . أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ رَتَبْنَا خُطَّةَ هُرُوبِ الْمَلِكِ لُؤْيِسِ السَّادِسَ عَشَرَ ، لَأَسْتَطَعْنَا نَقْلَهُ عَبْرَ الْحُدُودِ بِكُلِّ سُهولةٍ . أَطْلُبُ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى الْمَجَادِيفِ . أَطْلُبُ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى الْمَجَادِيفِ . »

وَلَكِنِّي انْتَحَيْتُ بِجِيمِ نَاحِيَةً أُخْرَى ، وَأَخَذْنَا تَبَادُلَ الرَّأْيِ وَنَفَكْرَ ، وَلَمَّا مَضَتْ دَقِيقَةٌ فِي هَذَا التَّفَكُّيرِ قُلْتُ : « تَكَلَّمْ يَا جِيم . » فَقَالَ جِيم : « لَنْ أَتَحَرَّكَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ بِوَصَّةٍ وَاحِدَةٍ بِدُونِ طَبِيبٍ ، حَتَّى وَلَوْ مَكَّثْتُ هُنَا أَرْبَعِينَ سَنَةً . »

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ جِيمَ يَمْلِكُ قَلْبًا مِنْ ذَهَبٍ ، وَكُنْتُ أَتَوَقَّعُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ، وَمِنْ ثَمَّ أَصْبَحَ الْآنَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ، فَأَخْبَرْتُ تَوْمَ أَنَّنِي ذَاهِبٌ لِأَحْضَارِ طَبِيبٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْحَفَ خَارِجًا وَيُطْلِقَ الرَّمْثَ بِنَفْسِهِ ، وَلَكِنَّا مَنَعْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ .

وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ أَجْهَزَ الزُّورَقِ لِلانْطِلَاقِ قَالَ : « سَأَخْبِرُكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ حِينَ تَصِلَ الْقَرْيَةَ . ضَعْ عَصَابَةً عَلَى عَيْنِي الطَّبِيبِ ، وَضَعْ حَقِيصَةً مِنَ الذَّهَبِ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ أَحْضِرْهُ إِلَى هُنَا عَبْرَ طَرِيقِ مَلْتَوِيَّةِ بَيْنَ الْجُرْ ، وَفَتَشُهُ ، وَخُذِ الطَّبَاشِيرَ الَّتِي مَعَهُ ، وَلَا تُعِدِّهِ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْقَرْيَةِ ، فَرُبَّمَا يَضَعُ عَلَامَةً بِالطَّبَاشِيرِ عَلَى هَذَا



الرَّمْثِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَعْثَرَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى . تِلْكَ هِيَ الطَّرِيقَةُ  
الَّتِي يَتَّبِعُهَا الْجَمِيعُ .

قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي سَافِعٌ مِثْلَمَا قَالَ ، وَغَادَرْتُهُ . وَكَانَ عَلَى جِيمٍ أَنْ  
يَخْتَبِيَ حِينَ يَأْتِي الطَّبِيبُ .

## الفصلُ الثاني والعِشرون

« مَا الَّذِي حَدَّثَ لِهَذَا الْفَتَى ؟ »

كَانَ الطَّبِيبُ رَجُلًا طَيِّبًا ، وَقَدْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنْ أَخِي كَانَ نَائِمًا ،  
فَرَكَلَ الْبُنْدُقِيَّةَ بِرِجْلِهِ ، فَاَنْطَلَقَتْ مِنْهَا رِصَاصَةٌ اسْتَقَرَّتْ فِي سَاقِهِ .  
فَأَضَاءَ الطَّبِيبُ مِصْبَاحَهُ ، وَأَحْضَرَ حَقِيبَتَهُ ، وَاسْتَعَدَّ لِلذَّهَابِ مَعِيَ .  
وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى الزُّورَقَ لَمْ يَرَفَّهُ مِنْظَرُهُ ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيَبْحَثُ عَنْ زُورَقٍ  
أَكْبَرَ . وَلَمَّا كَانَتِ الزُّوَارِقُ الْمَوْجُودَةُ فِي النَّهْرِ مَرْبُوطَةً جَمِيعُهَا  
بِالسَّلَاسِلِ وَمَوْصَدًا عَلَيْهَا بِالْأَقْفَالِ ؛ فَقَدْ عَادَ وَاسْتَقْبَلَ زُورَقِي ،  
وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْتَظِرَهُ حَتَّى يَعُودَ ، فَوَصَفْتُ لَهُ مَكَانَ الرَّمْثِ ،  
وَرَحَلُ .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ تَسَلَّلْتُ إِلَى كَوْمَةِ خَشَبٍ لَأَنَالَ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ ،  
وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كَانَتِ الشَّمْسُ تَسْلُطُ أَشْعَثَهَا فَوْقَ رَأْسِي ،  
فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى بَيْتِ الطَّبِيبِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَخْبَرُونِي أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ بَعْدُ ،  
فَأَذْرَكْتُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ حَالَةً تَوَمَّ سَيِّئَةً ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ

أَتَخَذَ طَرِيقِي نَحْوَ الْجَزِيرَةِ . وَعَلَى هَذَا غَادَرْتُ بَيْتَ الطَّبِيبِ إِلَّا أَنِّي  
حِينَ انْعَطَقْتُ عِنْدَ نَاصِيَةِ الشَّارِعِ فَوَجَّحْتُ أَمَامِي بِالْعَمِّ سَايِلَاسَ ،  
الَّذِي قَالَ بِدَهْشَةٍ : « مَاذَا ؟ تَوَم ! أَيْنَ كُنْتُ طِيلَةَ هَذَا الْوَقْتِ أَتِيهَا  
الْوَعْدُ ؟ »

أَجَبَتْهُ : « كُنْتُ أَقْتَشُ أَنَا وَسَيِّدٌ عَنِ الْعَبْدِ الْهَارِبِ . »

قَالَ : « مَاذَا ؟ أَيْنَ دَهَبْتِمَا ؟ لَقَدْ انْتَابَ الْقَلْقُ خَالَتَكُمَا . »

قُلْتُ : « إِنَّا عَلَى مَا يُرَامُ . لَقَدْ تَبِعْنَا الرُّجَالَ وَالْكَلَابَ ، وَلَكِنَّا  
ضَلَلْنَا عَنْهُمْ ، وَظَنَّا أَنَّا سَمِعْنَا أَصْوَاتَهُمْ تَأْتِي مِنْ صَوْبِ النَّهْرِ  
فَأَحْضَرْنَا زَوْرًا وَعَبَرْنَا بِهِ النَّهْرَ ، إِلَّا أَنَّا لَمْ نَجِدْهُمْ . وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ  
جَدَفْنَا فِي النَّهْرِ مَسَافَةً ثُمَّ نَمْنَا هُنَاكَ . وَقَدْ اسْتَيْقَظْنَا مِنْذُ سَاعَةٍ وَجِئْتُ  
أَنَا إِلَى هُنَا لِأَسْقِطَ الْأَخْبَارَ ، أَمَّا سَيِّدٌ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى مَكْتَبِ الْبَرِيدِ  
لِيَرَى إِذَا كَانَتْ نَمَّةٌ رَسَائِلُ لَنَا . وَسَادَّهَبَ الْآنَ لِإِحْضَارِ بَعْضِ  
الطَّعَامِ لَنَا ثُمَّ نَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ . »

أَصْحَبَنِي إِلَى مَكْتَبِ الْبَرِيدِ لِإِحْضَارِ سَيِّدٍ ، وَلَكِنَّهُ بِالطَّبْعِ لَمْ  
يَكُنْ هُنَاكَ ، فَاسْتَلَمَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ رِسَالَةً ، وَانْتَظَرْنَا قَلِيلًا مِنَ الْوَقْتِ ،  
وَلَكِنَّ سَيِّدٌ لَمْ يَأْتِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « إِنَّ سَيِّدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَأْتِيَ إِلَى الْبَيْتِ مَاشِيًا ، أَمَّا نَحْنُ فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَعُودَ الْآنَ . » وَقَدْ

حَاوَلْتُ إِقْنَاعَهُ بِأَنْ يَتَرَكَّنِي فِي انْتِظَارِ سَيِّدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْرَّ عَلَى عَوْدَتِي  
حَتَّى تَرَانِي الْخَالَةَ سَالِي وَتَطْمَئِنُّ عَلَيْنَا .

وَقَدْ سُرَّتِ الْخَالَةُ سَالِي مِنْ رُؤْيَايَ ، وَكَانَ الْمَكَانُ مَمْلُوءًا  
بِالْمَزَارِعِينَ وَزَوَّجَاتِهِمْ ، يَنْتَظِرُونَ إِعْدَادَ الطَّعَامِ لِيَلْتَهُمُوهُ ، وَمَا كَانَ  
أَكْثَرَ ثَرْتَرَتِهِمْ !

وَعِنْدَمَا انْصَرَفَ جَمِيعُ الْمَوْجُودِينَ أَخْبَرْتُ الْخَالَةَ سَالِي بِأَنَّا  
اسْتَيْقَظْنَا عَلَى أَصْوَاتِ الْجَلْبَةِ وَالصِّيَاحِ ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَرَى مَا يَحْدُثُ  
فَهَبَّطْنَا عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ ، ثُمَّ سَرَدْتُ عَلَيْهَا الْقِصَّةَ الَّتِي كُنْتُ قَدْ  
سَرَدْتُهَا عَلَى الْعَمِّ سَايِلَاسَ ، فَقَالَتْ إِنَّهَا سَامَحَتْنَا لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَا  
يَنْتَظَرُ مِنْ غُلَامَيْنِ مِثْلِنَا ، ثُمَّ غَرَقَتْ فِي أَفْكَارِهَا . وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَفَزْتُ  
مِنْ مَكَانِهَا وَقَالَتْ : « يَا إِلَهِي ! لَقَدْ دَخَلَ اللَّيْلُ تَقْرِيًا ، وَلَمْ يَعُدْ  
سَيِّدٌ . مَا الَّذِي حَدَّثَ لِهَذَا الْفَتَى ؟ »

قُلْتُ لَهَا : « سَادَّهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَحْضِرَهُ . »

قَالَتْ : « لَا ، لَنْ تَذْهَبَ أَنْتَ ، إِذَا لَمْ يَأْتِ حَتَّى مَوْعِدِ الْعِشَاءِ  
فَسَيَذْهَبُ عَمَّاكَ سَايِلَاسُ . »

وَلَمْ يَعُدْ سَيِّدٌ عَلَى مَوْعِدِ الْعِشَاءِ ، وَمِنْ ثَمَّ قَبِعَدَ أَنْ تَنَاوَلْنَا طَعَامَنَا  
ذَهَبَ الْعَمُّ سَايِلَاسُ لِيُبْحَثَ عَنْ سَيِّدٍ ، وَعَادَ فِي حَوَالِي السَّاعَةِ



وَالدَّمُوعُ تَسِيلُ مِنْهُمَا . وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ الَّتِي اسْتَيْقَظْتُ فِيهَا عِنْدَ  
الْفَجْرِ هَبَطْتُ إِلَى أَسْفَلَ ، فَوَجَدْتُهَا لَا تَزَالُ جَالِسَةً هُنَاكَ ، وَقَدْ  
انْطَفَأَتْ شَمْعَتُهَا ، وَاسْتَقَرَّ شَعْرُهَا الْأَشْيَبُ عَلَى يَدَيْهَا ، وَقَدْ رَاحَتْ  
فِي النَّوْمِ .

الْعَاشِرَةَ وَالْقَلْقُ بَادٍ عَلَيْهِ ، فَهُوَ لَمْ يَلْتَقِ وَتَوْم . وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخَالَةِ  
سَالِي قَلْقٌ شَدِيدٌ ، وَلَكِنَّ الْعَمَّ سَايَلَسَ قَالَ إِنَّهُ لَا دَاعِيَ لِلْقَلْقِ ، وَإِنْ  
سَيِّدٌ سَيَظْهَرُ فِي الصَّبَاحِ . وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْخَالَةِ سَالِي إِلَّا أَنْ تَقْنَعُ  
بِمَا قَالَ . وَلَكِنَّهَا قَالَتْ إِنَّهَا عَلَى آيَةٍ حَالٍ سَتَسْهَرُ قَلِيلًا فِي انْتِظَارِهِ ،  
وَسَتَبْقَى لَهُ مِصْبَاحًا مُضِيئًا حَتَّى يَرَاهُ .

وَعِنْدَمَا آوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي جَاءَتِ الْخَالَةُ سَالِي مَعِي ، وَلا طَفَقَتْنِي  
وَقَبَّلَتْنِي بِحَرَارَةٍ وَعَطَفٍ لِدَرَجَةٍ أَنْتِي خَجَلْتُ مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ أَجْزُؤْ  
عَلَى أَنْ أَرْفَعُ عَيْنِي فِي وَجْهَهَا . وَلَمَّا تَاهَبْتُ لِلانْصِرَافِ نَظَرْتُ فِي  
عَيْنِي بَشَاتٍ وَرَفَقٍ وَقَالَتْ : « لَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ ، يَا تَوْم ، وَهُنَاكَ النَّافِذَةُ  
وَعَمُودُ الْإِنَارَةِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْبِطَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّكَ سَتَكُونُ وَلَدًا طَيِّبًا وَلَنْ  
تَذْهَبَ مِنْ أَجْلِي . »

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَرَى مَا الَّذِي حَدَثَ لِتَوْم ،  
وَكُنْتُ أَتَرَى الدَّهَابَ فِعْلًا ، وَلَكِنَّنِي قَرَّرْتُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا أَلَّا  
أَذْهَبَ ، حَتَّى وَلَوْ أُعْطِيتُ مَالَ الْعَالَمِ كُلِّهِ .

غَيْرَ أَنَّي كُنْتُ أَفَكَّرُ فِيهَا ، وَكُنْتُ أَفَكَّرُ فِي تَوْم ، وَلِلَّذَلِكَ فَقَدْ  
كَانَ نَوْمِي مُتَقَطِّعًا قَلْقًا . وَقَدْ هَبَطْتُ مَرَّتَيْنِ عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ ،  
وَتَسَلَّلْتُ إِلَى وَاجِهَةِ الْبَيْتِ قَرَابَتُهَا جَالِسَةً بِجِوَارِ النَّافِذَةِ ، وَبِجَانِبِهَا  
شَمْعَةٌ ، وَقَدْ رَكَزْتُ عَيْنَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ ، تَتَرَقَّبُ عَوْدَةَ تَوْم ،

الرَّسَالَةِ ، وَأَنْدَفَعْتُ لِلْخَارِجِ فِي إِثْرِ الْخَالَةِ سَالِي .

وَأَلْقَتِ الْخَالَةُ سَالِي بِنَفْسِهَا عَلَى تَوْمٍ وَأَخَذَتْ تُؤَلُّوْلُ وَتَقُولُ :  
« لَقَدْ مَاتَ ! لَقَدْ مَاتَ ! أَعْرِفُ أَنَّهُ مَاتَ . »

وهنا أدارَ توم رأسه قليلاً ، وَتَمَتَّمَ بِشَيْءٍ ظَهَرَ مِنْهُ أَنَّهُ غَائِبٌ  
عَنِ الْوَعْيِ ، فَفَرَقَتِ الْخَالَةُ سَالِي يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ : « إِنَّهُ  
حَيٌّ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، هَذَا يَكْفِي . » وَقَبْلَتَهُ ، ثُمَّ طَارَتْ إِلَى الْمَنْزِلِ لِتُعِدَّ  
لَهُ فِرَاشَهُ ، وَهِيَ تُلْقِي بِالْأَوَامِرِ عَلَى الْخَدَمِ يَمَنَهُ وَيَسْرَهُ .

أما أنا فَقَدْ سِرْتُ فِي إِثْرِ الرِّجَالِ لِأَرَى مَا الَّذِي سَيَفْعَلُونَهُ بِجِيمٍ ،  
على حينَ ذَهَابِ الطَّبِيبِ وَالْعَمِّ سَايلاس وراءَ توم إلى داخلِ الْبَيْتِ .  
كَانَ الرِّجَالُ يَسْبُونَ جِيمَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً ، وَلَمْ يُظْهِرْ قَطُّ أَنَّهُ  
يَعْرِفُنِي . وَأَخَذَهُ الرِّجَالُ إِلَى الْكُوخِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَالْبَسُوهُ  
مَلَابِسَهُ الْقَدِيمَةَ .

وَجَاءَ الطَّبِيبُ لِيَلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى مَا يَحْدُثُ ، وَقَالَ : « لَا تُعَامِلُوهُ  
بِخُشُوعَةٍ ، فَهُوَ شَخْصٌ طَيِّبٌ ؛ فَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي  
وَجَدْتُ فِيهِ الْغُلَامَ وَجَدْتُ أَنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ اسْتِخْرَاجَ الرِّصَاصَةِ إِلَّا  
بِمُسَاعَدَةِ أَحَدٍ . وَكَانَتْ حَالَةُ الصَّبِيِّ سَيِّئَةً جِدًّا بِحَيْثُ إِنِّي لَا  
أَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ وَالذَّهَابَ لِإِحْضَارِ الْعَوْنِ مِنَ الْقَرْيَةِ . وَلَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ

## الفصلُ الثَّالِثُ والعِشْرُونَ

### عَوْدَةُ توم وَجِيم

ذَهَبَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ الْإِفْطَارِ ، وَلَكِنَّهُ  
لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى أَخْبَارٍ عَنْ توم ، فَجَلَسَ هُوَ وَالْخَالَةُ سَالِي  
يُفَكِّرَانِ وَيَتَنَهَّدَانِ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « هَلْ أُعْطِيتُكَ  
الرَّسَالَةَ الَّتِي اسْتَلَمْتَهَا أَمْسَ مِنْ مَكْتَبِ الْبَرِيدِ ؟ »

قَالَتْ : « لَا . لَمْ تُعْطِنِي آيَةً رَسَائِلَ . »

ذَهَبَ الرَّجُلُ وَأَحْضَرَهَا . وَعِنْدَمَا رَأَتْهَا الْخَالَةُ سَالِي صَاحَتْ :  
« مَاذَا ؟ إِنَّهَا مِنْ سَانِ بَرَسبورج - مِنْ أُخْتِي . »

إِلَّا أَنَّهَا أَلْقَتْ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَهَا ، وَرَاحَتْ تَعْدُو لِأَنَّهَا رَأَتْ شَيْئاً  
كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ أَنَا أَيْضاً ، وَكَانَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ تومَ سَوِيرَ مَحْمُولاً  
عَلَى حَشِيَّةٍ ، وَخَلْفَهُ الطَّبِيبُ ثُمَّ جِيمَ مُرْتَدِياً رِداءَ الْخَالَةِ سَالِي ، وَقَدْ  
رُبِطَتْ يَدَاهُ مِنَ الْخَلْفِ ، وَخَلْفَهُ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ . فَقُمْتُ بِإِخْفَاءِ



جيم ، كما أنَّ السُّرورَ تَمَلَّكَنِي لِأَنَّ رَأْيَهُ فِيهِ وَافَقَ رَأْيِي ، فَقَدْ كَانَ رَأْيِي فِيهِ مُنْذُ أَنْ رَأَيْتُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ ذُو قَلْبٍ مِنْ ذَهَبٍ . وَقَدْ اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ جِيمَ تَصَرَّفَ تَصَرُّفًا نَبِيلًا ، وَيَسْتَحِقُّ أَنْ يُكَافَأَ عَلَى مَا فَعَلَهُ .

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ سَمِعْتُ أَنَّ صَبِيحَةَ تَوْمٍ قَدْ تَحَسَّنَتْ ، كَمَا أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ الْخَالََةَ سَالِيِ الَّتِي لَازَمَتْ فِرَاشَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، قَدْ غَادَرَتْ غُرْفَتَهُ لِتَنَالِ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ ، فَتَسَلَّلْتُ إِلَى غُرْفَتِهِ ، وَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّنَا رُبَّمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْتَرَعَ قِصَّةً مُتَّسِقَةً لِنُفْنِعَ بِهَا الْعَائِلَةَ . غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُهُ نَائِمًا فِي هُدُوءٍ وَقَدْ عَلَا الشُّحُوبُ وَجْهَهُ ، إِلَّا أَنَّ دَرَجَةَ حَرَارَتِهِ لَمْ تَكُنْ مُرْتَفِعَةً مِثْلَمَا كَانَتْ عِنْدَمَا سَاقُوهُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَلِذَلِكَ جَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ .

وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ أَتَتْ الْخَالََةُ سَالِيِ تَسَلَّلًا ، وَهَمَسَتْ قَائِلَةً إِنَّ حَالَتَهُ قَدْ تَحَسَّنَتْ ، وَأَنَّهُ سَيَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَدْ عَادَ لَوَعْيِهِ . وَهَكَذَا جَلَسْنَا نَرْقُبُهُ . وَأَخِيرًا تَحَرَّكَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ :

« مَاذَا ؟ هَلْ أَنَا فِي الْبَيْتِ ؟ كَيْفَ حَدَثَ هَذَا ؟ أَيْنَ الرِّمْتُ ؟ »

قُلْتُ لَهُ : « إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . »

تَسَاءَلَ : « وَجِيمَ ؟ »

لِي بِالْأَقْرَابِ مِنْهُ . وَقَدْ وَقَفْتُ عَاجِزًا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ، فَصَحْتُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ لَا بُدَّ أَنْ أُجِدَ أَحَدًا يُسَاعِدُنِي . وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي قُلْتُ فِيهَا هَذَا ، زَحَفَ هَذَا الشَّخْصُ مِنْ مَكَمَلِهِ وَقَالَ لِي إِنَّهُ سَيُسَاعِدُنِي . وَقَدْ قَدَّمَ لِي يَدَ الْعَوْنِ فَعَلًا ، وَكَانَ مَا قَدَّمَهُ ذَا قِيَمَةٍ كَبْرَى . بِالطَّبَعِ كُنْتُ قَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّهُ عَبْدٌ هَارِبٌ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ اضْطُرَّرْتُ لِلْبَقَاءِ هُنَاكَ مَا تَبَقِيَ مِنْ هَذَا النَّهَارِ وَاللَّيْلِ بِطَوْلِهِ خَشْيَةً أَنْ يَهْرَبَ ، فَيَقَعَ عَلَى اللَّوْمِ . وَخِلَالَ هَذَا الْوَقْتِ لَمْ أَرْ مُمْرَضًا أَفْضَلَ مِنْهُ وَأَكْثَرَ إِخْلَاصًا ، رَعِمَ أَنَّهُ كَانَ يُخَاطِرُ بِحَرِيَّتِهِ وَهُوَ يَقُومُ بِتَمْرِیضِ الْعِلَامِ ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ مُرْهَقًا ؛ فَقَدْ كَانَ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ اللَّيْلِ يَعْمَلُ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِرْهَاقُ .

« وَمَرَّ بِنَا فِي فَجْرِ هَذَا الْيَوْمِ بَعْضُ الرِّجَالِ فِي قَارِبٍ . وَكَانَ هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَائِمًا ، فَأَشْرْتُ لَهُمْ ، فَتَسَلَّلُوا إِلَى الرِّمْتِ وَقَبِلُوهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ مَا يَحْدُثُ . وَلَمْ نَوَاجِهْهُ أَيْةَ مَتَاعِبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ . وَرَبَطْنَا الرِّمْتَ بِالْقَارِبِ وَسَجَبْنَاهُ بِرُفْقٍ وَهُدُوءٍ ، عَلَى حِينِ كَانَ الصَّبِيُّ يَنَامُ نَوْمًا مُتَقَطِّعًا قَلِيلًا . وَلَمْ يَصْنَعْ جِيمُ أَيْةَ جَلْبَةٍ ، وَلَمْ يَتَفَوَّهْ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْبِدَايَةِ . لَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ أَنَّهَا السَّادَةُ إِنَّ شَخْصًا مِثْلَ هَذَا لَهُوَ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ . »

حَمِدْتُ لِلطَّبِيبِ الْعَجُوزِ صَنِيعَهُ ، وَالِدُّورَ الَّذِي قَامَ بِهِ مِنْ أَجْلِ

قُلْتُ : « إِنَّهُ عَلَى مَا يُرَامُ أَيْضًا . » لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَقُولَ الْجُمْلَةَ السَّابِقَةَ بِكُلِّ ثِقَةٍ ، فَاهْتَزَّ صَوْتِي ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ ذَلِكَ .

قالَ توم : « رائع ! الآنَ نَحْنُ جَمِيعًا عَلَى مَا يُرَامُ وَفِي أَمَانٍ . هَلْ أَخْبَرْتَ خَالَتي ؟ »

كُنْتُ مُوشِكًا أَنْ أَرُدَّ بِالْإِيجَابِ ، وَلَكِنَّهَا قَاطَعَتْنِي قَائِلَةً : « عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ، يَا سَيِّد ؟ »

قالَ : « مَاذَا ؟ عَنْ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَمَّ بِهَا إِنْجَازُ الْأَمْرِ كُلِّهِ . »

قَالَتْ : « مَا هُوَ هَذَا الْأَمْرُ كُلُّهُ ؟ »

قالَ : « مَاذَا ؟ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، لَا يُوْجَدُ سِوَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي أَطْلَقْنَا بِهَا سَرَّاحَ جِيمِ أَنَا وَتوم . »

قَالَتْ : « يَا إِلَهِي ! عَمَّ يَتَحَدَّثُ الْعَلَامُ ؟ يَا عَزِيزِي ، يَا عَزِيزِي ! لَقَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ مَرَّةً أُخْرَى . »

قالَ : « أَوْ كَدُّ لَكَ أَنَّنَا أَطْلَقْنَا سَرَّاحَهُ أَنَا وَتوم . لَقَدْ خَطَطْنَا لِذَلِكَ ، وَأَنْجَزْنَا مَا خَطَطْنَا ، أَنْجَزْنَاهُ بِشَكْلِ رَائِعٍ . »

وَأَنْطَلَقَ فِي السَّرْدِ ، وَتَوَقَّفتُ هِيَ تَمَامًا عَنْ مُقَاطَعَتِهِ ، وَجَلَسْتُ تَحْمِلُ إِلَيْهِ فَقَطْ وَتَحْمِلُنِي ، وَهُوَ يُوَاصِلُ حَدِيثَهُ . وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا

جَدْوَى مِنَ التَّدَخُّلِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

« لَقَدْ كَلَّفْنَا هَذَا الْإِنْجَازَ ، يَا خَالَتي ، قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْعَمَلِ - أَسَابِيعَ مِنَ الْعَمَلِ ، سَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ كُنَّا نَسْهَرُهَا وَأَتَمُّمْ نَائِمُونَ . وَقَدْ اضْطَرَرْنَا إِلَى أَنْ نَسْرِقَ الشَّمْعَ وَالْمَلَأَةَ وَالْقَمِيصَ وَرِدَائِكَ وَالْمَلَاعِقَ وَالْأَطْبَاقَ وَالسَّكَاكِينَ وَمِدْفَأَةَ السَّرِيرِ وَالْمِسَنَ الْحَجَرِيَّ وَالْدَّقِيقَ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى لَا حَصَرَ لَهَا . وَلَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَصَوَّرِي مَا فَعَلْنَاهُ لِكَيْ نَصْنَعَ الْمَنَاشِيرَ وَرِيشَ الْكِتَابَةِ وَالْمَذْكَرَاتِ ، وَهَذَا الشَّيْءُ وَذَلِكَ . وَلَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَخَيَّلِي مَا كَانَ فِي صَنْعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِنْ فُكَاهَةٍ وَمَرَحٍ . وَلَقَدْ اضْطَرَرْنَا أَيْضًا إِلَى أَنْ نَرَسُمَ صُورَ التَّوَابِتِ ، وَأَنْ نَكْتُبَ الرِّسَائِلَ الْعُفْلَ مِنَ التَّوْفِيعِ الْمُرْسَلَةِ مِنَ اللَّصُوصِ ، وَأَنْ نَصْعَدَ وَأَنْ نَهْطَ عَلَى عَمُودِ الْإِنَارَةِ ، وَأَنْ نَحْفَرَ حُفْرَةً تَصِلُ بَيْنَ السَّقْفِيَّةِ وَالْكُوخِ الْمَسْجُونِ فِيهِ جِيمِ ، وَأَنْ نَصْنَعَ سُلَّمِ الْحِجَالِ وَنُرْسِلَهُ إِلَى جِيمِ مَخْبُوزًا فِي الْفَطِيرَةِ . كَمَا أَرْسَلْنَا لَهُ مَلَاعِقَ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى فِي جَيْبٍ مِثْرَكَ لِيَعْمَلَ بِهَا ... »

قَاطَعَتَهُ الْخَالَةُ سَالِي صَائِحَةً : « يَا إِلَهِي الرَّحِيمِ ! »

وَوَاصِلَ توم حَدِيثَهُ دُونَ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا : « وَمَلَأْنَا الْكُوخَ بِالْفَرَّانِ وَالتَّعَابِينِ . وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ مِنْ حَيَوَانَاتٍ وَحَشَرَاتٍ ؛ حَتَّى تَرَفَّقَ جِيمِ فِي سِجْنِهِ . وَجِئْتَ أَنْتِ وَأَبْقَيْتِ توم هُنَا فِتْرَةً طَوِيلَةً ، وَقَدْ سَأَلَتْ



الرُّبْدَةُ مِنْ رَأْسِهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَدَتْ تُفْسِدِينَ عَمَلَنَا كُلَّهُ ؛ لِأَنَّ  
الرَّجَالَ أَتَوْا قَبْلَ أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْكُوخِ . وَأَضْطَرَرْنَا أَنْ نَنْدَفِعَ خَارِجِينَ  
فَسَمِعْنَا الرِّجَالَ وَأَطْلَقُوا عَلَيْنَا الرِّصَاصَ ، فَجَئْتُ مِنْهَا نَصِيبٌ . ثُمَّ  
رُغْنَا مِنْهُمْ ، وَمَرَّوْا بِنَا دُونَ أَنْ يَرُونَا . وَعِنْدَمَا جَاءَتْ الْكِلَابُ لَمْ تَلْقَ  
لَنَا بِالْأُ ، بَلْ اتَّجَهَتْ نَحْوَ مَصْدَرِ الْجَلْبَةِ ، فَسَجَّعْنَا زُورَقَنَا وَدَهَبْنَا  
لِلرَّمْثِ ، وَأَصْبَحْنَا أَمِينِينَ ، وَأَصْبَحَ جِيمٌ حَرًّا . وَقَدْ فَعَلْنَا كُلَّ ذَلِكَ  
بِأَنْفُسِنَا . أَلَيْسَ هَذَا رَائِعًا ، يَا خَالَتِي ؟

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « حَسَنًا ، لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا فِي حَيَاتِي .  
إِذَا فَقَدْ كُنْتُمَا أَتْتُمَا ، أَيُّهَا الْوَعْدَانِ ، اللَّذَيْنِ صَنَعَا كُلَّ هَذِهِ  
الْمَنَاعِبِ لَنَا وَجَعَلَانَا نَمُوتُ رُعْبًا . إِنْ لَدَيَّ الْآنَ رَعْبَةٌ فِي أَنْ  
أَعَاقِبَكُمَا ، وَلَكِنِّي سَأَنْتَظِرُ حَتَّى تَبْرَأَ مِنْ جُرْحِكَ ، ثُمَّ أَسْلُخُ  
جِلْدَيْكُمَا . الْآنَ اسْتَمْتِعَا بِمَا فَعَلْتُمَا ، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنِّي أَحْدَرُكُمَا  
لَوْ أَنَّي ضَبَطْتُكُمَا تَتَدَخَّلَانِ فِي شَعْنِهِ مَرَّةً أُخْرَى ... »

سَأَلَ تَوْمَ يَدَهُشِيَّةَ : « شُعُونُ مَنْ ؟ »

قَالَتْ : « شُعُونُ مَنْ ؟ ! ماذا ؟ الْعَبْدُ الْهَارِبُ طَبْعًا . شُعُونُ مَنْ  
تَظُنُّنِي أَعْنِي ؟ »

نَظَرَ إِلَيْ تَوْمَ وَالْحَزْنُ بَادٍ عَلَى وَجْهِهِ وَقَالَ : « تَوْمَ ، أَلَمْ تُخْبِرْنِي

بِأَنَّهُ عَلَى مَا يُرَامُ ؟ أَلَمْ يَهْرَبْ ؟ »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « ذَاكَ الْعَبْدُ الْهَارِبُ ؟ نَعَمْ لَمْ يَهْرَبْ .  
لَقَدْ أَعَادُوهُ أَمِنًا سَلِيمًا ، وَهُوَ الْآنَ فِي ذَلِكَ الْكُوخِ يَعِيشُ عَلَى الْخَبْزِ  
وَالْمَاءِ . »

نَهَضَ تَوْمَ وَقَدْ لَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَأَخَذَ مَنَخْرَاهُ يَنْفَتِحَانِ وَيَنْغَلِقَانِ ،  
وَصَاحَ بِهَا : « لَيْسَ لَهُمُ الْحَقُّ فِي حَبْسِهِ . اذْهَبِ الْآنَ وَلَا تَضِيعِ  
دَقِيقَةً وَاحِدَةً وَأَطْلِقِ سَرَاحَهُ . إِنَّهُ حَرٌّ مِثْلُهُ مِثْلُ أَيِّ مَخْلُوقٍ يَمْشِي  
عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ . »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « ماذا يَعْنِي هَذَا الْوَلَدُ ؟ »

قَالَ : « أَنَا أَعْنِي كُلَّ كَلِمَةٍ قُلْتُهَا ، يَا خَالَتِي . وَإِذَا لَمْ يَذْهَبْ  
أَحَدٌ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِ فَسَازِمْ أَنَا . لَقَدْ عَرَفْتُ جِيمَ طَوَالَ حَيَاتِي  
وَكَذَلِكَ عَرَفْتُهُ تَوْمَ . وَلَقَدْ مَاتَتِ الْإِنْسَةُ وَاطْسُنُ مِنْذُ شَهْرَيْنِ .  
وَكَانَتْ قَدْ أَحْسَسَتْ بِالْخَجَلِ لِأَنَّهَا فَكَّرَتْ فِي بَيْعِهِ ، وَقَدْ صَرَخَتْ  
بِذَلِكَ وَحَرَّرَتْهُ قَبْلَ وَفَاتِهَا مُبَاشَرَةً . »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « إِذَا لِمَ أَذَا تُرِيدُ أَنْ تَحْرِرَهُ أَنْتَ طَالِمَا أَنَّهُ  
حَرٌّ بِالْفِعْلِ ؟ »

قَالَ تَوْمَ : « تِلْكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى . كُنْتُ أُرِيدُ الْمَغَامَرَةَ فَقَطْ ، وَقَدْ

وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَخْبِرَهُمْ بِالْكِفِيَّةِ الَّتِي وَجَدْتُ بِهَا نَفْسِي فِي هَذَا  
الْمَوْقِفِ الْحَرَجِ ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا حَسِبْتَنِي السَّيِّدَةَ فِيلِيسَ توم سوير .  
فَقَاطَعْتَنِي الْخَالَةُ سَالِي وَقَالَتْ : « أَدْعُنِي الْخَالَةُ سَالِي كَمَا كُنْتُ  
تَدْعُونِي ، لَقَدْ تَعَوَّدْتُهَا مِنْكَ وَلَا دَاعِي لِلتَّغْيِيرِ . »

قُلْتُ لَهُمْ إِنِّي عِنْدَمَا حَسِبْتَنِي الْخَالَةُ سَالِي توم سوير اضْطُرَرْتُ  
أَنْ أَقُومَ بِدَوْرِهِ ، وَادَّعَى توم أَنَّهُ سَيِّدٌ حَتَّى يُسَهِّلَ لِي الْأُمُورَ عَلَى  
قَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِ .

وَقَالَتِ الْخَالَةُ بُولِي إِنَّ توم مُحِقٌّ فِيمَا قَالَهُ عَنِ الْآنِسَةِ وَاطْمَنَّنْ  
حَيْثُ إِنَّهَا بِالْفِعْلِ حَرَرْتُ جِيم . وَقَدْ خَلَقَ توم كُلَّ هَذِهِ الْمُتَاعِبِ  
وَالْمُضَايِقَاتِ لِيُحَرِّرَ رَجُلًا حُرًّا !

وَأَضَافَتِ الْخَالَةُ بُولِي أَنَّهَا حِينَ كَتَبَتْ لَهَا الْخَالَةُ سَالِي تُخْبِرُهَا  
بِأَنَّ توم وَ سَيِّدٌ قَدْ وَصَلَا سَالِمِينَ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « لَا بُدَّ أَنْ أَبْحَرَ  
كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ فِي النَّهْرِ - حَوَالَى ١٧٠٠ كِيلُومِترٍ - لِأَكْتَشِفَ  
الْحُدُودَ الَّتِي يَلْعَبُهَا هَذَا الْوَلَدُ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَتَلَقَّ مِنْ أُخْتِي جَوَابًا . »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « مَاذَا ؟ أَنَا لَمْ يَصِلْنِي مِنْكَ شَيْءٌ . »

قَالَتِ الْخَالَةُ بُولِي : « لَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ مَرَّتَيْنِ لِأَسْأَلَكَ مَاذَا تَعْنِينَ  
بِقَوْلِكَ إِنَّ سَيِّدَ هُنَا . »

قُمْتُ بِهَا . يَا إِلَهِي ! خَالَتِي بُولِي ! « وَهَنَّاكَ فِي مَدْخَلِ الْعُرْفَةِ  
كَانَتِ الْخَالَةُ بُولِي وَاقِفَةً ، فَقَفَزَتِ الْخَالَةُ سَالِي نَحْوَهَا ، وَعَانَقَتْهَا ،  
وَبَكَتْ عَلَى كَيْفِهَا . أَمَّا أَنَا فَأُتِنِي وَجَدْتُ مَخْبَأً جَيِّدًا تَحْتَ السَّرِيرِ  
لَأَنْ الْمَتَاعِبَ ، كَمَا بَدَأَ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، سَتَشْتَدُّ عَلَيْنَا .  
وَعِنْدَمَا تَطَلَّعْتُ مِنْ مَخْبِئِي ، كَانَتْ خَالَةُ توم - الْخَالَةُ بُولِي -  
تَتَخَلَّصُ مِنْ ذِرَاعِي الْخَالَةِ سَالِي ، وَتَقِفُ هُنَاكَ تَنْظُرُ إِلَى توم مِنْ  
خِلَالِ نَظَارَتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : « نَعَمْ ، مِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ تُخْفِيَ وَجْهَكَ  
عَنِّي ، فَلَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ لَفَعَلْتُ ذَلِكَ ، يَا توم . »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « هَلْ تَغَيَّرَ بِهَذَا الشَّكْلُ ؟ هَذَا لَيْسَ توم ،  
إِنَّهُ سَيِّدٌ ، توم هُوَ ... مَاذَا ؟ أَيْنَ توم ؟ لَقَدْ كَانَ هُنَا مُنْذُ دَقِيقَةٍ  
وَاحِدَةٍ . »

قَالَتِ الْخَالَةُ بُولِي : « تَعْنِينَ أَيْنَ هَكَذَا فِينْ ، فَبَعْدَ أَنْ رَبَيْتُ هَذَا  
الْوَعْدَ مِثْلَ توم طِيلَةً هَذِهِ السَّنَوَاتِ ، أَعْتَقِدُ أَنِّي أَعْرِفُهُ حِينَ أَرَاهُ .  
أَخْرَجْتُ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ ، يَا هَكَذَا فِينْ . »  
وَخَرَجْتُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِالْطَّمَأْنِينَةِ .

لَمْ تُصَدِّقِ الْخَالَةُ سَالِي أَذْنِهَا ، وَكَذَلِكَ الْعَمُّ سَايلاسَ لَمْ  
يُصَدِّقْ مَا يَرَى حِينَ دَخَلَ وَأَخْبَرَاهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَأُصِيبَ بِالْخَرَسِ  
وَالدَّهْشَةِ . ثُمَّ أَخْبَرَتْهُمَا الْخَالَةُ بُولِي عَمَّنْ أَكُونُ ، وَمَاذَا أَكُونُ .



قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « لَمْ تَصِلْنِي هَاتَيْنِ الرِّسَالَتَانِ » .

اسْتَدَارَتِ الْخَالَةُ بُولِي بِطُءٍ وَقَالَتْ بِغَضَبٍ : « توم ، أَخْرِجْ هَاتَيْنِ الرِّسَالَتَيْنِ » .

سَأَلَ توم : « آيَةُ رَسَائِلَ ؟ »

قَالَتِ الْخَالَةُ بُولِي : « هَاتَيْنِ الرِّسَالَتَيْنِ . آه لَوْ أَمْسَكْتُ بِكَ ... »

قَالَ توم : « إِنَّهُمَا فِي الصُّنْدُوقِ ، لَمْ أَفْتَحْهُمَا ، فَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُمَا سَيَجْلِبَانِ عَلَيْنَا الْمَتَاعِبَ . وَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ مَا لَمْ تَكُونِي فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ فَإِنِّي ... »

قَالَتِ الْخَالَةُ بُولِي : « لَا بُدَّ مِنْ جَلْدِكَ ! لَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ رِسَالَةً أُخْرَى أَخْبِرُكَ فِيهَا أَنَّنِي قَادِمَةٌ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ ... »

قَالَتِ الْخَالَةُ سَالِي : « لَا ، لَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ أَمْسَ ، وَلَمْ أَقْرَأْهَا بَعْدَ . »

وَعِنْدَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَخْلُوَ بِتوم سَأَلْتُهُ عَمَّا كَانَ سَيَفْعَلُهُ لَوْ نَجَحَتْ خَطَّةُ الْهَرَبِ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُحَرِّرَ جِيمَ الَّذِي هُوَ حُرٌّ بِالْفِعْلِ .

أَجَابَنِي بِأَنَّهُ كَانَ قَدْ خَطَّطَ إِذَا مَا أَخْرَجْنَا جِيمَ سَالِمًا ، بِأَنَّا

سَنَأْخُذُهُ إِلَى مَصَبِّ النَّهْرِ ، وَنَقُومُ هُنَاكَ بِبَعْضِ الْمُغَامَرَاتِ ، ثُمَّ نَخِيرُ جِيمَ بِأَنَّهُ حُرٌّ ، وَنَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ عَلَى ظَهْرِ إِحْدَى السُّفُنِ الْبُخَّارِيَّةِ ، وَنَعُوضُهُ بِالْمَالِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي ضَاعَ مِنْهُ . ثُمَّ يُرْسِلُ رِسَالَةً إِلَى الْبَيْتِ ، وَيَخْرُجُ بِجَمِيعِ الزُّنُوجِ لِيَحْتَفِلُوا بِجِيمِ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى أَضْوَاءِ الْمَشَاعِلِ وَمُوسِيقَى الْمَزَامِيرِ النُّحَاسِيَّةِ ، الَّتِي كَانَتْ سَتَقُومُ بِعَزْفِهَا إِحْدَى الْفِرَقِ الْمُوسِيقِيَّةِ . وَهَكَذَا يُصْبِحُ جِيمَ بَطْلًا ، وَنُصْبِحُ نَحْنُ أَيْضًا مِنَ الْأَبْطَالِ .

فَمِنَّا بِإِخْرَاجِ جِيمِ مِنَ الْكُوخِ قَوْرًا ، وَعِنْدَمَا عَلِمَتِ الْخَالَةُ بُولِي وَالْعَمَّ سَايَلاسَ وَالْخَالَةُ سَالِي بِأَنَّهُ قَدْ سَاعَدَ الطَّبِيبَ فِي تَمْرِضِ توم هَيَّئُوا لَهُ أَسْبَابَ الرَّاحَةِ ، وَقَدَّمُوا لَهُ مِنَ الطَّعَامِ كُلِّ مَا يُرِيدُ أَكْلَهُ ، وَأَرَاخُوهُ مِنَ الْعَمَلِ . وَقَدْ أَخَذْنَاهُ إِلَى الْغُرْفَةِ الَّتِي كَانَ توم يَرْقُدُ فِيهَا ، فَتَفَحَّه توم أَرْبَعِينَ دُولَارًا نَظِيرَ سَجْنِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْقِيَامِ بِهِذَا الدَّوْرِ . وَقَدْ سَرَّ جِيمَ غَايَةَ السُّرُورِ . وَتَحَدَّثَ توم كَثِيرًا ، وَقَالَ : « دَعُونَا نَتَسَلَّلُ مِنْ هُنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ وَنَأْخُذَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي نَحْتَاجُهَا لِلْقِيَامِ بِمُغَامَرَاتِ بَيْنَ الْهُنُودِ الْحُمْرِ وَذَلِكَ لِأَسَابِعَ قَلِيلَةٍ . »

قُلْتُ : « إِنَّ هَذَا يُنَاسِبُنِي . وَلَكِنِّي لَا أَمْلِكُ مَالًا ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَنْ أَحْصِلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، فَرُبَّمَا يَكُونُ أَبِي قَدْ عَادَ ، وَأَخَذَ كُلَّ مَالِي مِنَ الْقَاضِي ثَانِشَرِ . »



قالَ توم : « لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا . إِنَّ مَالِكَ كُلَّهُ هُنَاكَ .. سِتَّةَ آلَافِ  
دُولَارٍ أَوْ يَزِيدُ ، فَأَبُوكَ لَنْ يَعودَ مَرَّةً أُخْرَى . »

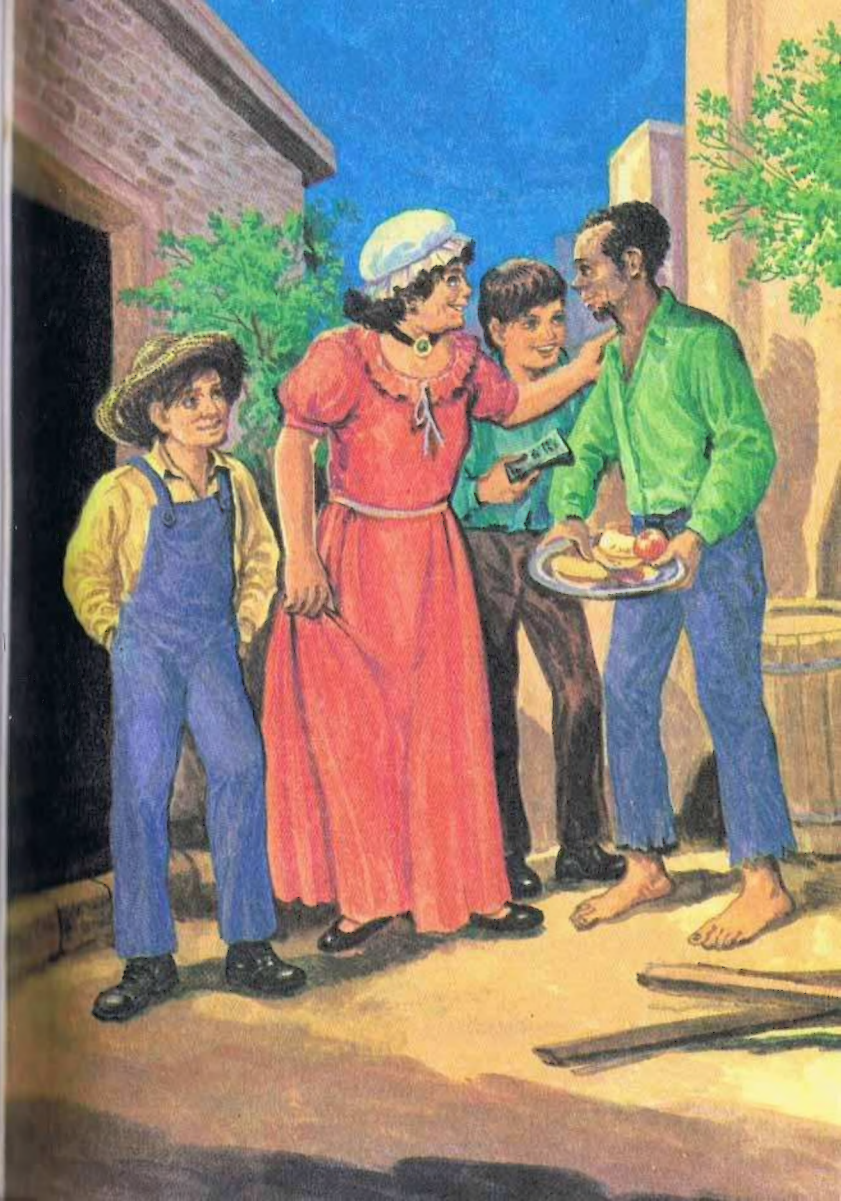
قالَ جيم : « أَبُوكَ لَنْ يَعودَ أَبَدًا ، يَا هَكَ . »

قُلْتُ : « لِمَاذَا ، يَا جيم ؟ »

قالَ : « هَلْ تَتَذَكَّرُ الْمَنْزَلَ الْخَشْيَ الَّذِي كَانَ طَافِيًا فَوْقَ النَّهْرِ ؟  
كَانَ بِهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، وَلَقَدْ أَلْقَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ بَعْضَ الْمَلَابِيسِ  
الْقَدِيمَةِ . تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى أَمْوَالِكَ مَتَى تُرِيدُ ، فَهَذَا الرَّجُلُ  
كَانَ أَبَاكَ . »

تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ توم ، وَوَضَعَ الرِّصَاصَةَ الَّتِي أَخْرَجَتْ مِنْ رِجْلِهِ  
فِي سِلْسِلَةِ السَّاعَةِ وَعَلَّقَهَا حَوْلَ عُنُقِهِ ، وَكَانَ يَرَاهَا كُلَّمَا نَظَرَ فِي  
السَّاعَةِ لِيَرَى الْوَقْتَ .

لَقَدْ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَمْ يَعدْ هُنَاكَ مَا أَكْتُبُ عَنْهُ ، وَإِنِّي  
لَفِي غَايَةِ السُّرُورِ الْآنَ بَعْدَ أَنْ فَرَعْتُ مِنَ الْكِتَابَةِ ، فَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ  
مَا سَأَكِيدُهُ مِنْ مَشَقَّةٍ فِي تَدْوِينِ هَذَا الْكِتَابِ لَمَا شَرَعْتُ فِي  
كِتَابَتِهِ . وَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنِّي سَأَنْطَلِقُ ذَاهِبًا إِلَى الْهُنُودِ الْحُمْرِ قَبْلَ  
الْآخَرِينَ ؛ لِأَنَّ الْخَالََةَ سَالِي قَرَّرَتْ أَنْ تَتَبَنَّنِي ، وَتَتَوَلَّى تَرْبِيَّتِي





وَتَهْذِيبِي ، وَأَنَا لَيْسَ لِي طَاقَةٌ عَلَى احْتِمَالِ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ وَهَذَا  
التَّهْذِيبِ ، فَقَدْ عَانَيْتُ مِنْهُمَا الْكَثِيرَ .

## المغامرات المشيرة

- ١- مغامرة في الأدغال
- ٢- مغامرة في الفضاء
- ٣- مغامرة أسيرين
- ٤- مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥- مغامرة على الشاطئ
- ٦- الجاسوس الطائر
- ٧- لصووس الطريق
- ٨- حمد الغواص الشجاع
- ٩- اللسان الغيبان
- ١٠- مطاردة لصووس السيارات
- ١١- مغامرات السندباد البحري
- ١٢- لعبة خطيرة
- ١٣- الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤- اللؤلؤة السوداء
- ١٥- سر الجزيرة
- ١٦- مغامرة في النهر
- ١٧- شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٨- سر الدرجات التسع والثلاثين
- ١٩- الجاسوس وقصص أخرى
- ٢٠- مغامرات توم سوير
- ٢١- المختطف
- ٢٢- الكمبيوتر الرهيب
- ٢٣- الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
- ٢٤- موسيقى الليل وقصتان أخريان
- ٢٥- الثاب الأبيض
- ٢٦- موبى دك
- ٢٧- سر القط الفرعوني
- ٢٨- سجين زندا
- ٢٩- مغامرات هكليري فن
- ٣٠- الفرسان الثلاثة



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح - بيروت

01 C 198230

رقم الكمبيوتر